



وسائل سجين سياسي
في حبيبتة

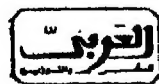
الحزب

0016248

مصطفى طيبيّة

**رسائل سجين سياسي
إلى حبيبته**

الجزء الأول



سجن مصر
ليمان طره
تخشيبة الوايلي
معتقل القلعة
سجن الواحات الخارجة
ليمان أبو زعبل
تخشيبة مصر الجديدة
سجن الاستئناف
تخشيبة السيدة زينب
سجن المحاريق
سجن القناطر الخيرية

12/1

حببتي

هل تذكرين حديثك التليفوني معي في اول يناير عام ١٩٦٥ ؟

انا ما زلت اذكره بالحرف الواحد .

- الاستاذ

- انا هو .

- متى خرجت من السجن ؟

- ٤ ابريل ١٩٦٤

- كم سنة مكثت في السجن ؟

- ١٢ سنة

- سجن او اعتقال

- ١٠ سنوات سجن و ٢ اعتقال

- ولماذا لم تخرج بعد قضاء مدة العقوبة ؟

- من انت ؟

- صديقة .

- ما اسمك ؟

- وهل يهمك اسمي ؟

- ما دمت صديقة كما تقولين فيهمني ان اعرف اسمك .

- وهل تعرف اسم كل صديقاتك وأصقائك ؟

- أظن ذلك والا اكون قد فقدت ذاكرتي .

- تواضع هذا ؟

- واين التواضع هنا ؟

- انت فارس الاربعينات .

ومرت ثوان شهدت خلالها شريطا سينمائيا يسجل أحداث الاربعينات
حتى يوم ١٨ يوليو ١٩٥٢ اليوم الذي اعتقلت فيه وهنا جاء صوتك يحمل
رنة سخرية .

- لماذا توقف ارسالك ؟

- وبدت رنة الغضب في نبرات صوتي .

- هل تسخرين مني ؟

- ووصلت الى نبرات صوتك تحمل الاسف والاعتذار

- عفوا « آسفة » كنت امزح معك .

- واستمرت رنة الغضب في صوتي .

- هل أنت من شباب الستينات الذين شطبوا على كل ما قدمناه لشعبنا ؟

- وجاءت نبرات صوتك تحمل أسفك للمرة الثانية .

- كلا ، كلا

- أبدا . أبدا . ولكن لنا بعض الملاحظات . ومن واجبيكم ان تسمعوها .
- هل هي ملاحظات أو أحكام مسبقة ؟
- « ولم تردى الا بعد ثوان - ادركت خلالها انك فهمت ما أقصده »
- معك حق هناك فرق بين ملاحظات قد تكون سليمة وقد تكون خاطئة ومن الضروري أن تناقش والا صارت أحكاما مسبقة تضر بالمسيرة .
- « ومرت لحظة عانت ذاكرتي خلالها الى الوراء .. الاربعينات والخمسينات والمسنوات الاربع في الستينات .. ثم جاء صوتك يحمل رنة الصق »
- أرجو ان لا أكون قد لمست جانباً من مسيرتكم يثير حساسية خاصة عندكم .
- أبدا . أبدا . من رأى ان هذا الجانب بالذات هو الذى يجب ان تعرفوه يا جيل الستينات .
- ولماذا لا تكتبه ؟
- اخشى أن لا التزم بالموضوعية التامة .
- حاول .
- حاول مررات وفشلت .
- ولماذا ؟
- لاننى فرد ، جزء من ظاهرة كبيرة ومعقدة .
- لكنك لست مجرد فرد .. كنت أحد البارزين من قادة المسيرة .
- هذا هو بالتحديد الذى يشل تفكيرى عند محاولتى الكتابة فى هذا الموضوع .
- ما العمل اذن ؟
- اكتبى انت :
- وهل املك قدرة الكتابة فى مثل هذا الموضوع ؟
- نعم تملكين .
- « وجاء صوتك يحمل الدهشة كل الدهشة »
- انا لا املك الا خبرة صغيرة .
- الا تملكين الايمان بالشعب ؟
- كل الايمان . ولكنى لا املك أدوات البحث ومصادره .
- ابحنى عنها وستجدينها .
- أين ؟
- عند الذين اشتركوا فى صنع المسيرة .
- ولكنهم مختلفون .
- الاموات فقط هم الذين لا يختلفون ..
- كانت خلافاتهم جذرية وعميقة الجذور .
- ابحنى عن أسباب ذلك .

- أيسن ؟
- في كل ما يمولونه ويفعلونه .
- سيكون مجرد تسجيل .
- سجلي أولاً ثم بعد ذلك يجيء دور التحليل .
- لا أملك القدرة على التحليل .
- لا تفكرى في ذلك الآن . هيا ابعدنى وستجدين معك آخرين يساعدونك .
- هل تعمدنى أن تكون أحد الذين يساعدوننى ؟
- ليس وعدا . بل القزاما .
- موافقة . ولكن بشرط .
- ما هو الشرط ؟
- ان تكتب ذكرياتك خلال ١٢ سنة سجن .
- موافق .
- ومتى تبدأ ؟
- حين أجد نفسى فى ظروف تساعدنى على الكتابة ؟
- وهل هناك ما يشغلك عن مثل هذا العمل الكبير ؟
- نعم .
- ما هو ؟
- ابحث عن شىء صادق .
- هل انت متشائم ؟
- بل فى غاية التفاؤل .
- لست أفهم .
- لا تتعجلى .. غدا تفهمين .
- هل تساعدنى على الفهم ؟
- أعدك ولكن بشرط .
- ما هو ؟
- ان تبدئى أنت فى تسجيل تاريخ الاربعينات ..
- سأبدأ بالبحث عن فرسانها .
- أو لست أنا أحد فرسانها .. كما تقولين ؟
- نعم .. ومن فرسانها البارزين .
- اذن نلتقى ..
- كل لقاء له شروط
- وما هى شروطك ؟
- ليست شروطى ولكنها شروط الحياة .
- « وساد الصمت لحظة دار خلالها بيننا حوار صامت لكنه ، كان أعق من كل حوارنا السابق المسموع »

ومنذ ذلك التاريخ قمت بمحاولات عديدة كي اكتب ، وفشلت
 كنت لا اعرف لماذا ظلت اعلق نجاحي في الكتابة على لقاء
 فرحت ابحت عنك عند كثيرات ولم اجدك . لم اجد الصورة التي
 خلال حديثك التليفوني معي وبعمده . ومضت السنوات تجر
 السنوات وكانني اسير وراء سراب ، حتى التقيت بك ، وعرفت .
 انني كنت ابحت عن لحظة صدق هي أشبه بالسراب في عالم
 بالزيف والنفاق .

ورغم أن هذه اللحظة قد أعادت الي الثقة في قدرتي على
 ومنحتني الشجاعة كي اكتب كل ما اعرفه عن الحقيقة ، فانني لم
 غير جزء منها للأسباب الموضوعية لم تكن مطروحة منذ ١٢
 يوم وعندك يا حبيبتي بأن اكتب .

ولقد حاولت كل جهدي أن اتجنب ما يمكن أن يلوي البعض
 ليضعه في خدمة الفوى المشوهة ، وفي نفس الوقت كنت مو
 قدر استطاعتي - عندما تعرضت لعدد من المواقف السياسية ،
 لبعض قيادات « التنظيمات » . فاعفري لفلمي حين تناولها
 بسخرية مريرة . ولا ترفضى اجتهاده عندما طرح تساؤلات
 القضايا النظرية . واحسب أنه قد آن الآوان كي تعرف الأجيال
 حقائق فترة خصبة في تاريخ مصر .

الرسالة رقم ١

حبيبتي

اللحظة الصادقة التي بحثت عنها ١٢ سنة ، أعيشها اليوم بكل
 كيانى . ومن هذه اللحظة أستمد الثقة فى قدرتى (على الكتابة)
 وأبدأ بيوم خروجي من السجن فى ٤ أبريل ١٩٦٤ : بدأت رحلة
 الإفراج عن آخر دفعة من المعتقلين الشيوعيين يوم ٤ أبريل ١٩٦٤
 نقلتنا السيارات من سجن «الحاربيق» القابع فى قلب الصحراء بالوحدات
 الخارجة الى أسبوط ، ومنها بالفطار الى محطة تكنات الجينس بالعباسية .
 لن أحك كيف تم « شحنا » . . وأحسب ان طريقة « سجن » الحيوانات
 أفضل بكثير من الطريقة التى « شحنا بها » . ولم تكن هذه هى مشكلتنا
 فنحن على أى حال فى طريقنا الى « الحرية » . فبذل ذلك حين كانوا
 « يشحنوننا » من سجن الى آخر كنا نحتج ونرفض هذه المعاملة اللاإنسانية
 أصلا فى ان نجد معاملة أكثر إنسانية فى السجن « المشحونين » اليه .
 لكن هذه المرة كانت مشكلتنا من نوع آخر هى مشكلة حياتنا فى ظل « الحرية »
 كنا أكثر من ٧٠ شخصا . فى طريقنا الى الحياة التى غبنا عنها
 سنوات طويلة وصلت الى ١٢ سنة بالنسبة للبعض ولم تقل عن ٥ سنوات
 للبعض الآخر . وبالطبع كان لكل واحد منا مشاكله الخاصة ولكنها
 كلها تصب فى مشكلة واحدة هى « لقمة العيش » . فالجميع ، عمالا ،
 وفلاحين وطلبة ، ومنقفيين وأساتذة جامعات ومدرسين ، فصلوا من أعمالهم
 منذ سنوات . والبعض يستطيع مواجهة حياته الجديدة بحكم وضعه
 الاجتماعى . وقتا طال أو قصر ، غير أنه بالتأكيد سيجد « لقمة العيش »
 والبعض - بحكم وضعه الاجتماعى ، ان يستطيع مواجهة الحياة الا أياما
 معدودة تحددها قدرات عائلاتهم المألمة المحدودة . بعدها ستكون لقمة
 عيشهم صعبة وعسيرة . وغير هؤلاء كان هناك من يبحث عن المكان
 الذى سيقضى فيه أياما معدودة يبحث خلالها عن أحد من أهله أو أقاربه
 فقط كي يأويه ليلا بعد البحث بالنهار عن « لقمة العيش » التى لا يدرى
 متى سيجدها ، ان وجدها ، فهناك من لم يجدها حتى اليوم الا فى شكل
 أبشع أنواع الاستغلال . هكذا راحت « الفرحة » وجاءت « الفكرة » .
 راحت « فرحة » عنا خلال الوقت الذى استغرقته رحلة السيارات

من سجن المحاريق الى اسيوط • وجاعات • الفكرة • بعد ركوبنا القطار المتجه الى القاهرة • وفي محطة العباسية وضع الجميع أمام « المحنة » !

ارتفع صوت الضابط قائد الحرس يقول :

– اللي بيته فى القاهرة وضواحيها يركب العربية دى ، ودى • واللى بيته فى المحافظات الأخرى يركب العربية دى ، ودى •
ركب الجميع عدا ثلاثة زملاء لم يركبوا السيارات • سألهم الضابط ، عن سبب عدم ركوبهم • لم يجب أحد منهم • ذهب الى الضابط وهمست فى أذنه :

– الثلاثة الزملاء ليست لهم عناوين معروفة فى مصر كلها •

قال الرجل بصوت خافت وبتأثر شديد :

– ما العمل ؟ ليس أمامى الا أن أسلمهم لسجن الاستئناف حتى يعزلوا على محال إقامتهم •

– صبرا •• سنجد حلا •

وانتظر الرجل والدمعة تكاد تقفز من عينه • والجميع ينتظرون تحرك السيارات وهم لا يعرفون سبب عدم تحركها ، ولا سبب عدم ركوب الزملاء الثلاثة • كنت الوحيد تقريبا الذى لم يفاجأ بهذا الوضع • ربما لأن صلتى بجميع الزملاء من مختلف الاتجاهات على مدى ١٢ عاما لم تكن مجرد صلة سياسية وإنما كانت صلة إنسانية فى مظهرها ، مئات المشاكل التى واجهت مئات المسجونين والمعتقلين كان لا يعرفها أحد غيرى • ساهمت فى حل بعضها بما يتفق مع الظروف العامة والخاصة ، لكن البعض الآخر كان مستعصيا على الحل ، منها هذه المشكلة • ناديت على أحد الزملاء المقندين وطلبت منه أن يجد للزملاء محلا لسكنهم حتى يدبروا أمر إقامتهم • وركب الزملاء الثلاثة سيارة الذين يعيشون فى القاهرة ! أما كيف عانوا هم والآخرين •• فتلك قصة سأحكيها لك فى رسالة أخرى • عندما أكتب عن ١٢ سنة بعد خروجى من السجن •

تحركت السيارات وكنت فى إحدى سيارات الذين يعيشون فى القاهرة بالطبع لم تكن وجهة السيارات هى العناوين المختلفة لركابها وإنما كانت تتجه الى أقسام بوليس أحياء العاصمة حيث يتم إجراءات الإفراج بعد التأكد من محل السكن لتنفيذ باقى العقوبة ! نعم يا حبيبتي باقى العقوبة ، وهى « المراقبة » • أنا مثلا كان الحكم الذى صدر ضدى هو ١٠ سنوات أشغال شاقة ، و ٥ سنوات مراقبة – طبعا السنتين الزيادة كانوا اعتقال – وعلى فكرة عدد شهور السنة بالنسبة للقاتل وتاجر المخدرات وهاتك المرض واللس ٩ شهور فقط وفقا للائحة السجون ، أما بالنسبة لمسجون الرأى فهى ١٢ شهرا بالتمام والكمال ، فقد

تنبهوا في عام ١٩٥٥ الى أن أصحاب الراى أخطر من أعتى المجرمين . فاستثنوا المسجونين السياسيين من قانون السجون ! معنى هذا اننى قضيت في السجن ١٢٠ شهرا بدلا من ٩٠ شهرا ثم تفضلت بمباحث أمن الدولة باستضافتى ٢٤ شهرا أخرى ، فيكون المجموع ١٤٤ شهرا وكان يمكن ان يمد الى البقية الباقية من عمرى لولا قرار الرئيس الراحل عبد الناصر بالافراج عنا . والافراج لم يكن يعنى أسقاط العقوبة وبالتالي كان على ان أنفذ بقية العقوبة بان اتواجد فى مسكنى ابتداء من غروب الشمس حتى شروقها . والمراقب معه دفتر يوقع عليه شرطى بما يثبت وجود المسجون فى بيته . وطبعا من حق هذا الشرطى - حرصا على أمن الدولة - أن يوفظ « المراقب » فى أى وقت من الليل ليتأكد من وجوده ! ولك أن تتصورى يا حبيبتى حالة المراقب المسكين حين يرتفع صوت غليظ فى عز الليل ليوقظه ويجبره على الفزول الى حيث ينتظره الشرطى على الباب الخارجى للمنزل ليوقع له على الدفتر مرة ثانية وربما ثالثة ورابعة حسبما يرى رجل مباحث أمن الدولة !

وهل تعرفين يا حبيبتى عقوبة الهرب من حكم المراقبة ؟ السجن مرة أخرى وقد يصل الى الحكم بقضاء مدة المراقبة فى السجن ! ولقد حاولوا هذا معى بعد خروجى من السجن بأسبوع واحد حين جاء زوار الفجر ليقبضوا على بتهمة الهرب من المراقبة الليلية . فى تلك الليلة لم يأت الشرطى كالمعتاد فى كل ليلة . ولما وصلت الساعة الثانية عشرة مساء توجست شرا تبته لى مباحث أمن الدولة، فطلبت من بعض الاصدقاء الذين كانوا فى زيارتى ان يذهبوا الى القسم ويتبثوا فى محضر اننى موجود فى المنزل وأطلب حضور الشرطى ليوقع على الدفتر . وكان هذا المحضر هو السند القانونى الذى استند اليه المحامى الذى تطوع للدفاع عنى عند محاكمتى وأفرج عنى القاضى ولكن بعد أن قضيت ٤ ايام فى سجن الاستئناف وتسمى « التخشيبية » وكانت أفضل على أى حال رغم قسوتها من ٥ سنوات أخرى .

وقد اعترف رجل المباحث (٠٠) فى الداخلية بأن هدفهم كان بالفعل هو عودتى للسجن لفضاء السنوات الخمس ! ثم اعترف لى بعد ذلك أنهم حاولوا مرة أخرى معى ومع عدد من الزملاء تلهى تهمة الهرب من المراقبة لولا صدور قرار الرئيس الراحل جمال عبد الناصر باسقاط العقوبة عن كل الشيوعيين الذين أفرج عنهم . اذكر اننى فى اليوم نفسه الذى صدر فيه هذا القرار خرجت لأجوب كل شوارع القاهرة سيرا على الأقدام طول الليل . وكانت هذه أول مرة أرى فيها ليل القاهرة بعد اثنى عشر عاما ونصف !

أعود بك الى ٤ أبريل ١٩٦٤ ، يوم خروجى من السجن وعودتى اليه مرة أخرى فى اليوم نفسه .

قلت لك اننى زكيت سيارة الذين يعيشون فى القاهرة واودعوني مع عدد من الزملاء فى قسم بوليس السيدة زينب • لم يكن لى مسكن خاص، فبعد حوالى ٦ سنوات اتفقت مع زوجتى « الايطالية » على الانفصال فهى لم تعد تحتل مطارتها فى رزقها • وأنا من ناحيتى لم أكن أرى شعاعا واحدا من أمل الخروج من السجن • بل اننى فى السنوات الأخيرة وطحت نفسى على اننى ساقضى ما بقى من عمورى فى السجن • وبالطبع استبعدت الذهاب الى منزلى السابق • لم يبق أمامى غير ثلاثة أمكنة فى القاهرة • الأول فى شبرا حيث يسكن أحد أخوتى الكبار • لكنه قاطعنى تماما منذ أكثر من ٨ سنوات خوفا على عمله وعلى بيته ، فانقطع تماما عن زيارتى • وأخى الثانى وهو أكبر منى أيضا - رحمه الله - كان يسكن فى طره بجوار السجن الذى قضيت فيه ٤ سنوات ولم يفكر أبدا فى زيارتى منذ قبض على - ولم يبق أمامى غير منزل أخى الصغير - رحمه الله - كان صديقى وزميلى وعرف السجن أيضا ثم أثر السلامة بعد خروجه من السجن عام ١٩٥٥ لكنه تزوج وأنجب طفلة خلال وجودى فى السجن ، ولا أعرف مدى استعداد زوجته لاستضافتى • وقررت أن انتظر الى الصباح كى أعطى نفسى فرصة للتفكير أكثر وارسل من يتحسس الموقف عند الاخوة الثلاثة • ولما طلبت من الضابط النوبتجى ذلك فوجئت بقوله :

- لا أستطيع ان اتحمل بقاءك هنا حتى الصباح •

قلت له مشكلتى • وتأثر الرجل وقبل مشكورا أن يستضيفنى فى مكتبه حتى الصباح • كان شابا له صلة بالسياسة واهتماما بها • وبينما نحن فى حديثنا اذا بأخى الصغير مسعد « رحمه الله » أماما فى المكتب • لقد راح منذ الصباح يئمال عنى فى أقسام الشرطة حتى عرف من بعض الزملاء اننى هنا فى قسم السيدة زينب • لن انسى ابدا اللحظات الاولى لهذا اللقاء الانسانى بعد أكثر من ٨ سنوات لم يستطع خلالها أن يزورنى فى الواحات ، فالزيارة فى الواحات كانت تكلف مالا يقل عن ١٢ جنيهًا أجور مواصلات فقط • يضاف اليها مصاريف البيت فى أسيوط وثمن بعض لوازم الزيارة !

قال :

- صدفه عظيمه جدا •

- ما هى ؟

قال - رحمه الله - والدموع تسيل من عينه :

- اليوم ٤ أبريل عيد ميلاد ابنتى وذكرى زواجنا •

- كل سنة وأنت طيب يا مسعد • ثلاثة مناسبات سعيدة فى يوم واحد ! حقا لما ينسعد الفقى تيجى له عشوتين فى ليلة واحدة •

كان مسعد يسكن في مصر الجديدة قريبا من مسكني السابق . وكان على أن نذهب في حراسة أحد الشرطة الى قسم **مصر الجديدة** لعمل اجراءات المراقبة ، وحيث يجري تنبيهى لطريقة تنفيذ عقوبة « المراقبة » . الطريق من السيدة زينب الى مصر الجديدة يستغرق حوالى ٤٥ دقيقة بالتاكسي . خلالها تحدثت معه في أمور كثيرة ، أبى الذى مات في أحد الملاجى !! تصوري، مات في ملجأ لأنه لم يطق الحياة مع أى من أولاده ! وأختى التى مرضت بسبب القبض على عام ١٩٥٢ وقال لها الأطباء ان شفاءها بصدمة أخرى وإكر، مفرحة ، وظلت المسكينة تنتظر ابويها ١٩٦٢ - تاريخ انتهاء المدرة سنوات - ولما اعتملت ولم أخرج كما كانت تتوقع ماتت المسكينة بعد يومين من عودتى الى السجن ! والخلافات بين الأخوة وكيف وصلت الحالة بينهم الى درجة بالغة السوء . و . و . وتجسدت أمامي مشاكل بلدنا ومجتمعنا بالنسبة لقطاع محدودى الدخل . وشعرت فجأة بصداق شديد لم يفارقتى الا بعد ان تناولت أسبرين وفنجان شاي في مكتب الضابط النوبتجى بقسم **مصر الجديدة** . بعد أن هنأني الضابط بكلمات تقدير ومشاعر انسانية اعتذر عن عدم امكانه اتمام الاجراءات اللازمة لخروجي الليلة لأن الموظف المختص غير موجود . لم أعلق . لكن مسعد همس في اذنه بكلمات ترجوه أن أحضر معه حفلة عيد ميلاد ابنته . وسمح لنا الرجل بالذهاب الى الحفلة بشرطين : الأول ان يأتى معنا الشرطى الحارس . والشرط الثانى أن أعود الى القسم قبل الثامنة من صباح اليوم التالى . وطبعاً قبلنا الشرطين وشكرناه .

المسافة بين قسم البوليس ومنزل اخى مسعد لا تستغرق أكثر من ٥ دقائق ، خلالها همس مسعد في اذنى :

- ميمى « زوجتى السابقة » تنتظر منك الموافقة على حضورها الحفلة .
- وما رأيك انت ؟
- انها لم تنسك لحفلة واحدة
- ولولادها كيف حالهم ؟
- الابن في كلية الطب ، والبنت موظفة .

توقفت عن السير بحجة اننى أبحث عن شيء وقع منسى . ولما استأنفت السير ظالت صامتا حتى وصلنا الى الباب الخارجى للمارة التى يسكن فيها . قال :

- هل ارسل من يطلب ميمى ؟

لم يسمع مني جواباً ، وإنما سمع بكائي المتشنج . لم أعرف لحظتها
 لماذا بكيت كالأطفال . بعد أقل من نصف ساعة قضيتها في جو غريب
 غني ، جو لم أعرفه منذ شبابي المبكر ، شعرت وكأنني لا انتمي
 إلى هذا العالم . وحملت بالسجن مرة أخرى ! بل إن نفسي لم تهدأ
 إلا بعد أن عدت مرة أخرى إلى سجن قسم مصر الجديدة . هل تصدقون ؟
 هذا ما حدث . . أذكىه لك في الرسالة المقبلة يا حبيبتي .

٥ يناير ١٩٧٧

بغداد

الرسالة رقم ٢

حبيبتي

كان صوت الموسيقى الراقصة « يطن » في اذني وأنا ما زلت عند باب العمارة . أخذت أصعد السلالم ببطء شديد ، توقفت مرات ، وفي كل مرة كان الشرطي يمسك بذراعي . كي لا أهرب ! على باب الشقة طلبت من أخى أن يعفني من حضور هذه الحفلة . لم يجب . واحتواني بين ذراعيه وأخذ يقبلني ، وجاء صوت نسائي لينتزعني من هذه اللحظة الانسانية .

- أهلا وسهلا . . حمد الله على السلامة .

« لابد ان هذه السيدة زوجة أخى » . حدثني عنها كثيرا في خطاباته القليلة الى في السجن . هذه الابتسامة التي تملأ وجهها لم تبدد احساسى ببرودة صوتها وهي تحييني ولا برودة يدها وهي تسلم على . معذورة . عليها أن تقوم بالواجب أرضاء لزوجها . لكن أخى حدثها عنى كثيرا . . . هكذا كتب الى في خطاباته ! . أغلب الظن انها لم تفهم شيئا مما قاله . سككت الموسيقى فجأة واتجهت كل انظار الحاضرين الى هذا المشهد الغريب . أحد المدعويين يتأبط ذراعه شرطي . منظر يستحق الفرجة . همس يدور ، وزوجة أخى تتركني لتنتقل بين المدعويين لتفسر لهم الحكاية . هكذا أصبح فرجة على آخر الزمن . لماذا لم تعطهم فكرة يا مسعد ! لكن المسكين لم يكن يعرف . . وارتفعت أصوات :

- حمد الله على السلامة .

- أهلا وسهلا .

وعادت الموسيقى تصدح مرة أخرى . الذين عرفوا الحكاية عادوا الى الرقص . والذين لم يعرفوها بعد يتهايمسون قلبا مع زوجة أخى ثم يعودون الى الرقص . وراح المصور يلتقط لي صورة كثيرة . . على باب الشقة . وبين المدعويين واثناء جلوسي . كان الشرطي الحارس حريص على ان يظهر معي في الصورة وهو يتأبط ذراعي . اننا لا احب الاضواء لا كما يقولون في الاذاعة والتلفزيون والسينما ، ولكن لأن المباحث كانت حريصة جدا على ان تلتقط لي صورة عديدة من كل الجهات ، وفي كل مناسبة وكانت المناسبات كثيرة . . يوم قبضوا على . . وعند نقلى من سجن الى آخر . . وما أكثر السجون التي تنقلت بينها ! وكانوا يطبعون هذه الصور بال عشرات . . لتوزع على جميع أقسام بوليس الملكة المصرية

ثم - جمهورية مصر - ثم الجمهورية العربية المتحدة - ! فيوم دخلت السجن يا حبيبتي كانت مصر ما زالت « مملكة » .. ومكنت به ١٢ عاما وهي « جمهورية مصرية » ثم « جمهورية عربية متحدة » !

كميات كبيرة من السندويتشات والجاتوه والمربطات وضعوها أمامي .. لأول مرة منذ غادرت قسم السيدة زينب مروراً بقسم مصر الجديدة ، حتى وصولي المنزل ، لم تترك يد الشرطي اليمنى يدي اليسرى الا ليتفرغ للأكل ! لكنه كان بين كل ساندويتش وساندويتش يتحسسني ليطمئن على وجود وديعته ! رغم انني استحق الشفقة فقد اشفت حقيقة على اخي مسعد . كان المسكين يجلس الى جانبي لحظة يرحب بي ويعزم على بالأكل ثم يذهب الى مدعويه وهكذا .

« مالي انا وهذا العالم » ١٢ سنة يا مصطفى لم تر خلالها لحما ابيض لم تسمع صوت امرأة . لم تكلم يدك يد امرأة . عيناك لم تر غير لون الزنزانة الاصفر .. ولون الصحراء .. الاصفر . وافنالك لم تسمع سوى أصوات « بروخي » حرس السجن - والسلاسل التي يقيدونك بها .. تسمع صوتها في نومك ويقتطك وحتى عندما كنت تستحم ! هكذا تنتقل فجأة من الموت الى الحياة .. واى حياة ؟ ، كاد رأسي ينفجر .. هاجمني الصداح .. صرخت ..

- أسبرين ..

توقفت الموسيقى وعادت بسرعة بعد أن تناولت الأسبرين من فتاة كانت تجلس الى جانبي طول الوقت .. كانت صامتة ولكن نظراتها ودودة .. وابتساماتها حلوة .

« هذه الفتاة من تكون ؟ ربما ابنة أخى الكبير . ان له ولد وبنيتين . يوم دخلت السجن كان أحمد فى الثانوية العامة . وكانت آمال فى الاعدادية وأميرة فى الابتدائية ! أغلب الظن أنها آمال . هل أسالها ؟ لا داعي . لكن هي بالقطع ليست ابنة أحد من أخوتي الآخرين ، وهي أيضا ليست بيدي بنت أختي - الله يرحمها - فقد ولدتها وأنا فى السجن ، وهذه الفتاة لا يقل عمرها عن ٢٢ عاما . ربما تكون « تيتي » بنت زوجتي السابقة ..

يا سيدى لا تتعجل الأمور . بكرة تعرف كل حاجة ، رأسي يتأكل .. أشعر برغبة شديدة فى النوم فقد انهض جسدى تماما .. ورحت فى اغفائه .. وحلمت .. نعم حلمت .

مازلت اذكر كل تفاصيل هذا الحلم البعيد . ساحكيه لك يا حبيبتي بالتفصيل . الفتاة التي كانت تجلس الى جانبي تقول لى وابتسامتها الودودة لا تفارقتها .

- أنا لست قريبتك يا استاذ ..

- غفوا .. وهل سألته ؟

- تعبيرك وجهك كانت تسال

- تقرئين افكارى ؟
- اقرأها ٠٠ وأومن بالعام منها ٠
- لا زلت صغيرة ؟
- وأنت ٠٠ ألم تبدأ فى مثل عمري ؟
- يبدو انك تعرفين عنى الكثير ؟
- لست وحدى ٠٠ كنيرون بعرفون ٠
- كيف ومتى ؟
- كما عرفت أنت الذين سبقوك ؟
- عرفناهم من الكتب والصحف ٠
- ونحن كذلك ٠٠ ولكن ازيد عليك ٠٠ فأننا اعرفك شخصيا ٠
- شخصيا ! أنت فى عمر ابنتى لو كان لى بنتا ٠
- كنا جيرانك حين أتوا للقبض عليك
- اذن كان يجب ان اعرفك ٠
- تسكت الفتاة لحظة ثم تقول :
- كنت طفلة ٠٠ وكان عمري ٨ سنوات ٠٠ وكانت « زوجتك » وما زالت تحبنى ٠٠
- لم تنسك لحظة واحدة ٠٠
- وأصرخ قائلا وبضحكة هستيرية
- لم تنسنى لحظة ٠٠ سيدى با سيدى ٠
- تأخذنى الفتاة بين ذراعيها ٠٠ تهددنى كالطفل وتقول :
- انها تحبك ٠٠ صدقتى ٠
- أصرخ مرة أخرى وأقول ٠
- لكنها قتلت ابنى ٠٠ اسقطته وهو جنين ٠٠ كان عمره الآن ١٣ سنة ٠
- أدركت خطأها ! ٠٠ وهى تريد طفلا منك ٠
- بعدها ٠٠ تصرف نظرا ٠
- وتعود الفتاة الى هدهدى كطفل رضيع :
- انها تنتظرك ٠٠ صدقتى انها تحبك ٠
- انا لا احبها وام أحبها فى حياتى ٠٠ لن ترانى ابدا ٠٠ ابدا ٠
- لماذا تزوجتها اذن ؟
- كان من الضرورى ان استيقظ من النوم ٠ فهذا السؤال لن أجده
- جوابا فى حلمى أو فى يقطتى واستيقظت على صوت رقيق شدى ٠
- فيه حد ينام ليلة الاقراج عنه ؟
- أخذنى عبد السلام هاشم وهو الاخ الاصغر لصلاح هاشم زميل الدراسة
- وزميل السجن ٠ تركته فى سجن الحاريق فهو من بين المحكوم عليهم الذين
- لم ينفوا مدة العقوبة مثلى ٠ حكم عليه فى نفس قضيتى بـ ١٠ سنوات
- (٢ م - رسائل)

سجن • ثم حكم عليه بثلاثة سنوات أخرى وهو فى السجن ! وتهمة
أنه قاتل مظاهره من طلبة الجامعة عام ١٩٥٤ حين خرج لتأدية امتحان
هناك • لم يكن وحده الذى قاتل مظاهرات فى الجامعة • كان غيره
كثيرون صدرت ضدهم أحكام أيضا • ولذلك صدر قرار بحرمان
المسجونين الشيوعيين من الدراسة وبالتالى من الخروج للامتحان •

قلت وأنا ما زلت فى حالة نوم

- والله كبرت يا عبد السلام •

- ومضى كبركمان •• مالك ؟

- قرفان تعالى نازل •

- نروح فين ؟

- نقعد على قهوة •• عاوز أشوف الناس •• والشارع ••

ولكن رغم احساسى بالفة أكثر مع جو القهوة بصخبها وضجيجها
فلم أستطع أن أمكث أكثر من نصف ساعة بعدها شعرت بحنين شديد
للعودة الى السجن •• وذهبت مبكرا الى سجن قسم بوليس مصر الجديدة
وهناك شعرت بأننى عدت الى موطنى ! عدت الى أهلى !! وهذه قصة
أخرى •

أحكيها لك فى رسالتى المقبلة يا حبيبتى •

٧ يناير ١٩٧٧

بغداد

الرسالة رقم ٣

حبيبتي

مازلنا فى يوم ٤ ابريل ١٩٦٤ - يوم الافراج عنى .
عدت الى سجن « التخشيبية » بقسم مصر الجديدة بعد مالا يزيد عن
« ساعتين » قضيتها فى حفلة عيد ميلاد بنت أخى ثم أحد المقامى الشعبية .
ما ان وطأت قدماى أرض « التخشيبية » حتى ملأنى الاحساس بالأمان !
تصورى يا حبيبتي .. أحسست بالأمان مع اللصوص والنصابين
والقوادين .. الصغار طبعاً .. فالكبار لا يأتون هنا .. ومع المتسولين
والمشردين و .. و ..

الأمان داخل « حجرة » أرضها مكسوة « بالزفت » وخليط من « بصاق »
النزلاء وبولهم .. وبرازهم .. فهى للنوم .. و « لقضاء الحاجة » فى
نفس الوقت ! وجدران « التخشيبية » يلطخها خليط من دم البشر ، ودم
الحشرات . فمن النادر ان تمر ساعة واحدة دون أن تحدث « خناقة »
بين النزلاء تستخدم فيها الأمواس والمطاوى . كما لا يمكن أن يعيش
« الانسان » لحظة واحدة فى هذه « النخشيبية » دون أن - يقتل مئات
من حشرة « البق » تلك التى تنافس الانسان فى امتصاص دم أخيه
« الانسان » !

لماذا يسمون هذه الحجرة « التخشيبية » ؟

ربما لأن البشر يكسسون بها كما يكس الخشب فى المخازن !
هذا هو الأرجح .. فقد رحت أبحث عن مساحة أتق عليها داخل هذه
« التخشيبية » .

- اتفضل يا بيه هنا ..

- لا يا بيه تعالى هنا ..

وكادت تحدث خناقة تستخدم فيها كالعادة الأمواس والمطاوى لولا
تدخل « المعلم » .

- بس يا واد أنت وهوه .. سيب « الايراد » ده ليه .. اتفضل هنا
يا بيه ، وأشار الى مكان بجانبه .
- ألف شكر يا معلم .
- جاى فى آيه يا بيه ؟

نظرت الى الساعة فلم أجدها ، تحسست المحفظة فلم أجدها ، والقلم
الباركر أيضا لم أجده لم أجب .. وضعت الاكل الذى كان فى يدي
على الارض .

- اتفضلوا يا رجاله .

ما كاد الرجال بهجمون على الاكل حتى صاح فيهم « المعلم » :

- اسننى باواد أنت وهوه ..

نراجع الجميع ووقفوا ينتظرون أوامر المعلم .

- يا ولاد « الكلب » بقى برضه أحنا ولاد بلد نفهم الأصول . اسمع
يا بيه أنت بابن عليك ابن ناس أنت عرفت ان حاجتك اتلطشت منك ، ومع
ذلك تعزم علينا بالاكل الطوده .. يا واد يا عبده هات حاجات البيه ..
يتناولها من « عبده » ويعطيها لى :

- اتفضل يا بيه آدى الساعة ، وآدى القلم ، وآدى المحفظة . فيها
خمسة جنيه أعم ..

- متسكر قروى .. اتفضلوا ..

- متسكرين يا بيه .. دلوقت نقدر ناكل معاك عيش وملح .
« لم ينسوا القيم الشعبية .. أكل العيش والملح يعنى الامان .. أن
لا تخن من أكلت معه .. اللصوص الصغار دفعتهم ظروف المجتمع الى
السرقة من أجل أن يعيشوا . لكن اللصوص الكبار .. نجوم المجتمع ..
غارقون حتى رؤوسهم فى بحار الخيانة .. خيانة الناس .. وخيانة الوطن ،
واستمرت جلستنا حتى الصباح .. يسألون واجيب على أسئلتهم ..
نظراتهم تفيض مودة وحباً .

قال أحدهم :

- يا بيه أنت صحيح بنى آدم ..

قلت ضاحكاً ..

- .. هو مش كل الناس ولاد آدم ؟

- لا يا بيه .. فيه ناس ولاد الشيطان .. بيعاملونا زى الكلاب .

- الحكاية مش حكاية ولاد آدم ولا ولاد الشيطان .. انما هى حكاية
الانسان « ووجدت نفسى اتكلم باستفاضة وبأسلوب بسيط عن استغلال
الانسان لأخيه الانسان .. كيف ؟ ولماذا ؟ والطريق الى القضاء على
الاستغلال » .

ويسأل أحدهم :

- الاشتراكية دى يا بيه تديننا الفرصة اننا نعيش زى البنى آدمين ؟

- طبعاً .. الاشتراكية تدى الفرصة لكل انسان أن يعمل وينال حقه

- زى ما عبد الناصر بيتقول ؟

- تقريبا ..

تعرفين يا حبيبتي اننى دخلت السجن قبل ثورة يوليو بأسبوع واحد ..
ولم أشهدا الا فى ٤ ابريل ١٩٦٤ .. ولكن كان لى موقف مختلف تماما
عن مواقف زملائى حين كانوا خارج الأسوار وكان مختلفا أيضا عندما
قبض عليهم فى يناير ١٩٥٩ .. وسأحكى لك عن ذلك فى رسائلنى المقبلة .

١٠ يناير ١٩٧٧

بغداد

الرسالة رقم ٤

حبيبتى

طلع على صباح يوم ٥ أبريل وأنا مستغرق فى حديث منذ العاشرة مساء اليوم السابق مع نزلاء « تخشبية » قسم شرطة مصر الجديدة . ولقد عرفت « التخشبية » مرتين ، كانت المرة الاولى فى « تخشبية » قسم شرطة الوايلي يوم قبض على أحمد حلمى رئيس المباحث العامة « البوليس السياسى سابقاً ، فى ١٨ يوليو ١٩٥٢ ، فقد أودعنى هناك لحسابه حتى انتقل الى سجن مصر لحساب النيابة العامة . فى ذلك اليوم حذر أحمد حلمى مأمور القسم من خطورتى على المواطنين ! وطلب أن أسجن فى غرفة انفرادية ! . وأحتار مأمور السجن ، ماذا يفعل ؟ ليس فى القسم غير غرفة للرجال وأخرى للنساء ، فاين يضعنى ؟ وأخيراً وجد الحل غرفة النساء ليس بها سوى اثنتين وهى تبعد عن غرفة الرجال . . . فوضعتنى فى طرقة صغيرة تطل على غرفة النساء . . . ولكن ظلت مشكلة هى أنه يمكن الحديث مع النساء المسجونات من شباك واسع لغرفتهن ولم يكن أمامه من حل خوفاً على المرأتين سوى أن ينبهما الى خطورتى . . . وبعد أن أغلق بنفسه باب غرفة النساء . . . وتأكد من اغلاق باب الطرقة . . . وبعد اعطاء التعليمات المشددة للحراس بأن لا يتصل بى أحد والتنبيه الى أى حديث يجرى بينى وبين المرأتين . . . أنصرف مطمئناً !

ويبدو ان تلك الاجراءات والتنبيهات المشددة أثارت فضول المرأتين فبعد دقائق قالت أحدهن :

- أيه الحكاية يا بيه . . . أنت جاي فى أيه . . . أنا عمرى ما شفت كده .
- وانتي بتيجي هنا كثير ؟
- مرة كل أسبوع . . . مرتين . . . حسب الأحوال .
- لم أفهم ما تقصده . . . فلم أرد عليها . . . فقالت بغضب ،
- أيه يا فندى ما بتردش على أيه . . . مش قد المقام والا أيه ؟
- وتدخلت المرأة الأخرى .
- يا أختى . . . حيلك على البيه شوية . . . ده باين ابن ناس ومش فاهم .
- قلت وابتسامة خفيفة على وجهى :
- الحقيقة مش فاهم .

فالت نفس المرأة :

- مش بانقول - والنبي ده ابن ناس .. شوفى ضحكته يا روحى عليه
فالت الاولى :

- آه والنبي .. ضحكته حلوة .. يجميك لشبابك .
- الله يخليكى .. لكن .. بتبجى هنا كثير ليه ؟
- لما تتسقط وما اقدرش أدفع المعلوم

« وببدو أن وجهى لم يستطع اخفاء الاحساس بالآلم والاسمئزاز » .
قلت :

- أياه ابدًا ما فيش حاجة .

قالت بغضب :

- أياه يعنى أنا ولاد ناس برضه .. بس الزمان اللى حكم علينا ..
ولقمة العيش مرة .

« لقد حسبت المسكينة اننى احتقرتها .. كما يحتقرها حتى اولئك
الذين يستمتعون بها ارضاء لشهواتهم الحيوانية » قلت معتذرا :
- وحيادك يا ستى أنت فهمتى غلط .. انا زعلان علسانك !
وتدخلت المرأة الثانية

- والنبي ماليكى حق يا سبيه .. شوفى صوته فيه حنية قد أياه !

فالت الاولى :

- متأسفة يا بيه والنبي أنت طيب وباين عليك خام قوى .
« عرفت لأول مرة انها اذا نادتنى بيا بيه تكون راضية عنى واذا قالت.
با احدى يكون ذلك تعبيراً عن غضبها .. قلت :

- لا أبداً مفبش داعى للأسف .. أنتو مظلومين .
قالت الاولى :

- أول مرة فى حيانى حد يقول لى أنتى مظلومة .
قالت الثانية :

- والنبي ده خام قوى .. أنت يا بيه جاى فى أياه .
- جاى فى قضية سياسية .

- يعنى أياه يا بيه .. عملت أياه ؟

- بنطالاب بأن الناس تعيش كويس ..

- طيب واللى يطالب بكده يحبسوه ؟

- طبعاً لانهم مش عايزين كل الناس تعيش كويس ..

فالت المرأة الثانية

- يعنى البيه عاوز يخلي كل الناس كويسين ؟

قالت الاولى :

- صحيح يا بيه ؟

فلت :

- كل الناس لازم تشتغل وما فيش حد يكسب من ورا حد
قالت الاولى .

- الله يحميك لنسيابك أنت واللى زيك يا أخويا ..
ومالت الثانية :

- الله ينصرك أنت وزمايلك يا حبيبي ..

« حبيبي !! لم أسمع هذه الكلمة من قبل بمثل هذه الرقة والعذوبة ..
سمعتها كثيرا من زوجتي السابقة ولم انفعل كما انفعلت هذه المرة ..
هذه المرأة قالت هذه الكلمة لزبائنهن وستقولها بعد ذلك كثيرا ولكن هل
ينفعلون كما انفعلت .. بالقطع لا .. وبالتأكيد لم يكن انفعالي حسيا ..
كان انفعالا انسانيا خالصا »

وجاء صوتها ليقطع لحظة صمتي وتأملاتي :

- سوفى يا سنية .. وشه زى الملاك .. والنبي ده بني آدم .

« رعم الحياة اللا انسانية التى تعيشها هذه المرأة وأمثالها فهى بأى لسة
صادقة تعود اليها انسانيتها المهكرة .. » .

كانت الساعة قد بلغت الثانية صباحا .. ووصلت الى اسماعنا اصوات
وشتائم متبادلة بين رجال ونساء ، قالت الاولى :

- الايراد وصل ..

وقالت الثانية :

- الكبسة المرة دى على بيت مين يا ترى ؟

فتح الباب .. وامتلأت الطرقة بحوالى ٧ نساء شبه عاريات
وثلاث مخبرين يقودهم رجل مدنى يبدو انه ضابط بوليس الآداب ..
رج المخبرون بالنساء فى الغرفة وسط سيل من اقذع الشتائم .. وبعد
ان اغلق الباب عليهن .. تنبه الضابط الى وجودى .. سأل بغضب .
- انت آيه .. وآيه جابك هنا ؟

قلت بسخرية :

- انا زى ما انت شايف .. واللى جابنى هنا المأمور .

- ليه ما دخلتش حجرة الرجالة .

- والله تسأل المأمور فى الحكاية دى .. يظهر انه مش حريص قسوى على
حماية الآداب !

قال بغضب :

- انت بتهزر .. انت جاي فى آيه ؟

- أسأل البكباشي أحمد حلمي رئيس البوليس السياسى .

« وما كاد الرجل يسمع اسم أحمد حلمي حتى ظهر على وجهه الرعب .. »

فأسرع بغلاق الباب خلفه ثم نادى على الشرطى لينبئه عليه بأن يمنعنى من أى كلام مع النساء .

بعد انصرافه . . قال الشرطى محدثا نفسه بصوت عال :

– طيب وازاى اقدر امنعه من الكلام مع الستات . . طيب وليه هوه راح يقول لهم ايه يعنى . . ومهما قال طب ما هو الباب مقفول عليهم . . انا مش فاهم .

ناديت على الشرطى وفلت له :

– افهمك انا . .

– الله يسترک فهمنى انا عقلى راح بطير . . الطابط الخوبتجى قال خد بالك من الشاب ده أحسن يتكلم مع الستات . . والعسكرى اللى استلمت منه قال خد بالك الراجل ده خطر قوى على الأمن . . وأنا من ساعة ما استلمت الساعة ١٢ وأنا سامع كلامكو . . كلامك حلو . . ما فيهش ابدا لا مؤاخذه . . قلة أدب . .

قلت مقاطعا :

– اهو الكلام الحلو ده هو الخطر على الأمن . .

قال :

– أمن مين بس ؟

– أمن الأغنياء اللى بينهبونى وينهبوك . .

– آه فهمت .

– أيوه – فهمت ايه بقى .

– فهمت .

« انصرف الشرطى بعيدا . . ولم يعطنى فرصة كى ابين له الفرق بين البلد والنظام السياسى للبلد » .

واردت أن أروح فى اغفائة حتى أستطيع مواجهة تحفيين النيابة الذى لم يبق عليه سوى ساعات . . لكن تعليقات كثيرة من النساء فى الغرفة المجاورة لم تمكنى من هذه الرغبة . . سمعت احداهن تقول :

– وأنت سفتى سياسيين قبل كده ؟

وتردد أخرى .

– آه وحياتك . . بتانى واحد مرة . . ما عملش حاجة . . لكن

ادانى فلوس .

وتردد الأولى .

– وعرفتى منين أنه سياسى ؟

– هوه قال كده وكان جاي لى هربان من البوليس . . ولما اطمأن

مشى . .

« ربما لم يكن هذا هو السبب الحقيقى . . اغلب الظن انه كان مثلى لم

يستطيع بأن يتواصل حسيا فقال ما قاله .. اذكر اننى حتى زواجى
الاول عام ١٩٥١ لم اعرف الجنس .. وذات يوم فى عام ١٩٤٨
حاولت ذلك مع احدى بائعات الهوى وكنت مع بعض زملاء العمل فلم اتمكن
من ذلك .. واذكر اننى مشيت من الجيزة حيث كانت مغامرتى الاولى والاخيرة
حتى منزلى بشبرا وأنا لا أعرف سببا محسدا لهذا الموقف الشاذ فى نظر
زملائى الذين عرفوا القصة من المرأة ، فراحو يتهمون على ويسخرون
من قدراتى ويشككون فيها .. ولسنوات طويلة ظننت ان ذلك نقصا فى
تكوينى .. لكن بعد أكثر من ٢٤ عاما عرفت الحقيقة .. عرفت ان لحظة
الاتصال الحسى بالنسبة للانسان السوى لا تحدث الا نتيجة التفاعل
الانسانى والفكرى والعاطفى .. وهذه اللحظة هى أصق لحظات
الانسان الحقيقى .. واظن ان مثل هذه اللحظات الصاقية .. نادرة
جدا ندرة الانسان الصادق وسط عالم مزيف منافق ..

ورحت فى اغفائه صحت منها على صوت ينادينى ..
شرطيان وضابط بملابسه الرسمية يقودهم البكبايسى أحمد حلمى ..
جاءوا كى يصحبونى الى نيابة أمن الدولة .. للتحقيق معى ..

كانت هذه هى المرة الاولى التى أرى فيها « تخشيبية » قسم الشرطة
ومنها خرجت الى سجن مصر ثم الى سجون أخرى كثيرة سأحدثك عن
ذكرياتى فيها فى رسائل القبلية .. وكانت المرة الثانية التى عرفت فيها
« التخشيبية » هى يوم الافراج عنى بعد ١٢ عاما عشتها فى سجون مصر
المختلفة ..

وكل « تخشيبات » أقسام الشرطة تشهد مع صباح كل يوم نشاطا
كبيرا .. اعداد من رجال الشرطة يحملون القيود الحديدية التى توضع
فى المعصمين وهو يستخدم مع « الخطرين » أو جنزيرا طويلا يربطون به
عددا من المتهمين « غير الخطرين » .. ومع اشراقة صباح كل يوم عندما
يسمع نزلء التخشيبية صوت القيود والسلاسل الحديدية مختلطة
باصوات الشرطة تنادى عليهم يستعدون جميعا للرحيل .. وعادة
يعرف كل واحد اين سيذهب .. هذا للتحقيق معه ثم السجن ..
وهذا لترحيله الى سجن بعد ان حكم عليه .. وهكذا .. كنت انا
الوحيد الذى قضى ليلته فى « التخشيبية » ليفرج عنى فى الصباح ..

وعندما نودى على ، تجمع حولى كل من فى « التخشيبية » وعانقونى
فى ود ومحبة وأصر بعضهم على ان يعرفوا عنوانى ليزورونى .. وبالفعل
حدثت صداقة مع عدد منهم لسنوات طويلة بعد الافراج عنى ..

وعلى الرغم من اننى خرجت من التخشيبية حوالى الساعة الثامنة صباح يوم

٥ أبريل ١٩٦٤ فأننى لم اغادر قسم مصر الجديدة الا الساعة التاسعة مساء حبب صحبوني الى المباحث العامة ومنها الى المنزل الذى وصلتته حوالى الثانية عشر مساء وخلال تلك الساعات حدث الكثير .. وهو ما ساحيكه لك يا حبيبتي فى الرسالة المقبلة .

١٢ يناير ١٩٧٧
بغداد

الرسالة رقم ٥

حبيبتي

فى الثامنة والنصف صباحا كنت فى مكتب مأمور قسم مصر الجديدة
أعمل الاجراءات اللازمة للافراج عنى • حيانى الرجل بابتسامة عريضة
وودودة وحولنى الى الجاويش المختص بمثل هذه الاجراءات •• وما كاد
الجاويش يبدأ فى تدوين البيانات المطلوبة •• الاسم •• السكن ••
للعمل •• الخ حتى دخل رجل بملابس مدنية •

وهمس بكلمات لم اتبينها فى اذن الجاويش الذى تحرك ليتوجه مع
ضابط المباحث الى مأمور القسم •• ثم عاد ليقول لى ان على ان انتظر
حتى تاتى الأوامر بالافراج •

قلت مستفسرا :

- أوامر؟

رد على الرجل بصوت فيه كل رنات الأسى :

- والله يا ابنى ما أنا عارف •

- امال مين اللى يعرف ؟

- المباحث العامة •

ولعب الفار فى « عبي » •• لا بد ان أمرا قد حدث •• طلبت من
الجاويش ان اقرأ صحيفة الصباح •• فناولنى اياها وهو يبتسم
ابتسامة من يعرف ما الذى اريد ان اعرفه من قراعتى للجريدة ••
وبعد ان تصفحت أهرام ٥ أبريل ١٩٦٤ قلت :

- مفيش انقلاب ضد عبد الناصر •• ايه الحكاية آمال ؟

- والله يا ابنى ما يعرف الحكاية الا المباحث العامة •• اصبر شوية
ربنا يفرجها •

ذهبت الى مأمور القسم لاعرف منه الموضوع وقبل ان ادخل مكتبه
قابلت بعضا من أمالى المسجونين الذين ما زالوا فى الواحات ولم يصدر
عنهم قرار الافراج بعد •• وعرفت منهم الحكاية ،

بعد أقل من ساعتين من تحرك السيارات بنا من سجن **الحساريق** **بالواحات الخارجية الى اسيوط** ومنها الى القاهرة للامراج عنا نحن المعتقلين ٠٠
 حيرت المباحث مع مأمور السجن **مؤامرة** ضد المسجونين الذين تركناهم فى انتظار القرار **الجمهورى بالافراج** عنهم راح ضحيتها الشهيد « **لويس** »

اسحق « وجرح محمد سيد أحمد و د . اسماعيل صبرى عبدالله .
 بدأت **المؤامرة** بتحرس **مأمور السجن** بواحد من الزملاء الشبان انتفاء
 « فسحة » الزملاء المسجونين ٠٠ وكان هذا التحرس هو ساعة الصفر ما ان بدأ
 المسجونون يتجهون الى حيث يقف المأمور والزميل حتى انهال **رصاص**
المدافع الرشاشة من وراء الاسوار الخارجية للسجن ٠٠ وأسفطت إحدى
 الرصاصات الغادرة الشهيد « **لويس اسحق** » واصابت اخرى وجهه
محمد سيد أحمد وأخرى ساق د . اسماعيل صبرى عبدالله وكادت تتحول
 الى مجزرة بروح ضحيتها عشرات الزملاء لولا تدخل أحد ضباط السجن
 الذى صاح بأعلى صوته .

- اخذوا هذه مؤامرة ضدكم .
 واعطى أوامره للسجانة دون اذن من المأمور ويبدو أنه كان يعرف
 تواطؤه مع المباحث العامة بالكف عن اطلاق الرصاص ٠٠ ونصح
 الزملاء المسجونين بدخول العنابر .

وحمل هذا **الضابط الوطنى** برقيات الزملاء المسجونين الى الرئيس
جمال عبدالناصر بوضوحون فيها ابعاد المؤامرة وأهدافها ويطلبون
 التحقيق الفورى ويكررون تأييدهم لسياسة الرئيس الوطنية التقدمية .
 كما حمل خطابات الى أهالى المسجونين كى يرسلوا برقيات ماثلة
 الى الرئيس ويذهبوا الى رئاسة الجمهورية يطلبون التحقيق .
 وحتى ساعة متأخرة من ليل يوم ٤ أبريل كان كل أهالى المسجونين
 مقسمين بين رئاسة الجمهورية ومنزل الرئيس **جمال عبد الناصر** يعلنون
 تأييد أبناءهم للثورة وقائدها ويطلبون التحقيق فى المؤامرة التى
 تستهدف الايقاع بين الشيوعيين والثورة وبالتالي الغاء قرار الافراج عنهم .
 ولم يهدأ بال أهالى الا بعد ان سافر بعضهم مع النيابة التى أمر
 الرئيس عبد الناصر بسفرها فورا الى **الواحات** للتحقيق . « نرى التحقيق
 شهد الضابط الوطنى وبعض السجانة « ما حدث من أسوأ مأمور
 السجن لأحد الزملاء . « وشهد بعض السخابة بأن المأمور أمرهم بالاستعداد
 بحمل الرشاشات واتخاذ مواقعهم خلف الاسوار الخارجية للسجن
 واطلاق النار على المسجونين عند حدوث مشاحنة بينه وبينهم ، وان
 هذه الأوامر صدرت فى حضور واحد من ضباط المباحث الذى كان
 قد حضر بعد رحيلنا مباشرة .

وعندما عرض التحقيق على الرئيس عبد الناصر أمر باحالة مأمور السجن الى المعاش والتحقيق لمعرفة من الذى دبر هذه المؤامرة فى المباحث العامة • ويبدو ان نقل حسن المصيلحي من المباحث الى الجوازات والجنسية كان دليلا على تدبيره للمؤامرة • ولحسن المصيلحي هذا - وهو منذ أواخر عام ١٩٦٤ يملك شركة للتصدير والاستيراد فى جنيف - قصص مع الشيوعيين المسجونين والمعتقلين سأحكىها لك يا حبيبتي فى رسائل مقبلة • وبالطبع كنت انا وبعض الذين لم يخرجوا يوم ٤ أبريل - وقبل ان تصل أوامر المباحث بحجزنا رهائن فى أقسام الشرطة لحساب المباحث العامة - فى انتظار نتائج المؤامرة حتى اذا حققت أهدافها وفى قرار الافراج نعود مرة أخرى الى المعتقل • حتى الذين أفلتوا وخرجوا يوم ٤ أبريل ذهب رجال المباحث الى بيوتهم للاطمئنان على وجودهم للقبض عليهم مرة أخرى عندما تنجح المؤامرة ! غير ان الكثيرين منهم تركوا منازلهم ولم يعودوا اليها الا بعد ان فسلت مؤامرة المباحث العامة • وفى الساعة الثامنة مساء ٥ أبريل كنت فى حجرة الضابط النوبتجى لانتهاء اجراءات الافراج عنى •• وعلى باب قسم البوليس حيث تجمع حولى الأهل والأصدقاء ، رأيت ضابط مباحث القسم وعلى وجهه ابتسامة مسطحة •• هنأنى بالافراج •• وبأدب رجال المباحث المعروف طلب منى أن أصحبه فى سيارته لمقابلة حسن المصيلحي • انهال عليه أخى « رحمه الله » بالشتائم وصرخت زوجته السابقة ورفض الأصدقاء ان اصحبه •

قال ضابط المباحث فى برود شديد

- لك مطلق الحرية فى ان تحضر أولا تحضر •• كل ما فى الأمر ان سيادة اللواء « حسن المصيلحي » يريد أن يتحدث معك قليلا • « تملكتنى رغبة شديدة فى الذهاب الى حسن المصيلحي كى اسمع ما سيقوله عن المؤامرة التى دبرها من مكتبة فى القاهرة قلت للضابط بسخرية :

- سأحضر معك من الواجب ان اشكر الرجل الذى استضافنا واكرم ضيافتنا !

قال :

- انتو مش فاهمين •• احنا موظفين بنفذ أوامر عليا •

- ومؤامرة المحاريق •• كانت أوامر عليا أيضا ؟

امتقع وجه الرجل ولم يجب ركبته معه ومعى أخى وبعض الأصدقاء فى عربته •• ولحقت بنا ثلاث سيارات أجرة تحمل الأصدقاء •• استقبلنى أحمد صالح داود رئيس قسم مكافحة الشيوعية وكانت هذه هى المرة الثالثة التى اقابل فيها هذا الرجل • كانت المرة الأولى فى سجن مصر عندما رحلت اليه من

سجن المحاريق بالواحات حبيب كان من المفروض ان يفرج عني في ابريل ١٩٦٢ .
غير ان المباحث العامة استضافتني عامين آخرين كما سبق ان اخبرتك
يا حبيبتي في رسالة سابقة . في ذلك اليوم كان معي زميل في قضيتي
نفسها وزميل آخر في قضية أخرى ، أنا وزميلي الأول فبض علينا في يوم
واحد وحكم علينا بعقوبة واحدة ، أما الزميل الآخر فكان حكمه
٣ سنوات وسيفرج عنه قبلنا بأيام . وفي صباح اليوم نفسه الذي خرج
فيه الزميل الثالث وبعد أقل من ساعتين ، اهتزت جدران السجن .
انتباه . . . انتباه . . . انتباه . . . يصبح بها السجانة بصوت عال جدا
حين تصل الى السجن شخصية خطيرة مثل شخصية أحمد صالح داود .
دقائق وكان هذا الرجل الخطير ومعه ثلاثة من ضباط المباحث ومأمور
السجن وعدد من الضباط والسجانة قد ملأوا الزنزانة الضيقة
التي تحتويني وزميلي صاح سجان بصوت عال :

- تفتيش . . . تفتيش . . .
الذعر يملأ مأمور السجن وضباطه . . . تلتقي نظراتهم بعيني التي
ترسل اليهم نظرات مطمئنة معناها بلغة السجون .

- لا يوجد شيء ممنوع . اطمئن . . .

والتقت نظرات أحمد صالح داود وضباط المباحث الذين معه بعيني فلم
يجدوا بهما سوى تساؤل ساخر عن سر مقدمهم المفاجيء . وبعد دقائق
معدودة كان كل شيء واضحا . الغرض الذي أتى من أجله ضباط المباحث
لم يتحقق . . . لم يجدوا علبة السلمون !

لا تضحكي يا حبيبتي . . . أقسم لك انهم جاءوا من أجل علبة سمك
سلمون ! لكنهم لم يجدوها ولم يجدوا حتى « الكوز » الفارغ !
قال أحد الضباط بغضب :
- فين الأكل اللي كان معاكو .

قلت بسخرية . . .

- قصدك علبة السلمون ؟

ازداد غضبه ولوح بيديه .

- أبوه فين هيه . . . ؟

- اظن كان فيه علبة هنا واخذها معاه زميلنا الذي خرج
اليوم اسالوه عنها . . . لعله لم يزل عندكم بعد في الانتظار .

خرج ضباط المباحث وقد امتلأت وجوههم بالحقد والغضب . . . لقد
فشلت مؤامرتهم لتلفيق قضية جديدة لي وزميلي من أجل استضافتي
عشر سنوات أخرى .

كان معنا بالفعل علبة سلمون .. تركها معنا الزميل الثالث الذى ترك السجن فى صباح ذلك اليوم طالبا منا ان نعطيها لاحد زملائنا فى سجن القناطر الخيرية الذى سنذهب اليه انا وزميلي الثانى قبل اعتقالنا من جعيد أو الافراج عنا من هناك . لا أدري لماذا ساورنى الشك فى الزميل الثالث ربما لأنه مكث طول الليل يكيل لى المديح والثناء كيلا الى الحد الذى جعلنى اشك فى أنه يجبر شيئا . وحتى صباح اليوم التالى كانت علبة السلمون فى حوزته .. واعطاه لى قبل ان يتترك سجن مصر بدقائق .. ولم تمض دقائق بعد أن ترك الزنزانة الا وكانت العلبة مفتوحة .. لم يكن بها سمك السلمون اللذيذ .. وانما كانت محشوة بالأوراق . بعضها مكتوب بخط البد .. وبعضها مطبوع على الرونيو .. وبسرعة أحرقت وزميلي كل الأوراق فى « جردل البول » وتصادف ان جاء موعد « الفسحة » .. والفسحة معنا ان يخرج السجن الى دورة المياه ليقضى حاجة ولبلق « الحاجة » التى تجمعت فى الجردل طول الليل وساعات النهار التى تغلق فيها الزنزانة .. وفى دورة المياه ازال زميلي الثانى أى أثر للورق المحروق واعطى الكوز لاحد المساجين الذى فرح به كثيرا فان له استعمالات عديدة فى السجن . مأمور السجن فهم هذا كله دون ان انطق بكلمة .. وكان سعيدا سعادة لا حد لها .. وعند انصراف هذا الجمع الحاشد الذى جاء لضبط علبة السلمون .. تأخر المأمور خطوات ليشد على يدى شاكرا ممقنا فلو ان المباحث وجدت علبة السلمون لنكلت به وبكل ضباط السجن وسجانيه .

تسألين .. لماذا يا حبيبتى ؟ .. سأقول لك .

عند دخول أى سجن الى السجن أو خروجه منه لى غرض .. التحقيق معه . أو العلاج .. الخ يجرى تفتيشه بدقة شديدة حتى لا تدخل معه أو تخرج ممنوعات . والممنوعات كثيرة جدا .. تبدأ من الشاى والسجاير والمخدرات وتنتهى بالنشورات « الشيوعية » . وكل المنوعات بما فيها المخدرات لا تساوى شيئا الى جانب « النشورات » ! ويا ويل المسجون السياسى الذى تضبط معه ورقة مكتوب بها أى كلام أو حتى نظيفة قهى دليل على أنه ينوى كتابة أفكار « هدامة ومستوردة » ولكن اذا وجدت مخدرات مع مسجون فلا بأس .. فالجميع يمكن ان « ينبسطوا » !

وعادة يقوم ضباط السجن بتفتيش المسجونين الخطرين أمثالنا بحثا عن منشورات أو أوراق نظيفة بوصفها « مشروع منشورات » . وفى حالتنا هذه لو ان المباحث وجدت علبة السلمون أيها وما بهما من أوراق لانهت الدنيا على مأمور السجن وضباطه وسجانيه لاهمالهم وعدم

بفظتهم وبالنالى يضع رجال المباحث أرجلهم فى السجن بشكل واضح
 رهو ما يرفضه صباط السجن حيب يخدمون فى هذا ندخلا فى عملهم ،
 مفانون السجنون لا يسمح لضباط المباحث بدخول السجن والتفتيش واذا
 حدث فيكون ذلك باذن من وزير الداخلية ، حدث ذلك فى حالتنا هذه وفى
 حالات اخرى نادرة جدا . لم أعرف ماذا حدث « الزميل » الثالث
 حين عاد ضباط المباحث بخفى حنين . لكنه أفرج عنه على أى حال
 وعدت وزميلي الى سجن القلعة تم المحاربين معطين . ونحن افرج
 عنى فى أبريل ١٩٦٤ وجدت هذا الزميل الثالث يكتب فى الصحف والاذاعة
 والتليفزيون ويؤلف الكتب الكثيرة ، فى النقد والادب ، وحتى السياسة !
 وهو حتى كتابة هذه السطور كاتب « كبير » ينسار اليه بكل أصابع
 اليدين والرجلين ! كانت هذه هى المرة الاولى التى أقابل فيها
 احمد صالح داود وكانت المرة الثانية يوم ان ذهبوا بى من سجن
 انتظارية الى المباحث العامة لاعتقالى . . . أو للافراج عنى .
 يومها لم أسك لحظة فى اننى ساعقل . . وما كنت أعكر فيه هو
 اننى سأفقد كثيرا من امتيازات المسجون . . سأخلع الحذاء وامشى حافيا . .
 لن يسمح لى بالزيارة كل مدة كما تقضى لائحة السجن . . لن أستطيع
 شراء نسيء من الكانتين . . الخ . . الخ . . والبدلة « الملكى » التى ألبسها هذه
 ستجد طريقها مرة أخرى الى مخازن السجن الى زمن لا أعرف مداه . .
 اسم ألبسها قبل عشر سنوات الا أياما قليلة خلعتها مره أخرى كى
 ألبس « بدلة » المعتقل !! ما كنت ادخل باب المباحث العامة حتى وجدت
 زوج اختى « رحمه الله » ومعه احد اخوتى الكبار . هجم على وهو يكاد
 يخنق من البكاء ويقول :

- اخنك فى انتظارك . . راح تموت لو ما طلعتش . .

ويقول اخى :

- ذنب اخنك فى رقيبك . . اعمل اللى يقولوا لك عليه . .

لم أجب عليهم وطلبت من الضابط أن ينهى الاجراءات المطلوبة . . .
 يقول وعلى وجهه ابتسامة باردة . . باعتة . . خبيثة . .

- مستعجل ليه . . خليك شوية مع امك . . يا أخى هما مش واحشيفك
 . . الا أبه ؟

أب بغضب والالم يمزعنى

- من امنى المواقف الانسانية تى ؟

وتعمد هذا الوحش فى زى الانسان ان يتركنسى مع زوج اختى الذى يبكى
 كالاطفال واخى الذى يلح على أن أكون واقفيا ! واكتب لهم ما يريدون .
 أكثر من نصف ساعة لم أستطع ان احبس الدموع التى طمرت من عيني !
 ولم اتكلم كلمه واحدة .

(م ٣ - الرسائل)

وفي مكتب أحمد صالح داود كان كل شيء قد انتصح قال :

- أنت عارف أيه فيه طريقة الخروج ؟

قلت بهدوء :

- طبعا عارف .

- وأيه رأيك ؟

- انت عارفه .

وتوجه الرجل بحديثه الى أهلى قائلًا .

- ما فيش فايده .. أنا قلت لكو .

وانصرف أهلى يبكون .. وذهبت انا الى سجن القلعة .. ومكنت به عشرة أيام فى زنزانة مغلقة لم أخرج منها سوى مرتين ، مرة لمقابلة أحد ضباط المباحث الذى جاء يقول لى ان اختى فى خطر ولن ينقذها سوى خروجى .

- وهل امتنعت عن الخروج ؟

قال :

- كلمتين تكتبهم وتخرج ..

قلت بغضب :

- انت عارف الاجابة ؟

يومها قضيت أسوأ ساعات عشتها فى حياتى .. كان سؤال يطن فى رأسى . هل أنا مسئول عن موت اختى ؟ . المسكينة التى مرضت يوم اعتقلونى قال لها الأطباء ان سفاءها يتوقف على صدمة مماثلة ولكن مفرحة .. لست مسئولاً .. حياتى نفسها أقدمها ثمنا لما اعتقده . والمرة الثانية التى خرجت فيها من زنزانة سجن القلعة كانت لترحيلى الى سجن المحاريق بالوحدات الخارجة . بعد يومين قرأت فى الأهرام فى مكتب مأمور السجن اسمى فى نعى اختى رحمها الله . قدم لى الرائد «...» مأمور السجن العزاء . وكانت تربطنا بهذا الرجل بعد تجربة مريرة علاقات طيبة وإنسانية سأحكيها فى رسائلى المقبلة .

والمرة الثالثة التى قابلت فيها أحمد صالح داود كانت فى مساء ٥ أبريل ١٩٦٤ بعد الإفراج عنى من قسم شرطة مصر الجديدة . ما ان رأتى أدخل عليه فى مكتبه حتى هب واقفا .. ابتسامة عريضة مصنوعة على وجهه، ويده ممدودة بالتحية .. وقال :

- ارجو انك ما تكونش زعلان .

- ودى مسالة تهم سيادتك ؟

- طبعا تهمنى .. خصوصا الآن .

- ولماذا الآن بالذات ؟

- من أجل الثورة والتطور الاشتراكي .
- ومؤامره أمس ضد زملائنا .. كانت من أجل ذلك ؟
- ويرد الرجل بخيب سديد :
- عيبكو يا شيوعبين انكو بتحطوننا في كفة واحدة . انا ليس
- لى علاقة بما حدث أمس والتحقيق اثبت ذلك .
- فهمت ما بنصده .. ولم أعلئ .. وعند انصرافى قال للصابط الذى
- يرافقنى .
- اللواء حسن المصيلحي عاوز يشوف الأستاذ ..
- وجئت الرجل « مهذباً » أكثر من اللازم الى درجة أنه استقبلنى
- على باب مكتبه ثم رفض ان يجلس حتى اجلس أنا ! قال :
- ارجو ان تفهموا موقفى على حقيقته ..
- موقفك بالذات معروف لنا تماماً .
- قال بأدب متجاعلا سخرينى
- موقفى ينبع من أرضية فكرية .
- ولحساب من هذا الموقف .. الذى تسميه فكريا ؟
- بلغ الرجل كلماتى .. ومد يده محنيا .. انصرفت الى منزل أخى لأول
- مرة بعد ١٢ عاما . وبعد أيام نفل حسن المصيلحي الى ادارة الجوازات
- والجنسية .
- والمرة الثانية التى قابلت فيها حسن المصيلحي كانت فى صيف عام ١٩٦٨ !
- فى خلال استراحة احد المسارح وكان معى **الرحوم الدكتور محمد الخفيف**
- وجرى حديث بينه وبين **حسن المصيلحي** وكنت صامتا . وادرك الخفيف
- اننى لا اذكر حسن المصيلحي .. فقال من خلال ضحكته العالية المشهورة
- عنه ..
- أنت مش عارف الأستاذ والا أيه ؟
- قلت وانا اتأمله محاولا تذكره ..
- والله مش واخذ بالى .
- حسن المصيلحي .
- و حينئذ ردت كلمة دون أن أشعر
- بساقر ..
- ضحك حسن المصيلحي وقال :
- لا خلاص .. انا دلوقت رجل أعمال .
- وأكمل **الدكتور محمد الخفيف** بخفة دمه المعروفة .
- شركة استيراد وتصدير يا استاذ .. فى جنيف .. أمال .. عقبال
- أملكك .

- أمل عدوبنك يا دكتور .
ويقول المصليحي . .
- ليه بقى . . والنسلة دى فيها أبه كمان .
قلت بسخرية :
- يعنى . . ترقية . . السفل بقى على مستوى عالمى .
قال :
- يعنى انت لسه عند رأبك . . طيب دلوقت لحساب وبين ؟
قلت ضاحكا :
- لحساب كله . . عالمى با أسناذ .
قال :
- على أى حال أنا ضد الشيوعية . . من موقع فكرى .
قلت والخفيف فى نفس واحد بسخرية :
.. واضح . . واضح جدا .
فى ذلك اليوم حكيت للدكتور محمد الخفيف ما دار بينى وبين حسن
المصليحي مساء يوم ٥ ابريل ١٩٦٤ :
حبيبتي
مذه هي الرسالة السادسة اليك . . ومازلت عند احداث يوم الافراج
رأيت ان ابدأ بها . فربما تعطبك فكرة عن بعض ما تريدين معرفته
عنى . أما عن ذكرياتي خلال ١٢ عاما من السجن والاعتقال فموعد
رسائلى المقبلة .

١٤ يناير ١٩٧٧
بغداد

الرسالة رقم ٦

حبيبى

بعد ذاك الابله المثيره التى فضيحتها فى « تخشبية » قسم بوليس
الوايلى ، اخذنى البكباشى أحمد حلمى « رئيس قسم مكافحه الشيوعية »
ومتخذ الى النيابة العسكرية ، فقد كانت الأحكام العرفيه معلنه منذ
حريق القاهرة فى يناير ١٩٥٢ . كانت السهور النى نلت حريق القاهرة
تسهد ازله النظام الخائفة وعجزه عن الاسمرار بالأساليب التقليديه
بما ديجا الأحكام العرفيه ذاتها وكانت الدوره نلت الابواب ، ولكن لم
يكن هناك النظام الجماهري القادر على القيام بشوره سعيه تطيح
بالنظام الملكى . ومن هنا كان موقفنا عو التحدير من انقلاب فائسى
والنضال من أجل عودة حكومة الأغلبية ، حكومة الوفد . كانت السلطة
الحقبيه هى للبوليس السياسى ، وبالتالي كان البكباشى أحمد حلمى
هو الحاكم الفعلى وبدد الاستعمار الأمريكى الذى بدأ منذ الخمسينات
على وجه الخصوص يوطد نفوذه فى البلاد . حين بدأ رئيس النيابة
العسكرية النقيب معى بجاهل تماما طلبى بعدم حضور أحمد حلمى التحقيق
ولما كررت طلبى القانونى هب واقفا من على مقعده وقال بغضب كلاما
لم اتبينه . وحين طلبت ان يثبت فى المحضر حضور أحمد حلمى . رفض
أيضا بغضب . . . ملت بهدوء :

– طيب على الأفضل . . . واحتراما للسلطة القضائية . . . هل تأمر بفك
القييد الحديدى من معصمى ! اختلطت حمرة الغضب بحمره الخجل ليكسو
وجه لون غريب جسد كل ما يعانىة الرجل من مذله ومهانته .
بعد نثره صمت قصيره ، تدخل أحمد حلمى وأمر بفك القيود من
بسدى !

كسر . . . سريعا . . . سيرا فلم يدار . . . أى شئ . . . مانوى يثبت
تهمه بأفيس وزارة وتنظيم « الحزب النسخ » فى الأسرى . . . حتى تقارير
البوليس السياسى لم تكن تعرف اسمى الحفيى فحتى يوم القبض على
فى ١٨ يوليو ١٩٥٢ كنت موظفا بالحكومة لذلك كنت قد قررت قبل
بدء التحقيق أن استقيد من موفى القانونى فى القضية وهذا ما نصح به
المحامون بعد ذلك . ولم يكن فى القضية سوى وزميل آخر مارسوا معه
كل أنواع الضغوط ليعترف على فلم يرضخ . انتهى التحقيق فى أيام وبقينا

فى سجن مصر فى انتظار فرار الاتهام ثم المحاكمة وخلال تلك الايام أكد المحامون بان النيابة سوف تفرج عنى حيث لا دليل واحد عندها ضدى .

وخلال شهر أغسطس صدرت تصريحات من فتحى رضوان وزير « الارشاد القومى » نفيد بان كل المسجونين السياسيين الذين اعتقلوا قبل ٢٣ يوليو سوف يفرج عنهم فوراً . وخلال زيارات الاهالى لنا فالوا ان فتحى رضوان أكد بان السبوعيين الذين اعتقلوا فى العهد الملكى سوف يفرج عنهم وجاءنا من قنادات المنظمات المختلفة بان خروج كل الذين اعتقلوا قبل ٢٣ يوليو وكان عددهم لا يتعدى الالانين أمر لا شك فيه وبعد أيام خرج الاخوان المسلمون والمنهمون فى الاغتيالات السياسية وفى مؤامرة حريق القاهرة ، ثم صدر قانون يعطى الحق للذين يرون أنهم سياسيون ولم يفرج عنهم بتقديم تظلمات أمام محكمة خاصة سككت لهذا الغرض . وتقدمنا بتظلمات نظرت أمام هذه المحكمة وقدم المحامى أحمد شوقى الخطيب مذكرة هامة أورد فيها نصوصا من الدستور المصرى والقوانين المصرية وأحكام القضاء المصرى فضلا عن دساتير معظم دول العالم المتحضرة تؤكد حقنا فى الافراج عنا . وبعد عدد من الجلسات أصدرت المحكمة حكما برفض تظلماتنا وقالت فى حيثيات الحكم ان الشيوعيين ليسوا سياسيين وإنما هم اقتصاديين وأنهم يصبحون سياسيين فى حالة ، احده فقط هى حالة اسبلائهم على السلطة !!

قبل نظر قضية التظلمات السياسية كان قرار الاتهام قد وصلنى فوجدت نفسى أنا وزملى مصطفى كمال خليل ، الذين اعتقلنا قبل ٢٣ يوليو فى قرار واحد مع ٢١ آخرين قبض عليهم بعد ٢٣ يوليو والاتهام الموجه للجميع هو قلب نظام الحكم . . اثنان متهمان بقلب نظام الحكم الملكى والباقي متهمين بقلب نظام الحكم الجديد !!

بعد أيام من رفض تظلماتنا سحبت قضيتنا من امام محكمة الجنابات العسكرية وأعضائها من مستشارين كى بنظرها مجلس عسكرى أعضاؤه من العسكريين وبرئاسة القائمقام أحمد شوقى عبد الرحمن ونائب أحكام عسكرى وبإجراءات مجلس عسكرى . وكانت هذه أول قضية شيوعية يشكل لها مجلس عسكرى خاص .

وقد نشرت روز اليوسف خبرا يقول بان الدوائر الأمريككية ارتاحت لتسكبل مجلس عسكرى خاص لمحاكمة الشيوعيين . وظللنا أياما قبل بدء المحاكمة نسال باى قانون سوف نحاكم ؟ هل بقانون صدقى الذى أقصى عقوبة فيه هى ١٠ سنوات أشغال شاقة ؟ أم بقانون محاكم الثورة الذى تصل أحكامه الى الاعدام ؟

وأصبح قانون صدقى الذى صدر عام ١٩٤٦ غير الدستورى لأنه صدر

مى عذبة البرلمان حلما نمنناه " ومضت أمام لم نصلنا اى اجابة على
عدا السؤال حتى المحامين الذين وكلوا للدفاع عنا لم يعرموا احابة على
عدا السؤال " أكثر من ذلك لم نكن نعرف ولا المحامس يعزمون أين
سنحاكم " . هل مى احدى قاعات **الحاكم الجنائية** أم مى أحد **معسكرات**
الجيش ؟ ووصلنا اشاعات تفول بأن النبة نجه الى عمل محاكمات سريعة
مى أحد **معسكرات الجيش** واصدار عدد من الاحكام بالاعدام وتنفيذها
فورا رهيا بالرصاص !

وعكذا عسنا أكثر من عشره أيام نهبا للاساعات والاشعار الحصاره ، غير
ان الروح المعنويه للغالبية العظمى من الزملاء المدمن الى هذه **الحاكمه**
الاستثنائية كانت عالية للغابة ، وتغلبت روح - **الاستشهاد فى النهايه**
وكما فى نهار كل يوم نغفد الاجتماعات لتقوية الروح المعنوية ، وفى
المساء بعد قفل الزنازين ننشد الاناشيد الوطنية .

ولم نعرف موعد المحاكمة ومكانها الا فى صبح نفس اليوم الذى
خرجنا فيه للمحاكمة ، ولم نعرف وفق أى مانون سنحاكم الا من نائب
الاحكام البكباشى حسن سرى قبل ان تبدأ أول جلسة للمحكمة .

وبدأت محاكمتنا لتستمر أكثر من شهرين ثم توفت لبدا محكمة
جديدة برئاسة **اللواء فؤاد الدجوى** بعد ان قبض على رئيس المحكمة
الأولى أحمد شوقى عبد الرحمن .

وكانوا يريدون لهذه المحاكمة أن تكون أرهايا لنا ولكل زملائنا فى الخارج،
ولكننا حولناها الى مهزلة حين تحديننا اربابهم وحدنت أناء محاكمتنا أمام
الحكمهين قصص طريفة . . موعدها معك با حبيبتي فى الرسائل المقبلة .

١٥ يناير ١٩٧٧

بغداد

الرسالة رقم ٧

حبيبتي

كان يوم ٨ يوليو ١٩٥٣ يوما غير عادي في سجن مصر . فمن المعتاد ان تفتح زنازين كل عنبر حوالى الثامنة صباح كل يوم « لتنظيفها » ولكى يفضى المساجين « حاجتهم » فى دورات المياه ، ثم ينزلون الى فناء السجن فى « طابور » صباحى ، بعدها ينسلمون وجبه الغذاء ، ثم تطلق الزنازين . لكن فى ذلك اليوم لم تفتح الزنازين فى الموعد المعتاد . الزنازين التى كان بها الزملاء المقيمون فى القصص الاولى المقدمة الى المجلس العسكرى برئاسة القائم مقام أحمد شوقي عبد الرحمن هى فقط التى فتحت تحت اشراف مأمور السجن وضباطه ، ووسط صيحات السجانة وتساؤلات المساجين !

نزلنا من الطابق الثانى عنبر ب فى سجن مصر وهتافاتنا تهز كل جدران السجن . عاش نضال الشعب المصرى . . تحيا مصر حرة مستقلة وكان زملاؤنا من المنظمات الأخرى ينشدون . . بلادى بلادى ويلوحون لنا بأيديهم منجعين .

وفى غرفة المأمور كان هناك عدد من الأطباء الضباط لاجراء الكشف على قلوبنا . . لا أدري لماذا ؟

بعد الكشف على قلوبنا ووضع القيود الحديدية فى معاصمنا خرجنا من باب السجن العمومى لنجد أربع سيارات وقد امتلأت برجال الشرطة . . الأسلحة الرشاشة فى أيديهم مصوبة نحونا . . وعربتان مغلقتان تماما مثل الزنازنه ، وفى مؤخرتها شرطيان يمسكان بالدافع الرشاشة . كانت المنطقة المحبطة بالسجن خالصة تماما . . الدكاكين مغلقة . . لا باعة . . ولا أهالى فقد منعت الزيارة فى هذا اليوم . ومن الطريف أن قائد الحرس كان لايعرف شيئا عنا فسالنى .

- أبه الحكاية يا ابنى انتو متهمين بأيه ؟

- سيوعبة .

- طيب وليه الهيصه دى كلها ؟

قلت بسخرية :

- ببسو ان احنا خطرين قوى . .

وأردت أن أعرف منه أين سنحاكم وكانت مفاجأة مذهلة حين قال لى أنه لايعرف بعد !

- أَمال راح تودينا فين ؟

قال الرجل الطيب :

- ادينى مستنى الأوامر ..

وعرفت من البكباشى رئيس الحرس أنه استدعى مساء أمس من قفأ
حيث يعمل هناك - فى مهمه سرية جدا وعلمه أن يتواجد فى سجن
مصر يوم ٨ يوليو ١٩٥٣ !

بعد حوالى نصف ساعة تحرك الموكب المهيّب .. سيارتان فى المقدمة
ورشاشات تحملها الشرطة مصوبة الى امام العربيتين اللتين تركبهما
وسيارتان خلفنا والرشاشات مصوبة الى الخلف ..

نادانى مأمور الحرس لأجلس الى جانبه ... بعد دقائق فأت ضاحكا :
- أيه العظمة دى كلها !

رد على الرجل وكان التأثر بادبا على وجهه .

- يا ابنى انت فى أيه والا أيه بس !

- با سبدي ولا يهكم .. لكن احنا راح نتحاكم فين ؟

- فى محكمة الاستئناف بباب الخلق

صحت فرحا وأعلنت الخبر للزملاء .

تعجب المأمور وسألنى فى اندهاش

- أيه الحكاية مبسوطين قوى كده ليه ؟

قلت :

كنا فاكربن اننا رابحن أحد معسكرات الجبش ... نتحاكم هناك

زى خميس والبقرى ...

علق الرجل وقد ازداد اندهاشه .

- ليه يا ابنى وانتو عملتوا أيه ؟

كان الموكب قد وصل الى ميدان باب الخلق .. هذا الميدان المزدهم
الذى لاتجد فيه موطأ لقحم .. كان خاليا تماما .. من السيارات
وعربات الكارو .. ومن كل الناس . وقفت عربات الموكب ، وعلى طول
السلم والطرقات المؤدية الى قاعة المحكمة .. اصطفت اعداد هائلة من
الجنود بحملون أسلحتهم ، ووسط هذا الحشد الهائل من الجنود .. سرنا
نرفع ابدينا المقبدين بالقيود الحديدية نحى أعاليها الذين وقفوا على
مبعدة منا وننشد .. بالادى .. بالادى .. لك حبي وفؤادى ..

وبعد أن أدخلونا قفص الاتهام .. دخل الأهالى والمحامون الى قاعة
المحكمة . جاء عدد كبير من المحامين التقدميين والوطنيين . كان من
التقدميين أسماء لامعة ولمعت أكثر فى الستينات .. وكنت اعرفهم
جميعا .. للأسف كان موقفهم مخزبا .. واحد منهم تنحى عن الدفاع
على وآخرون تنحوا أيضا .. ولما سللت عن السبب قالوا :

- أصل ما فيش فايذة .. الأحكام صادرة .. صادرة .
- يؤسفنى أن أقرر اننى اسقطتهم جميعا .. واحتقارا لشانهم لم اعلق .
- الذين دافعوا عنا كانوا متطوعين كان من بين **الوفدين** .. **سليمان غنام** ، **أحمد الحضري** ، ومن بين رجال المحاماة البارزين **موريس أرفش وعادل أمين** وغيرهم . حتى المحامين الذين انتدبتهم المحكمة للدفاع عنا كان موقفهم عظيما . اذكر منهم **الدكتور مدحت الذى** جاءنى فى قفص الاتهام يطلب منى سبه رجاء أن أقبل انتدابه للدفاع عنى مع **الاستاذ سليمان غنام** .. قال :
- رغم اننى لست محامى جنايات لكنى قرأت كل التحقيق .. وأنت ١٠٠٪ براءة .
- ١٠٠٪ براءة ؟ سيادتك متفائل قوى .
- قال الرجل ورنه صوته تحمل كل الثقة .
- التهمة الموجهة اليك قلب نظام الحكم **اللكى** ..
- قلت مازحا :
- طب ودى فيها آيه ؟
- ما أهو الضباط قلبوا نظام الحكم **اللكى** فعلا اللى انت متهم بمحاولة قلبه .
- ده كلام منطقى يا دكتور .. لكن ..
- ما أهو يا تطلع انت براءة .. يا الضباط دول بيجوا هنا السجن معاك ..
- لمحت على باب القاعة الاستاذ **سليمان غنام** فادما نحوى .. سمع الجملة الأخيرة **للدكتور مدحت** فقال مبتسما :
- يا دكتور مدحت .. ما تزعلش .. روق دمك ..
- ورأيت الدهشة على وجه **الدكتور مدحت** .. وراح يخبط يده باليد الأخرى ويقول كلاما لم اتبينه ..
- قال له الاستاذ **سليمان غنام** مبتسما ..
- بعدين افهمك يا دكتور مدحت .
- قال لى **الاستاذ سليمان غنام** « رحمه الله » :
- موقفك فى القضية سليم جدا .. لو طبق القانون فالحكم بالنسبة لك سيكون براءة .
- قلت ضاحكا :
- هل للسبب نفسه الذى يسوقه الدكتور مدحت ؟
- قال ضاحكا :
- انا باقول القانون .. مش المنطق .. ليس هناك دليل واحد عليك .
- قلت :
- يا استاذ غنام .. أنت موكل للدفاع عن الديمقراطية والحريات السياسية .. كل ما نريده هو أن يسمع الراى العام دفاعك عن الحرية .

وصاح الحاجب :

– محكمة .

– دخل القائمقام أحمد شوقي عبد الرحمن رئيس المحكمة . . وضابطان برتبته صاغ . . بعدما دخل حسن سرى نائب الأحكام . . سم على نور الدين « المدعى » .

فقبل أن يجلسوا . . وقف أعضاء المحكمة ووضعوا أياديهم اليمين على المصحف ورددوا المسم . . وبدأت المحاكمة .

نادى رئيس المحكمة . . المتهم الأول (. . .)

– هل لك اعتراض على المحكمة ؟

– اعترض على تشكيل المجلس العسكري . . ولبس لى اعتراض على اشخاص المحكمة .

وأعلن كل المتهمين اعتراضهم على تشكيل المجلس العسكري

وبقدم المحامون . . سليمان غنام . . أحمد الحضرى . . مورييس أرقش، عادل أمين بطلبون تأجيل المحاكمة حتى ينظر مجلس الدولة فى المذكرة . التى تقدموا بها بطعنون فى دستورية تشكيل المجلس العسكري . ورفعت الجلسة للمداوله .

وانعقدت المحكمة بعد نصف ساعة وأعلن الرئيس

– قررت المحكمة الاسمرار فى نظر القضية المعروضة عليها حتى يصدر

مجلس الدولة قراره بشأن اعتراض الدفاع على نسكبلها . .

واستؤنفت المحاكمة . . جلسات صباحية ومسابية واستمرت شهرين

كاملين . . وقبل ان تصل اجراءات المحاكمة الى نهايتها بأبام . . قبض

على أحمد شوقي عبد الرحمن رئيس المحكمة وعلى المرحوم الاستاذ سليمان

غنام ! كيف بدأت المحاكمة . . وكيف انتهت بالقبض على رئيس المحكمة

وعلى الحامى الذى بدافع عنى ؟

سأحكى لك ذلك يا حبيبتي فى الرسالة المقبلة .

١٦ يناير ١٩٧٧

بغداد

الرسالة رقم ٨

حببيتي

ما يقرب من شهرين استمرت محاكمتنا أمام المجلس العسكري برئاسة القائمقام أحمد شوقي عبد الرحمن • وكانت الجلسات تعقد صباحا ومساءً، وبعد أيام قليلة أصبحت المحاكمة بالنسبة لنا فرصة للقاء الأهل والأصدقاء وتناول الأكل « البيتي » الذي حرمانا منه مدة طويلة • كميات وافرة من اللحوم والدجاج التي لم نتذوقها منذ دخلنا السجن • كنا نأكل في المحكمة ونأخذ معنا أيضا • حدث مرة أن أعترض ضابط السجن (•••) وكان معروفا بصلته بالمباحث العامة ، على ادخال ما نأخذه معنا من طعام الى السجن • شكونا لنائب الأحكام حسن سري فأمر الرجل بأن يدخل كل الطعام الذي نأخذه معنا للسجن ، كما كان بعد انتهاء جلسات المحكمة يسمح لنا بالجلوس مع اهالينا بعض الوقت في قاعة المحكمة • قلت له يوما :

- تبدو انسانا •• خلاف ما يدل عليه مظهرك •• ودورك في المحاكمة

ابتسم وقال :

- وعلام يدل مظهري ؟

قلت ضاحا :

- فاشي

ضحك وقال :

- وهل تأخذ بالمظهر ؟

- أرجو أن نناج لي فرصة معرفة الجوهر :

ورئيس المجلس العسكري تكونت بيننا شبه صداقة • اذا شكونا له من سوء معاملتنا في السجن نادى على ضابط السجن ليناقسه ثم يأمر بمعاملة حسنة وفق اللائحة •

ورئيس الحرس •• نشأت أيضا معه علاقة طيبة ، قال يوما :

- لقد تعودت عليك وعلى الحديث معك •• سأشعر بنقص في حياتي بعد انتهاء المحاكمة •

قلت ضاحكا :

- بسيطة •• دعني أمرب ••

قال :

والله يا ابني لولا الولاد لكنت ساعدك على الهرب .. لكن أنا عارف
انك راح تخرج براءة .

- ومنين عرفت ؟ ..

- لقد سمعت رئيس المحكمة يهنئك .. عندما انتقلت المحكمة لمعاينه
وامعه المبيض عليك .

وحقيقه .. لقد هناني رئيس المحكمة .. كما هناني على نور الدين
المدعي العام وخدمتي سري ناذب الاحكام واليك ما حدث .

حين بدأت المحكمة في سؤال شهود الانبات .. تضاربت أقوال
الشهود ، واحد منهم قال أنه قبض على وأنا أطرق باب زمبلي مصطفى
كمال خليل مساء وكان مد قبض عليه صباحا .. وأآخر قال انني بعد
ان صعدت بعض درجات السلم لاحظت وجود مخبرين فجريت هاربا وجري
خفي وهو يصبح :

- حرامي .. حرامي ..

وبعاق الاستاذ سليمان غنام ساحرا .

- ما هو لو كنت قلت نبيوعى .. كانت الناس ضربتك .

وقبل أن يطلب الاساذ غنام انتقال المحكمة لمعاينه وامعه المبيض على
كان رئيس المحكمة يقرر انتقال المحكمة الى المنزل ..

وبالفعل انتقلت المحكمة الى منزل مصطفى كمال خليل وهو يقع في حارة
درب البرابرة بالموسكى .. منزل قديم لا ندخله الشمس ابدا .. ويفجع
في ظلام دامس الى حد ان المرء لا يستطيع أن يرى أبعد من متر واحد
في حوشه أو على السلم في وصح النهار .

بعد أن نزل أعضاء المحكمة من منزل زمبلي وكنت انتظرهم في
المسارح همس غنام في اذني .

- المحكمة مقتنعة تماما بدرانتك .

وقال على نور الدين :

- مبروك .

قلت :

- كان المروض أن تقوم النيابة بذلك .

لم يوافق الرجل

والتفت الى احمد شوقي عبد الرحمن وقال :

- من الناحية القانونية .. مبروك .

والحقيقة اننا كنا غير قادرين على تفسير موقف احمد شوقي
عبد الرحمن . كان يهتم اهتماما ملحوظا بكل الجوانب القانونية . ورغم ان
المدعي طالب مرات عديدة أن نعقد الجلسات سريه فقد رفض
الرجل وكان يصر على علنية الجلسات ويطلب نشر ما يدور بها

فى الصحف • وبالطبع لم تكن الصحف تنشر شيئاً فيما عدا
جريدة المصرى التى كانت تتحايل على نشر بعض ما يدور فى
 جلسات المحاكمة • ويومياً وطوال مدة المحاكمة كنت أقول
 للاستاذ غنام أن الصحف لا تنشر شيئاً • وكان يطلب من المحكمة ضرورة
 أن تنشر الصحف ما يدور فى المحكمة • وكان أحمد شوقي عبد الرحمن
 يثبت فى محضر الجلسات أن الصحف عليها أن تنشر ليكون رأى العام
 رقيباً على ما يدور • وكان يطلب يومياً من نائب الأحكام الاتصال
 بالصحف وأن يطلب منها النشر • وكثيراً ما لام مندوبى الصحافة الذين
 يحضرون الجلسات •

ومكذا تحولت المحاكمة ما يقرب من الشهرين الى نزوة • فيها ما فيها
 من الطرائف • •

وفى احد الأيام ذهبنا كالمعتاد الى المحاكمة • وقبل ان ندخل قاعة
 المحكمة خرج رئيس الحرس ليصدر تعليماته للحرس باعادتنا الى
 السجن •

سألته • •

- ماذا جرى ؟ هل أجت المحاكمة ؟

لم يستطع الرجل أن يغالب الضحك وقال :

- أيوة أجت • •

- ليه ؟

- لأن القاضي القى القبض عليه !

وعدنا الى سجن مصر لنمكث فيه شهراً فى انتظار محاكمة جديدة حتى

شكلوا مجلساً عسكرياً جديداً برئاسة اللواء فؤاد الدجوى •

ومع الدجوى كانت حكايات طريقه • •

موعدها معك يا حبيبتى فى الرسالة المقبلة •

١٧ يناير ١٩٧٧

بغداد

الرسالة رقم (٩)

حبيبتي

بعد القاء القبض على « القاضي » أحمد شوقي عبد الرحمن مكتنفاً في السجن أكثر من شهر ونصف . وبدأت محاكمتنا من جديد أمام مجلس عسكري برئاسة اللواء فؤاد الدجوى في أكتوبر ١٩٥٣ .
لم تبدأ محاكمتنا من حيث انتهت المحاكمة الأولى كما يحدث في المحاكم الجنائية . وإنما بإجراءات المجلس العسكري الذي يلغى كل إجراءات المجلس السابق ويبدأ من جديد . بعد أن أُنسخت المحكمة اليمينية ونادى رئيسها على :

- المتهم الأول .. عبد الرحيم عثمان - هل لك اعتراض على تشكيل المحكمة ؟

- أعترض شكلاً وموضوعاً .

- المتهم الثاني (...)

- أطلب التأجيل حتى ينظر مجلس الدولة في الدعوى المرفوعة أمامه بعدم دستورية تشكيل هذا المجلس .

- هذه محكمة وليست مجلساً عسكرياً .

- بل هو مجلس عسكري .. وأحكامه جاهزة .

ويعلو صوت « الدجوى » يهدد ويتوعد .. وترتفع هتافاتنا .. الدستور .. الدستور ويطلب المحامون تأجيل الجلسة حتى ينظر مجلس الدولة الدعوى المرفوعة أمامه . ويتداول « القاضي » مع نائب الأحكام .. ويقول :

- قررت المحكمة الاستمرار في نظر القضية .. المتهم الثالث (...)

- تنسكيل هذا المجلس غير دستوري وأعترض عليه .

ومستأز « الدجوى » :

- ... أعترض ...

- ... أعترض ..

- لماذا تعترض ؟ .. سنحكم بالقانون .

- لا تملكون .. الأحكام جاهزة ..

ويصرخ الدجوى . يهدد مرة أخرى ويقول :

- كل الضمانات مكفولة بالقانون المتهم الرابع (...)

- هذا النوع من المحاكمات لا يقدم ضمانات .. لا للقاضي .. ولا للمحامي

ولا للمتهم ..

ويعاود الدجوى صراخه .. وتتوالى تعليقات الزملاء :

- أين القاضى السابق ؟
 - أين أحمد شوقي عبد الرحمن ؟
 - وأين الدفاع عن المتهمين ؟
 - أين الاستاذ سليمان غنام ؟
 - فين هيه الضمانات ؟
 - الدستور هو الضمان .
- وترفع الجلسة .. وبعد خمس دقائق تعود للانعقاد . يهدد مرة أخرى ثم ينادى :
- المتهم الخامس (٠٠٠)
 - نرفض التهديد .
 - جاب على السؤال .
 - نرفضكم شكلا وموضوعا .
- ويعترض المتهم السادس . ثم المتهم السابع .. وكنت أنا المتهم الثامن .. أقول :

- أين الاستاذ سليمان غنام ؟
 - ويصرخ الدجوى ..
 - جاب على السؤال .
 - سأجوب .. ولكن فى حضور المحامى الموكل عنى .
 - محامى لم يحضر .. المحكمة مالها ؟
 - المحكمة تعرف لماذا لم يحضر ؟
 - ويتقدم محامى من مكتب الاستاذ غنام .. يقول :
 - الاستاذ سليمان قبض عليه .. وهو يطلب السماح بحضوره للدفاع عن المتهم .
 - ويلتفت « الدجوى » الى المدعى العام :
 - على النيابة أن تقوم بعمل اللازم ..
 - ويقول لى :
 - جاب على السؤال .
 - لما يحضر الاستاذ غنام .
 - المحكمة ستنتدب محاميا آخر .
 - وأنا أرفض أى محام تنتدبه المحكمة ومصر على الاستاذ غنام .
- (صمت)

ثم ينادى على المتهم التاسع .. و .. والثالث والعشرين .. الجميع يعترضون على تشكيل المجلس السكرى من حيث الشكل والموضوع . وفى الساعة الثالثة بعد الظهر ترفع الجلسة لتتعد فى صباح الغد . فى مساء اليوم نفسه ناقشت مع الزملاء خطتنا فى المحاكمة وقررنا

أن نحمل منها مظاهره سياسية نطالب بالديمقراطية والحريات السياسية والدستور . ومع أننى اتفقت مع الزملاء على أن أقوم بعمل دفاع سياسى . إلا أن الزملاء فى الخارج رفضوا ذلك . بحجة أنه لا يجب التفريط فى موقفى القانونى فى الفضيه ، خاصة وأن « القاضى » السابق كان قد أبدى رأيا ببراءتى . واتفقتا على أن يقوم الزميل سعد باسيلي بعمل هذا الدفاع السياسى وكنت قد انتهيت من اعداده قبل أن يلقى سعد باسيلي يومئذ كاف حيب أرسلناه للزملاء فى الخارج لطبعه ونوزيعه أثناء المآء فى المحكمة . وبالفعل بينما كان سعد باسيلي يلقى دفاعه السياسى كان زملاؤنا فى الخارج يوزعونهم وكانوا قد أرسلوه الى الفاضى وأعضاء المحكمة وكل المحامين .

وكان مشهدا طريفا . . سعد باسيلي يلقى دفاعه السياسى من ورق مكتوب بخط اليد . . وعدد من المحامين يستمعون اليه . . ويقرأون ما يسمعون فى كتيب « مطبوع » . . الصمت يلف قاعة المحكمة وأعضائها وصوب سعد باسيلي برسم .

وفوالى المحامون يقدمون دفاعهم عن المتهمين وقد ركزوا على الجانب السياسى فى القضية ولم يكن الجانب القانونى يحتل فى دفاعهم سوى القدر الضئيل جدا واستمرت المحاكمة أكثر من شهر ونصف . بعدها سمعنا ساعات قوية تقول بأن القضية سوف تحول الى محكمة النورة . وقد ازعجتنا هذه الاساعات ، بفانون صدقى « غير الدستورى » أقصى عقوبة ينص عليها هى عشرة أعوام أشغال شاقة ، بينما قانون محكمة الثورة يصل الى الاعدام . وفى أحد الأيام همس نائب الأحكام لنا :

— اطلبوا من المحامين الاختصار فى الدفاع .

— لماذا انها مرسية لرؤية الأهل وشم الهواء .

قال الرجل بجديّة .

— هناك انجاه قوى لتحويلكم الى محكمة الثورة .

واستمرت المحاكمة عدة جلسات ، ثم رفع الجلسة وأعلن رئيس المحكمة انتهاء المحاكمة فى النصف الثانى من نوفمبر عام ١٩٥٣ . وبقينا فى سجن مصر ننتظر اعلان الأحكام ، فالمجلس العسكرى لا يعلن أحكامه فى قاعة المحكمة وإنما بعد التصديق عليها من رئيس الجمهورية .

ومى ١٢ يناير ١٩٥٤ أعلن حاله الطوارئ فى السجن كله وفى كل المنطقة المحيطة به . . لسبب لم نعرفه ولم يعرفه احد الا بعد ان وقف ٢٣ زميلا فى طابور لينلو ضابط كبير فى الجيش الحكم الصادر عليهم وكان يوما مثيرا ساحكى لك عنه فى الرسالة المقبلة يا حبيبتي .

٣٠ يناير ١٩٧٧

بغداد

الرسالة رقم (١٠)

حبیبتی

کتبت جريدة المصرى فى يوم ١٣ يناير ١٩٥٤ وصفا للطريقة التى اعلنت بها الأحكام علينا فى ذلك اليوم ، وكانت هى الصحيفة الوحيدة التى انفردت بذلك ، وبالطبع لم يكن ذلك مجرد سبق صحفى قام به الأستاذ محمود مراد الذى كان مسجوناً ويعالج فى مستشفى السجن واستطاع ان يرى من احدى نوافذه ما يجرى فى فناء سجن مصر ، وإنما كان تعبيرا عن موقف حزب الوفد من الحريات السياسية والديمقراطية . فى ذلك اليوم ظلت زننازين السجن كلها مغلقة حتى حوالى التاسعة صباحا وهى عادة تفتح فى الساعة . السجناء يقفون خارج الزننازين لا يعرفون السبب . والمفادى الذى ينادى يوميا على أسماء المساجين الذين يستحقون الزيارة لم يرتفع صوته كالعتاد . والأهالى الذين كنا نراهم يوميا حول السجن من شبابيك الزننازين الضيقة لم نجد لى واحد منهم أثرا . الحكاكين والقهاوى المحيطة بالسجن أغلقت كلها . ترى ما الذى حدث ؟ ربما كان انقلابا جديدا وفرض حظر التجول منذ الصباح الباكر . سالنا السجناء والحنفا فى السؤال ولكنهم صمتوا جميعا . . . كما يصمت أبو الهول . وفى التاسعة صباحا . . . فتح باب العنبر . . . ثم سمعنا صوتا ينادى . . . بعد ان سمعنا ثلاثة أسماء . . . عرفنا انهم ينادون على زملائى فى القضية وكنت المتهم الثامن فيها . وبعد الاسم الثالث والعشرين سمعنا صوتا .

– الأسماء دى تجيب حاجتها معاها وتنزل .

اذن هى الأحكام !

بسرعة اتفقت مع الزملاء على الموقف اثناء تلاوة الأحكام .

وقفنا صفا واحد حسب ترتيبنا فى قرار الاتهام . . .

قال الضابط الكبير وكان يمسك أوراقا فى يده :

– كل واحد يسمع اسمه يتقدم خطوتين الى الامام .

وبدا ينادى . . .

– المتهم الأول . . . عبدالرحيم عثمان .

– ١٠ سنوات أشغال شاقة .

ويهتف الزميل

- عاش كفاح الشعب المصرى
- المتهم الثانى ٠٠ (٠٠)
- ١٠ سنوات أشغال شاقة
- عاشت الحرية ويسقط الارهاب

وهكذا ٠٠ كل زميل يهتف بعد سماع الحكم عليه حتى آخر زميل وكان حكمه ٥ سنوات وهو أقل حكم ٠ ولم يصدر حكم واحد بالبراءة ٠ لم يعترض احد من الضباط على الهنافات ٠ وطوال هذه العملية ران صمت رهيب فى كل انحاء السجن ولم يكن يسمع به سوى هتاف الزملاء الذين يسمعون الأحكام ٠ ثم ارتفعت أصوات زملائنا فى الزنازين المغلقة وهم يرددون نشيد ٠ بلادى ٠ بلادى ٠

كنت انا ومعى ١٠ زملاء حكم عليهم بالأشغال الشاقة ١٠ سنوات ٠ وتراوحت أحكام الزملاء الباقين بين ١٠ سنوات و ٥ سنوات سجن وكانوا قد اعدوا سيارات السجن التى ستنقل المحكوم عليهم بالأشغال الشاقة الى الليمان ٠ وبدأت اجراءات تحويل ١١ زميلا من مساجين تحت التحقيق يلبسون الملابس العادية الى محكوم عليهم بالأشغال الشاقة يلبسون بدلة زرقاء ٠٠ ممزقة ٠٠ بالية ٠ بها اعداد كبيرة من حشرات « القمل والبق » ٠ ويحق فى كل قدم حلقة بها سبئلة من الحديد تتصل بالحلقة الأخرى ووزنها ٤ كيلو جرام ٠ وتعلق فى الوسط بواسطة حلقة أخرى تعلق فى حزام جلدى ٠ ويقضى الحكم بان يظل المحكوم عليه بالأشغال الشاقة متقيدا بهذه القيود لا يخلعها ابدا ٠٠ سواء فى نومه ٠٠ أو فى يقظته ٠٠ أو حتى عند الاستحمام ٠

على باب سجن مصر الخارجى كانت تنتظر عربتان ٠٠ انا وخمسة زملاء ركبنا احدها ٠٠ والخمسة الآخرون ركبوا الأخرى ٠ سارت بنا العرببة الاولى الى المساء أبسى زعملى واتجهت العرببة الثانية الى ليمان طوره ٠

وعندما تحركت بنا السيارة ٠٠ لحت على البعد اخى مسعد « رحمه الله » ومعهُ زوجته السابقة يلوحان لى من بعيد ٠٠ كانا قد أتينا الى السجن فقد كان هذا اليوم هو موعد زيارتى ! وخلال الرحلة من سجن مصر الى ليمان أبو زعبل ٠٠ كنا ننشد نشيد (بلادى ٠٠ بلادى) ٠ وننشد :

أخى ما الحديد إذا اليسونا الحديداً
لقد جهلونا إذا حسبونا عبداً

نجاة .. قال ولیم اسحق وهو ببتسم وقد أمسك قيوده بيديه
- الا غولتي با درش .. لما الواحد عايز يستحم يخلع هدومه ازاي ؟
وتسبب الى مشكلة حقيقية سوف تواجهها عند الاستحمام .

الحلقتان حول الأقدام ضيقتان جدا بحيث لا يمكن أن يخرج منها
القدم .. وحاولنا جميعا خلصها دون جدوى .. كل حلقة محكمة حول
القدم .. وتصل الحلقتان سلسلة حديدية ثقيلة لا يمكن الافلات منها
الا على يد حداد .. متى ؟ بعد ١٠ سنوات !!
قلت ضاحكا ..

- نلى أى حال يمكن أن نسنميد من خبرة من سبقونا .
قال ولیم اسحق ضاحكا :
- سمر! سنميدونا اننو بمى .. سوف .
كان يرمع قدمه اليمنى الى أعلى .. ويمسك بالحلقة التى اخرجها
منها بده ..
قال صغرى ضاحكا :
- يا حنك يا ولیم .. عملتها ازاي ؟
قال يزهو :

- دد مى يا أسنذ .. امال بنلعب .
كان ولیم نحيفاً الى درجة مخيفة .. ويبدو ان الحداد الذى وضع له
الحلقتين فى مدمبه لم يجد حلقة اضيق من تلك التى وضعها فى
رجله اليمنى .. فقد كانت اليسرى ضيقة جدا فلم يستطع اخراج
رجله منها رغم محاولاته .

عشتو لیم ضاحكا
- انت بمبنى يا ولیم ..
- انا مالى ده الحداد اللى يمينى ..

بعد حوالي ساعة .. كنا امام ليمان أبو زعبل .. على باب
الليمان كان نف المامور ومعه ثلاث ضباط وأكثر من عشرة سجنانة ..
من بعيد سمعنا اصوات قيود مثات المساجين العائدين من « الجبل »
كان موكب العبيد يقترب منا تدريجيا .. وفى الأفق كان شعاع الشمس
الأخير يختفى .. والظلام يزحف مع زحف موكب المساجين العائدين بعد
نهار كامل من الشغل فى تقطيع أحجار البازلت فى الجبل . ويحيط

بهم عشرات الجنود وهم يحملون **مدافعهم الرشاسه** .. وعند من الانشط
يمنطون حبولهم .

وعلى باب الليمان جلس المساجين « ديز » **لاجراء التمام** .. بعد دمايق
ضرب بروجي « التمام » والتمام في لغة السحور عو مزاحمه عدد
المساجين للتأكد من مطابقة العدد لما في دماير السحن .. وعى
عملية تجرى يوميا صباحا ومساء عند خروج المساجين للعمل وعند
عودتهم .

« اذن سنكون من الغد أفرادا في حش العبيد هذا » وهل
يطول بنا العمر عشر سنوات على هذه الحال .. وهل يحتمل هذا
العذاب اليومي ؟

وانقت من تأملاتى على صوت سجان بنادى علينا ان ننبعه . كان
السكون مخبما تماما على الليمان .. العبيد دخلوا غنايرهم .. عند
من السجانة والضباط يغادرون الليمان الى بيوتهم .. وعلى باب مكتب
المأمور وقف الضابط النوبتجي و٣ سجان .. وأمام المكتب ومفنا
صفا واحد .. ما ان خرج المأمور من مكتبه حتى سمعا صوتا عاليا
يقول :

- اقعد « ديز » يا مسجون أنت وهو

لم ننفذ .. وظللنا واقفين

عاد الصوت أكثر حدة :

- يا مسجون أنت وهو اقعد

ظلنا واقفين .. وهم احد السجانة بعصاته كى بضربنا .. لكن

احد الضباط منعه .. وقال :

- ليه ما بتنفذوش الأمر

قلت بقحد :

- لم نعتقد على هذا .

- لكن انقو دلوقت محكوم عليكم بالاشغال الشاقة

والو

- يعنى ايه ولو ؟

- بعنى ضرورى نعامل بوصفنا مسجونين ساسنين .

كان المأمور في مكتبه يسمع الحوار وفجأة خرج وهو يصيح بصوت

عال :

- انقو هنا في الليمان ولازم اللابحة تنفذ .

- وهل في في اللابحة اهانة المسجونين .

- بلاش فلسفة .. حكاية الشيوعية دى مش هنا .. انتم هنا مساجين .

- مساجين بس سياسيين .

زاد غضبه :

- وايه يعنى .. عايزين امتيازات ؟
- لا .. عاوزين بس تطبيق اللايحه .
- ندخل ضابط كائن يراقب الموقف صامتاً .. كانت فى نظراته مودة نحونا .. همس فى اذن المأمور كلاماً لم نقتنيه .. ثم جاء الينا وطلب ان نتبعه . وفى مكتبه دار معه حديث ودود .. قال :
- انا طبعا ماليش دعوة بالسياسة .. وانا عمري ما شفت شيوعيين لكن باين عليكو ناس منقفين .. لكن طبعا لازم تنفذوا اللايحه .. فاهمين اللايحه ..
- احنا لا نريد غير تنفيذ اللايحه .
- مضبوط .. يا الله يا سجان خدم على التاديب ..
- قلت محتجاً ..
- منين لايحه يا حضرة الضابط . ومنين تودونا التاديب ..
- قال ضاحكاً :
- تعجبني .. اهو كده ..
- ثم نركنا وذهب الى مكتب المأمور .
- فى السجون زنازين نسمى « التاديب » يسجن فيها المسجون الذى يرتكب مخالفة فى السجن . وتاديب المسجون هو ان يسجن « انفرادياً » وينام على الأسفلت .. ولا ياكل الا عيش حاف وملح الثلاث وجبات ، ولا ولا يخرج من زنزانه أبداً .
- وطبعاً وضعنا فى هذه الزنازين مخالفة واضحة للائحة السجون .
- جاء الضابط (..) قائلاً وعلى وجهه ابتسامة خفيفة :
- أصل بقى فيه مشكلة .. انتو شيوعيين والمأمور مش عاوز يخليكو مع المساجين فى العنابر ..
- ليه بقى وهو احنا مش مساجين ؟
- ضحك الرجل وقال :
- خايف عليهم من المبادئ الهدامة بتاعتكو دى !
- معنى كده اننا نعيش هنا فى سجن انفرادى .. يعنى اشغال .
- شاقة وناديب كمان ..
- دى مسألة مؤقتة
- ووجدنا الامر يصلح للمساومة ..
- طيب كل ثلاثة يقعدوا فى زنزانه ..
- مال الضابط :
- أنا عرضت المسألة دى على المأمور .. ووعدنى انه بعد كام يوم يخليكو تقعدوا مع بعض كل ثلاثة ..
- ونظر الينا الضابط نظرة ودودة وكنا قد ارتحنا اليه حيث

لمسنا منه رغبة جادة في مساعدتنا .. فوافقنا بشرط ان يتعهد
هو بتنفيذ ما وعد به .
وتعهد الرجل بذلك .
في الطريق الى النادي .. قال الضابط (٠٠٠)
- والله « النادي » ده احسن من العنابر .. نضيف ومستعمل ..
زى الفيلا تمام ..
ثم صحك وقال .
- وعلى فكرة الفيلا اللي أنا ساكن فيها بتطل عليكو .
قلت ضاحكا :
- يعني جيران .. والجار له على الجار سبع حاجات
قال .
- يا سيدى خليههم عسرة الا حكاية النزاور ..
- على الأقل من جانبك .. تزورنا أنت .
قال الرجل بود :
- قوى .. كل ما أكون هنا راح أمر عليكو .
فتح السجنان ٦ زنازين .. دخلها الضابط الواحدة بعد الاخرى ثم .
- كل مسجون له بطانية واحدة .. وبرش يا اقنضم .
قال السجنان :
التفت اليها الضابط ضاحكا :
- شايفين وادينى بقيت برش ..
ثم وجه كلامه للسجان :
- امشى هات لهم كل واحد بطانية زيادة .
وزنازة « **التأديب** » يا حبيبتى تختلف عن الزنازين العادية فى
السجون والليمانات . جدرانها من **الاسمنت المسلح** . وناقذتها **الوحيدة**
فى سقفها العالى جدا ، وبابها من **الحديد** . وليس به سوى ثقب صغير
يسمونه فى السجون « **نفاذة** » - أى النى ينظر السجان منها كلما
أراد أن يهائن على وجود « ودبعتة » ! بعد أن يحرك قطعة الحديد
التي تد .. الخارج وينظر منه بعد واحدة .. هذا الثقب الذى
لا يزيد .. عن ٥ سم هو الدبعتة الوحيدة بين السجون وسجانه
عندما يغلق باب الزنازة .
واذا حدث مرة أن أراد سجان التحدث مع مسجون وهو داخل الزنازة
كى يسلى نفسه فهو مسجون مثله داخل اسوار مبنى « **التأديب** » ،
فعليه أن يحرك قطعة الحديد التى تسد الثقب ويمسكها بيده ،
ويضع فمه على الثقب ويتكلم بصوت عال (كذا .. كذا) .. ثم
يسرع بوضع إحدى أذنيه على الثقب ليسمع المسجون (كذا .. كذا)
ومرة ثانية يضع فمه على الثقب ليرد (كذا .. كذا) ثم يضع أذنه .

ويسمع من المسجون (كذا • كذا) ، •• وهكذا حتى « يزهق » السجان أو « يتعب » من طول الوقفة ومن وضع فمه على ثقب الباب تارة ، ثم إحدى انفيه تارة أخرى •• مرات يزيد عددها كلما طال الحديث •

داخل هذه الزنزانة ، وفي ١٢ يناير ١٩٥٤ ، وفي عز البرد ، أمضيت الليلة الأولى • انقلبت فجأة من مسجون تحت التحقيق ، يرتدى الملابس الملكية ويأكل الأكل « الملكي » من عند « المتعهد » أو من الأهالي الى محكوم عليه بالأشغال الشاقة ، يلبس ملابس السجن الباليه •• ويأكل ؟ ••• يفتح باب الزنزانة •• وأجد « قروانة » بها شيء لم أتبينه • لم أكن قد جعت بعد فلم أفكر في معرفة « هذا الشيء » ! لكن « القروانة » كانت « سخنة » ويخرج منها « بخار » • وجلست الى جانبها •• ربما بيعت بعض الدفء في يدي المرعشتين ! لساعات أسفلت أرض الزنزانة بخرو « البرش » الذي أجلس عليه ، فاهب واقفا ، وتحرك السلاسل الحديدية بقدمي العاريتين •• أمسكها بيدي •• أزيحها عن فمى •• فتمتص الحرارة التي أخذتهما من بخار « القروانة » • دماثق وتتحول « القروانة » هي الأخرى الى كتلة من الثلج • أفرس بطانيه مهترئة ، ممزقة ، على البرش ، وأجلس ولكن « أنى » لبرس منسوج من الليف وعليه هذه البطانية أن بحمى جسمى الذى أحاول تمديده من البرد القارص •• أنمخ في بدى •• ونبت أنفاسى فيهما الدفء •• لكن جسمى كله يكاد يتجمد •• كتفأى •• وظهرى •• وصدرى •• وقدمائى •• من أين يأتهم الدفء •• جسم شبه عار •• فبجوه بسلاسل حديدية •• وبحاصره جدران الزنزانة الاسمنتية « وأرضها الاسفلتية » ، والهواء البارد يصب على رأسى لساعات الثلجية من نافذة الزنزانة العلوية هكذا •• طول الليل ، •• محاولات بئسه للبحث عن أقل دفء •• أمف تارة •• وأجلس تارة أخرى •• وأمدد جسمى المنهك مره باليه •• والبرد لا يرحم •• وأصوات الحراس تطن في اذنى بس لحظه وأخرى •

- تا •• ما •• م

- تا •• ما •• م

- تا •• ما •• م

أى « تمام » • يتبادل الحراس الذى يقفون على سور الليمان الخارجى النداء بها طوال الليل • منذ غروب الشمس حتى شروقها فى صباح اليوم التالى •

لا أذكر كم دقيقة نمت ، ولا كيف نمت ! وهل كان نوما ، ام كان سقوطا في غيبوبة ؟ كل ما أذكره أننى تنبعت على صوت « زقزقة » العصافير التى خرجت من أعشاشها على الشجر المحيط بمبنى « التأديب » تستقبل مولد يوم جديد • شدتنى أصواتها الجميلة وأدخلت فى نفسى هدوءا سرعان ما بعده صوت البروجى يعلن •

— تما ٠٠ ما ٠٠ م ، تا ٠٠ ما ٠٠ م .

أى طلع الصباح يا مدبر الليمان وكله « تمام » ولم يهرب أى أحد من المسجونين ! . السجن بضع مقفاحه فى باب الزنزانة وأهبط واقفا وفى يدي جردل البول لأذهب به الى دورة المياه ، ولأمضى « حاجة » « حبستها » طول الليل وسببت لى آلاما حادة . عند عودتى من دورة المياه . وجدت على البرس ملابس سجن أخرى ولكن « أحسن شوية » من هذه التى ارتديتها فى سجن مصر .

سألت السجن :

— ألبسها ازاي ؟

— أنت باين عليك « كركى »

و « كركى » معناها فى لغة السجن هو عدم المعرفة بعالم السجن والليمانات !

— أيوه « كركى » خالص .

ويبدأ الرجل فى تعلبى كيف أحلح ملابسى !! وكيف ألبسها !! ورغم أن غذا السجن وغيره كثيرين شرحوا لى عملية خلح الملابس ولبسها فأننى لا أذكر اننى استطعت يوما أن أفهم بهذه العملية المعقدة دون مساعدة السجن قبل كل استحمام وبعده .

أشرح لك يا حبيبتى هذه العملية وأعرف أنك لن تفهمى منها شيئا ! لا صعوبة فى نزع السيور من على « وسط الجسم » . وإنما الصعوبة فى خلح الملابس ، ولابد لخلح الملابس من براعة كبيرة وحذق . ان على السجن بعد نزع فردة السروال اليسرى أن يمررها بين « الحجلة » — أى الحلقة — والساق ، وأن يعيد امرارها فى الاتجاه المعاكس تحت « الحجلة » ، فبذلك تتحرر فردة السروال اليسرى تحررا تاما . ويكون على السجن بعدئذ أن يمرر فردة السروال اليسرى تحت « حجلة » الساق اليمنى ، وأن يعيد امرارها ثانية الى الوراء مع فردة السروال اليمنى . وهذه العملية المعقدة تتم أيضا عند لبس الملابس !

وبعد أن القى على السجن هذه المحاضرة . أغلق باب الزنزانة ، وذهب الى كل زميل . . يفتح عليه وبلقى عليه المحاضر نفسها ثم يغلق الزنزانة ويذهب الى زميل ثان . . وهكذا . . تلقى المسكين المحاضرة نفسها ست مرات . . فقد كانت أوامر مدير الليمان أن لاجتمع نحن « الستة » أبدا خوفا على « أمن واستقرار » الليمان . وظللنا هكذا ١٢ يوما . . وفى اليوم الثالث عشر قررنا أن نتخذ موقفا . الاضراب عن الطعام . . والمطالب هى . . نقلنا الى ليمان طوره فنحن « سابقة » أولى ومكاننا هناك وليس فى أبى زعل الذى يضم « السوابق » ! أحكى لك عنه فى الرسالة المقبلة يا حبيبتى .

٢٧ مارس ١٩٧٧

بغداد

الرسالة رقم (١١)

حبيبتي

فى اليوم الثالث عشر لوجودنا فى ليمان أبى زعل لم أكن أنا فقط
الذى استيقظت مبكرا على صوت « بروجى » الصباح الذى اختلط بأصوات
زقزقة العصافير الواقفة على أغصان الأشجار المحيطة بغرف
الزنازين .

- صباح الخير يا درش
- صباح الخير يا وليم
- صباح الخير يا مجدى
- صباح الخير يا عبد الرحيم
وكأننا ارتكبنا جريمة لا تغتفر .. جاء السجان مذعورا يقرح
الزنازين بكل قوته ويصيح ..
- اسكت يا مسجون انت وهو ..
- صباح الخير يا مجدى
- صباح الخير يا وليم
ويصيح السجان ..
- يا مسجون اسكت .. المأمور يسمعكم
- وفيها آيه لما المأمور يسمع ؟
- يا نهار أسود .. فيها آيه .. فيها مصيبة .. فيها خصم

١٥ يوما

- ليه كده ؟
ويهمس السجان
- ده نده على من الصبح وقال لى خد بالك من الجماعة الشيوعيين
دول .. واوعى حد يتكلم مع زميله والا راح اوديك فى داهية ..
- طيب افتح علشان نروح دورة المياه
- المأمور قال لى ما تفتحش عليهم الا بوجود واحد من الضباط
- طيب روح انده واحد من الضباط
- أهو حضرة الضابط جه
وسمعا السجان يشكونا للضابط (...) .. وتفتح زنزانتي وأقول
للضابط .
- صباح الخير يا حضرة الضابط

- يمسكنى السجان من كتفى وينهرنى قائلا :
- فيه مسجون يقول لحضرة الضابط صباح الخير ؟
- وبيتسم الضابط ويقول :
- صحيح .. فيه مسجون يقول لحضرة الضابط صباح الخير ؟
- وارد على ابنسامته بابنسامه خفيفة
- آه والله ما كنتش عارف ان ده مخالف **للائحة** ! !
- أيوه كده .. خد بالك من اللائحة
- كان يلمح لنا بان لا نتهاون فى تطبيق اللائحة .. ورغم ان الضابط كان يحاول جاهدا أن يبدو فى مظهر « ناشف » أمامنا الا ان السجان كان فاغرا فاه من الدهشة .. كيف يتحدث مسجون مع ضابط بمثل هذه **البساطة** ؟
- قلت للضابط :
- ممكن أصبح على زملائى
- طيب ما أنت صبحت
- يعنى نفخ مع بعض شعوية ..
- ما فيس مانع .. بس اجيب اذن من المأمور
- ثم يقول متصنعا الحده
- يا سجان افتح الزنازين كلها .. وهات المساجين عندي
- هنا ..
- فتحت الزنازين السنة .. وخرجنا جميعا نسلم على بعضنا البعض بود ومحبة وكاننا افترقنا لسنوات ..
- الضابط يتظاهر بالانشغال فى أمور أخرى .. والسجان يرتفع صوته عاليا
- **ما حدش يكلم حد يا مسجون أنت وهو** ..
- ويتظاهر الضابط بأنه قد تنبه فجأة الى جريمة حديننا مع بعض
- فبقول بحدة تبدو مفتعلة ..
- آيه ده يا مسجون أنت وهو .. تعالوا هنا ..
- ونتجمع حوله .. لكن النظر لا يعجب السجان ويصيح
- أقعد يا مسجون أنت وهو ..
- ويفرأ الضابط
- سيهم يا سجان .. سيهم راقفين
- ويستطرد فى سخرية
- دول ما يستاهلوش الرحمة ..
- كان يشير الى ما حدث بالأمس مساء عندما رفضنا أن نجلس « ديز »
- امام المأمور ..
- قال الضابط برنة أفهمتنا أن علينا أن لا نقبل أوامر المأمور التسي
- يقولها ..

- أوامر حصرة المأمور هي .. الحبس الانفرادى ، ممنوع حد يتكلم م
زميله زنزانة واحدة بس اللي نتفتح مره الصبح ومره بعد الظهر ولادة جسم
دقائق بس ..

- اذا ضبط أى شىء ممنوع مفبتش عبر الجلد .. سامعين ؟
- دى أوامر ممكن التفاهم فيها ؟
- دى أوامر المأمور .

- طيب بقى نتفاهم مع المأمور
- المأمور مش عاوز يتقابل حد
- طيب يبقى فيه طريقة ثانية للتفاهم
- أيه الطريفة الثانية دى ؟

- **أضراب عن الطعام**

- ويبدو على وجه الضابط الارتياح ..
- يعنى مصممين على الأضراب ؟
- وبابتسامة خفيفة أقول

- مصممين جدا

- طيب .. يا سجان أقفل عليهم .. أنا رايح للمأمور .

ويسمتر أضرابنا عن الطعام ثلاثة أيام .. وكان هذا هو الأضراب الأول
فى لييمان أبو زعل والذى لم يشهد مثله طول تاريخه وخلال تلك الأيام
الثلاثة كان الضابط يأتى إلينا ،

- لسه مصممين على الأضراب ؟

وكنا نفهم من لهجته أن نظل مضربين

وفى رابع يوم جاء الضابط يبلغنا أن النيابة وصلت للتحقيق ..
وفى الطريق لمقابلة وكيل النيابة همس الضابط .
- تمسكوا بتنفيذ اللائحة .

طلب وكيل النيابة لائحة السجون فوجد أن ما يجرى معنا مخالف لما
جاء بها فسأل المأمور عن السبب .

وكانت أجابته

- **الأوامر اللي عندى .. أعمل إيه ؟**

قال وكيل النيابة بغضب

- أوامر مين .. أنت عندك اللائحة تنفذها .

وأمر وكيل النيابة بمنع الحبس الانفرادى . وأقر حقنا فى الطابور
الصباحى وطابور بعد الظهر .

قلنا لوكيل النيابة

- باقى حاجتين .. ان نخرج الى العمل فى الجبل .. وان ننقل الى
ليمان طرة .

- دى بقى حاجات مش فى الثلاثة ويرجع فيها الى المصلحة ، ووعدنا
برفع مذكرة الى مصلحة السجون .

كانت رغبتنا فى العمل فى الجبل عو الخروج للشمس والهواء ولو
حتى فى موكب « العييد » فلم بعد نطبق الخلوس فى زمراته مقملة نخرج
منها للفسحة فى داخل مساحة صلبة جدا . وكان مطلبنا للنمل الى
ليمان طرة بسند الى أن السابعة الأولى فى حكم الأشغال المشاففة
مكانه ليमान طرة حيث العمل فى الجبل عو تكسر الحجر الجيرى أما ليमान
أبو زعبل فهو مخصص لأصحاب السوابق لأن العمل هناك هو تكسير
الحجر البازلت .

ولم يسمح لنا بالخروج الى الجبل الا بعد شهر .. وكان يوما مثيرا -
أقص عليك أحداثه يا حبيبتي فى الرسالة المقبلة .

٢٩ مارس ١٩٧٧

بغداد

الرسالة رقم (١٢)

حببيتي

شهر كامل منذ جئنا الى ليمان ابو زعبل ونحن لا نعرف شيئا عما يجري في خارج الاسوار . الصحف ممنوعة تماما ، وليست لنا أى صلة بالمساجين . السجن هو صلتنا الوحيدة بالعالم الخارجى . وعبثا راحت كل محاولتنا مع سجان الصباح أو سجان المساء الذين لم يتغيرا أبدا فكلهما صامت لا يتكلم خوفا من المأمور الذى نبه عليهما مشددا بعدم الحديث معنا على الإطلاق . وطوال شهر كامل لم ندخن خلاله نفسا من سيجارة . كان عزاؤنا أن لوليم اسحق قدرة هائلة على الحديث . فكننا نقضى ليالى بكاملها نستمع اليه . حتى أن زملاء الزنزانة الأخرى احتجوا على وعلى مجدى فهمى لاننا نستأثر بوليم فاتفقنا أن يبيت ولیم كل ليلة فى زنزانة .

وفى ذات يوم مرض سجان الليل وجاء أخر بدلا منه كان اسمه عم على . يبلغ من العمر أكثر من ٦٠ عاما . أطلق عليه ولیم اسم عم « كاكيا » .

- لماذا كاكيا يا ولیم ؟
- هو كده مفيش أسم ينفعه الا كاكيا . .
- فى المساء طلبنا منه سيجارة . . لم يتردد الرجل . . أشعل سيجارة وتناولناها من ثقب الزنزانة . . وعندما وصلت السيجارة الى نصفها بعد أن تبادلناها نحن الثلاثة . . جاء صوت من الزنزانة الأخرى .
- عاوزين نفس يا عالم
- وجرى عم كاكيا ليعطيهم سيجارة أخرى .
- وجرى حديث طريف ، وبعد أن أطمأن لنا الرجل سأل ولیم .
- آيه الأخبار يا عم على ؟
- الحمد لله . . كله كويس
- ما تعرفش حاجة عن أخبار الحكومة
- ما لها الحكومة كويسة . . النحاس باشا راجل عال العالم
- النحاس باشا . . النحاس باشا ما له . . جرى له حاجة ؟
- حاجة آيه ده رئيس الحكومة
- النحاس باشا رئيس الحكومة يا عم على . . ؟
- أيوه طبعا أمال مين . . ؟

وابتعد الرجل بعيدا .. وراحت كل محاولنا عسا من حل نر يعود
ألينا لنفهم شيئا .. ولكن يبدو أن الرحيل سيعر به تحدث
معنا أكثر من اللازم فرفض بعناد أن يعاود التحدث مرة أخرى ..
ورحنا طول الليل نحلل الموقف السياسي . معقول جدا أن يعود
الوفد الى الحكم .

ليس من المعقول أن عم على مهما كان ابتعاده عن السياسة لا يجرى
ان النحاس باشا يعيد عن الحكم مدد ومت طويلا فهل عاد حقا ؟
ومن المؤكد أن عم على يعرف أن هناك سلطة جديدة وحكومة جديدة
منذ أكثر من عام . لا بد أن شيئا جديدا قد حدث .. معقول جدا
أن يعود الوفد للحكم . ربما رضخت سلطه ٢٣ يوليو لضغط الشعب
وتولى النحاس رئاسة الحكومة . ومكثنا طوال الليل نحلل الموقف السياسي
بعد أن تولى الوفد الحكم وكأنه أصبح حفيقة . وبالطبع خرجنا
بنتيجة منطقية هي أن الوفد سيعتمد في حكمه على اطلاق الحريات
السياسية والديمقراطية وبدا أمل الافراج عنا في الامن ثم رحنا
في نوم عميق نحلم بالافراج عنا .. بالحرية .

وفي الصباح الباكر سمعنا صوتا عاليا بطلب أن نستعد للخروج .
صاح وليم اسحق في سعادة بالغة .

— مش قلت لكم .. افراج .. يحيا الوفد

ويقول مجدى فهمي

— أصبر يا وليم لما نشوف أية الحكاية .. أنت دائما متفائل

ويرد وليم

— أنا صحيح فنان ومش سياسى زيكوا .. ولكن عندى احساس

فتحت الزنزانة وخرجنا منها .. لبس من أجل الافراج ..

ولكن للعمل في الجبل .

علق وليم ضاحكا ..

— أهوه برضه خروج .. نشم الهواء ونقع في الشمس

ضحكنا من الاعماق .. لم نفقد الأمل أن يكون النحاس باشا

قد تولى الحكم بالفعل .. وضروري من كام يوم وسوف يفرج عنا .

ولكن أحدا لم يصرح بما في نفسه لزملة .

كان خروجنا الى العمل في الجبل أمر: مثبرا لكل المساجين الذين

سمعوا عنا ولم يرونا أبدا . كنا محور حديثهم طوال الشهر

الذى أنقضى . وكثرت الأحاديث حولنا بين المساجين والسجانة . لاحظنا

هذا عندما وضعونا في مؤخرة طابور المساجين . رأينا الجمينع ينظر

خلف ظهره ليرى هؤلاء الشيوعيين الذين تفرض عليهم هذه الحراسة المشددة،

أطلقوا علينا أسم « الفرقة المخصوصة » وكان يحرسنا حارسان

ووصول وضابط أى أن أربعة يحرسون ستة ، وهذه حراسة خاصة . الى

حارب الحرسه العامه المكونه من عسرات الجنود والضباط .
سرفنا فى نهابة طابور العبيد فى طريقنا الى الجبل . ومن حسن.
حظنا أن ضابط العمل كان فى ذلك اليوم صديقنا الضابط (. . .) . أفترى .
منا ودون أن يلتفت لنا وهو يركب حصانه قال :

- أرى الحال .

- الحمد لله . . . أياه حكاية النحاس باشا ؟

لم يسدع ارجل أن يمسك نفسه من الضحك .

- نحاس باشا مين . . . أنت بنحلم . . . ؟

يجدد كل احلامنا . . . كل التحولات السياسية راحت هباء . . .

جراك الله يا عم كاكأ .

ووصلنا الى مكان العمل . . . الى الجبل . . . حفرة مائلة يبلغ اتساعها
أكثر من عشرة كيلو مترات . . . يحيط بها جبل كبير من حجر البازلت والعمل
هناك مقسم ، عده مجموعة من المساحين تضع الديناميت فى فتحات
الجبل ثم يحرسون . وعده مجموعة تالفة تفكك الأحجار الكبيرة بعد
أن سفح الديناميت . وعده مجموعة تالفة تحمل أحجار البازلت الضخمة
الى مجموعات مشرفة من المساحين ليقوموا بتكسيرها بالشاكوش الى
قطع صغيرة . وبعداً عن كاع المساجين جلسونا فى ركن بعيد . . .
يحرسان السجانان والنصول والضابط أكثر من نصف ساعة لم نتكلم . . .
ننظر الى ما حولنا مندوعين . . . كلما حاول مسجون الاقتراب منا
نهره الحراس بسنده تببعد خائفا . . . ثم جاء الضابط وقال :

- دوقت بفى . . . كل واحد يكسر ٧ غلقان من الحجر ده .

- حجر أبه الى نكسره ده . . . ؟

- حجر البازلت ده .

- ما عنقناش خبره بالمسنة دى .

- كلها يوم ويعرفوا

لنأبصرار .

- لا يوم ولا يومين - احنا مكاننا مس عننا . . . عاوزين نروح ليمان

طوره .

وظهرت ابنسامة على وجه الضابط

- لازم نعملوا الطويحة لغاية ما تروحوا ليمان طرة .

- لا طويحة ولا غيره مضربين عن الطعام

وارتاحت أسارير الرجل . . . وقال بلهجة التى اعتدناها والتى تعنى

التشجيع . . .

- يعنى مصريين على الاضراب .

- أيوه مصريين .

بعد أن اتخذنا قرار الاضراب عن الطعام . . . كان أماننا مشكلة

ارسال خطاب الى زملائنا فى الخارج . كيف : تمكر عن ضرس واحد من المسجونين العاديين . ولكن كيف ننصل بهم ، نحن محاصرون من كل جانب . نجلس بعبدا عن كل المسجونين ولا بسنطبع أحدا منهم أن يغرب عنا . والسجان يلازمننا لا يتركنا لحظه . والصول بأسى اند بس 'لحسن والحين « ينهم » علينا . قلت لوليم اسحق :

- تصرف يا وليم

يمسك وليم ببند الزمبل عبد الرحيم عثمان ويفرأ له الكف . وكلما يقول وليم شبتا يرد عليه عبدالرحيم . مضبوط . . نمام . والسجان فاغر فاه من الدهمة . . فجأة يقول لوليم .

- ممكن نسوف كفى ؟

- قوى . . قوى . .

ويسنمر وليم فى متاعلة السجان وقتا يتمكن خلاله مجدى فهمى من ملح مسجون من حى «بولاق» ويتعرف عليه . .

- أنت مجدى فهمى أخو مصطفى فهمى ؟

- أيوه . .

- أنت شبيه تمام . .

- عاوزين خدمة صغيرة . .

- رغبتي .

ويذهب المسجون (. . .) ويحمل حجرا كبيرا ويأتى به الننا ويضعه أمامنا .

ما أن يراه السجان حتى يصيح . .

- ايه اللى جابك هنا يا مسجون ؟

- حضرة الصول مال لى أعلمهم ازاي يكسروا الحجارة .

ويقول وليم للسجان .

- خليك معايا أنت . . ما تبوظش السفل .

وبواصل قراءة **كف السجان** . بينما ينفق مجدى مع صديقه المسجون

(. . .) على نوصبل خطاب كتبه على ورقة صغره كانت ملماه فى بطن

الجبل « وبعبق » فلم رصاصى كان المسجون بخبئه فى ملابسه . يعطيه

مجدى للمسمون (. . .) ويساله .

- امتى بوصل الخطاب ده لآخى مصطفى ؟

- النهارده راح يكون عنده !

فى اليوم التالى لم نخرج الى العمل ولمدة أربعة أيام وصلت خلالها

الى ادارة الليمان وهصلحة **السجون** برقيات من أهالينا تطالب بتحقيق

مطالبنا ونقلنا الى ليمان طره . وفى اليوم التالى (الخامس) وصلت

الذيابة للتحقيق . كان مطلبنا محدد هو النقل الى ليمان طرة فنحن

سابقة أولى . وأن نخرج الى الجبل حتى يتقرر نقلنا الى ليمان طرة

من قبل مصلحة السجون ، وحين اعترض المأمور على خروجنا الى الجبل
سأله وكيل النيابة عن السبب . . فقال بغضب . .
- يا بيه دول في أقل من ٤ ساعات اتصلوا بأهاليهم وجت التلغرافات
تترف .

يقول وكيل النيابة :

- شدد الحراسة عليهم .

ويرد المأمور

- أكثر من ٢ سجانة وصول ؟

ورفض المأمور بأصرار أن نخرج الى الجبل ولما هددنا بالاضراب عن
الطعام سمح لنا بالخروج وكنا نعتبر الخروج كل يوم بمثابة نزهة
وخلال هذا الشهر استطعنا أن نحصل على بعض الصحف وأن نرسل خطابات
الى الخارج .

بعدها نقلنا الى ليمان طرة . ولكن في منتصف ذلك الشهر جاءت
عائلاتنا لزيارتنا . فالحكوم عليه بالأشغال الشاقة يستحق الزيارة
بعد ٤٥ يوم . . وجاء أخى مسعد وزوجتى السابقة لزيارتنى . . وهى
زيارة تستحق أن أكتب عنها رسالتى المقبلة باحببتى .

اول ابريل ١٩٧٧

بغداد

الرسالة رقم (١٣)

حبيبتي

مضى علينا شهر ونصف لم نحلّ ذفونا كان كل ما بنصوّر بشاعة مطهره حين ينظر الى زميله • الأمواس ممنوعه في السج • غير ان ذئون كل المساجين ناعمة تماما • فالجمع عندهم أمواس وحلمون ذقونهم • ولم يكن بوسعنا أن نحصل على أمواس حتى سوم موحننا بزيارة أهاليّنآ •

نادوا علينا للزيارة وسط حراسة مشددة • والزيارة في السجون نتم من خلال حاجزين من الاسلاك ببعدان عن بعضهما حوالى متر ونصف • يفف المسجون خلف الحاجز السلكى داخل السخن ويفف الزائر خلف الحاجز الآخر القريب من باب السحر • وبين الحاجزين يفف السجانة حتى لا يتكلم المساجين مع أهاليهم كلاما خارجا عن القانون • أو يقوموا بتهريب ممنوعات •

كان في زيارتي أخى مسعد « رحمه الله » وزوجتى السابقة • كما ان علاقة الدم وحدها ليست كافية لقيام علاقة انسانية حقيقية كذلك فان علاقة الزواج وحدها ليست كافية لبناء علاقة حب حقيقية • واليوم بعد أكثر من ٢٢ عاما وأنا أحاول أن أستعيد ماذا كانت عليه مساعري وأحاسيسي حبال أخوتي عامة ومسعد خاصة ، كذا مساعري وأحاسيسي حبال زوجتى السابقة أجد أن علاقتى بأخى مسعد كانت علاقة انماء بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى ، بينما كانت علاقتى بأخوتي الآخرين مجرد علاقة دم • أما علاقتى بزوجتى السابقة فلم تكن أكثر من علاقة عطف من جانبى ، وحب مريض من جانبها • وأعود بذاكرتى الى ظروف تعرفى عليها •

ذات يوم من أمام صيف ١٩٥٠ دعانى زميل في العمل الى رحلة نيلية الى القناطر الخيرية ، وقتلت الدعسوة كنوع من التغيير في حياتى اليومية التى لا تتغير • العمل صباحا ثم الاجتماعات التنظيمية حتى ساعة متأخرة من الليل ثم أعود الى حجرتى الجرداء من كل شىء سوى سرير صغير وبعض الكتب اللقاة على أرض الحجرة • • وحيدا لا أجد من اتبادل معه كلمة •

على سطح السفينة المتجهة الى القناطر الخيرية صحت الموسيقى الراقصة وراح الجميع يغنون وأنا جالس بعيدا تتضارب الأفكار فى

رأسى • هل يتفق هذا مع القيم النورية ؟ مرة أقول لا ومرة أخرى • • ماذا
فى هذا ؟ وهل برمص النورى ؟ ولماذا لا والوقت الذى بروج فى الرفص والغناء
هل هو وقت ضائع ؟ النورى لا يجب أن يضيع وقته ؟ كل الوقت يجب
أن يكون للبورة • ولكن أليس من حق النورى أن يستمتع أحياسا بمثل
هذه الحياة ؟

بقيت هكذا منره • • لا أجد اجابة واضحة على ما يدور فى رأسى • •
حتى وجدت نفسى محاطا بزمللى فى العمل وصدبقتة ومبمى
صديقتها •

- لماذا لا ترقص ؟

- لا أعرف •

قال زمبلى ضاحكا :

- الرقص لا يتعارض مع السياسة •

ويسطرطد :

- يا اخى أن لبدنك عليك حقا •

وفالت مسمى برقة :

- أعلمك الرفص • • هناك فى مؤخرة السفينة

وبشكل تلقائى وجدت نفسى أرقص معها •

وبعد ملبل صاحت :

- أنت هابل • • تعال بقى نروح « البست »

ومرة أخرى أجد نفسى بين أحضانها نرقص مع الراقصين •

رقصت معها طول وقت رحلة السفينة الى القناطر الخيرية •

كانت هذه أول مرة أذهب فيها الى هناك • وبشكل تلقائى وجدت

نفسى أسبر معها ونجلس على الحشائش وما كدنا نبدا حدث التعارف

حتى سمعت من بصبح عليها • •

- ماما • • ماما • • عاوزين نركب فلوكة •

كانت طفلة عمرها سبع سنوات وطفل لا يزيد عن ٩ سنوات • قالت

وضحكة حزينة تملأ وجهها •

- تيتى • • ولوسى • • أولادى •

يبدو أن تعبيرات وجهى • • كشفت ما فى أعماقى وقتئذ • • ما الذى كان

فى داخلى • كان عمرى وقتئذ ٢٥ عاما ولم تنشأ بينى وبين امرأة أى

علاقة عاطفية أو حسية • فما الذى كان يدور فى رأسى ؟ •

قالت والدموع تجرى من عينيها :

- ولكنى الآن مطلقة • •

قلت :

- وهل عندكم طلاق ؟

قالت :

- أعلنت اسلامى حتى احصل على الطلاق .
وبدأت تحكى مصقتها والدموع لا تجف مى عينيها .
كان أبوها الايطالى الجنسية مهندسا معماريا وسنغل وظنفة كبيرة
فى وزارة الأنسغال . ولدت فى روما وخضرت وهى طفلة مع والدها
وأخوها الذى بكبرها وأختها الأصغر منها . بعد سنوات أصبح
أخوها مليونيرا من أعمال الماوالاب وبروحت انها من اميرمى وسامرت
معه . ولما نوفى ابوها وتزوج أخوها ونزح المنزل بعد أن تركه
اخيها ، وجدت نفسها وحيدة فقد توفيت والدها منذ زمن . كان عمرها
يوم مات أبوها ١٨ عاما . لا نعرف من العربيه الا كلمات ملبله ونعيش
فى سعة كبيرة وحيدة الا من مربية عجوز ترعاها . وكانت عائلة لبنانية
تسكن فى الشقة المجاورة لها . وفى احدى الحفلات التى كانت
تقيمها هذه العائلة تعرف عليها ساب لبنانى وتزوجه حتى لا تعيش وحيدة .
وفى بيت الزوجية وجدت ما لا ينفق مع فئمها الاحلاتبه . حملت يقبها
للزوج ويدعو البها سحصباب بارره فى الدولة وبعض رجال الاعمال
لعدد صفات . وكثيرا ما كان يخرج ويتركها مع بعض صنفه ١

اشتكت اليه مرارا من تصرفات اصدقائه . فى البداية كان لا يعلق
على شكواها . ثم انتهى به الأمر ان كان بطل منها مقابلة بعض
أصدقائه انشاء عيابه عن المنزل كى يستطيع ان يعمد معهم صفقات
تجارية . ورفضت باصرار وضربها أكثر من مرة . وذاب يوم هربت
من المنزل هائمة على وجهها الى ان اسنقر بها المقام مع عائلة مقبرة
فى حى القلعة . ومكنت هناك ٧ سنوات نحيك الملابس لاهل الحى
كى تعيش . وحين أعلنت رغبتها فى الاسلام وجدت من يساعدها من أهل
الحى . وباعلان اسلامها حصلت على الطلاق وعادت الى أولادها الذين
كانوا فى منزل جدتهم حيث لم تستطع البقاء أكثر من شهر . فأجرت
شقة مستقلة ورفض زوجها السابق ان تأخذ أولادها وعاشت معذبة
سنوات أخرى حتى سمح لاولادها ان يعيشوا معها كل يوم احمد .
يوم عطلتها حيث كانت تعمل فى احد المحلات التجارية .
قالت لها .

- أولادك ينفظرونك كى تركبى معهم المركب .

قالت :

- نركب كلنا معا .

وتلقائيا وجدت نفسى مع الأم ولديها والمركب تغلف بنا فى عرض
النيل . ووجدت الأولاد يتعلقون فى رقبتي اقبلهم ويقبلوننى .
وخلال رحلة العودة الى القاهرة والتى بدأت مع مغيب الشمس ، ظلمت

أرقص معها طول الوقت .. ضمنتها الى صدرى .. وضمنتنى وغبنا
أكثر من مرة فى أكثر من قبلة .

ومن مرسى الباخرة فى روض الفرج ركبنا الترام حتى باب
الحديد ، ومن هناك ركبنا المترو الى مصر الجديدة وكانت ابنتها تمسك
بيدى فترة .. ثم يحتج الابن ويطلب حفه فى ان يمسك يدى ..
حتى أوصلتهم الى بيتهم فى مصر الجديدة .

وجدت نفسى أفكر فى هذا الذى حدث اليوم عندما انفردت بنفسى
فى حجرتى على السطوح فى حدائق القبة . لم أصل الى شئ، محد
سوى اننى فى حاجة الى امرأة .. ولكن ليست أى امرأة .. ربما كنت فى
حاجة الى امرأة من أجل علاقة حسية .. لكن تجربتى كشاب
أكدت لى ان ما اطلبه ليس مجرد علاقة حسية .. انما اطلب شيئا آخر ..
اطلب الحب . ولكن ما هو الحب ؟ حقيقة لم اكن أعرف .. ولم أعرفه
بعد ذلك الا أخيرا وبعد أكثر من ٢٢ عاما .

فى مساء اليوم التالى كنت انتظرها على باب المحل التجارى الذى
تعمل به . فوجئت بى فلم تكن على موعد سابق . عرضت عليها
ان نذهب الى سينما صيفى فوافقت . وبعد السينما ركبنا معها المترو
حتى بيتها . وعندما عدت الى منزلى سألت نفسى مرة أخرى .. ما الذى
أريده بالتحديد ؟ يبدو اننى فى حاجة الى علاقة انسانية .. فى حاجة
الى حنان حرمت منه بعد وفاة أمى التى كانت تحبنى حبا يفوق
كل حبا لاختوى . وتذكرت يوم ماتت أمى .. أصرت على ان تضع
رأسها على رجلي وهى تلفظ أنفاسها الأخيرة .. كانت آخر كلماتها .
- خذ بالك من مسعد يا مصطفى .. خليه يكمل دراسته .. مسعد
أمانة فى رقبتك انت با مصطفى .

وعادت بى الذاكرة الى عامين قبل ذلك اليوم . بعد وفاء أمى تحول
المنزل الى جحيم . كانت أمى رحمها الله تعرف اننى كنت أعمل بالسياسة
وكانت تخاف على وعلى مسعد . ولكنها كانت تحمينا من أبى ومن اخوتى
الكبار ، بموتها فقدت أنا ومسعد الحماية فى منزلنا بشبرا فتركنا
الى غرفة فى العباسية ، واتفقت مع مسعد على اقتسام مرتبى حتى يكمل
دراسته ويجد وظيفة .

ربما كنت فى حاجة الى حنان ؟ ولكن لبس فقط حنان الأم .. انما
حنان المرأة فانا أريد حقا ولكنى أيضا أملك القدرة على العطاء ..
والعطاء بسخاء . حقا اننى أعطى للنضال الثورى كل ما أملك من حباتى ..
ولكن هل يغنينى هذا عن علاقة خاصة جدا مع امرأة ؟ .. وهل هذه
المرأة هى التى يمكن ان تنشأ معها مثل هذه العلاقة ؟

وظل السؤال بلا جواب حاسم .. وجدت نفسى فى ذات الوقت

كانت توليها لى ، ورغم حنانها وحبها وتفانيها الذى وصل الى حد تكليفها ببعض الاعمال التنظيمية ، فاننى لم أشعر يوما بان هذه هي العلاقة التى احتاج اليها .

حبيبتي ..

لقد افضت فى حدينى عن زوجتى السابقة قبل ان القاه فى أول زيارة بعد صدور الحكم على بالاشغال الشاقة ١٠ سنوات . ربما هى محاولة لنفسير مسلكى الجاف معها فى الزيارة .

ما ان رأتنى حتى راحت تبكى بكتننج ..

واحترت .. هل تبكى حزنا على مظهرى .. الملابس الممزقة .. والقيسود فى اقدامى .. وذقنى الطويلة ! .. أم تبكى لافتراقنا ؟ قلت لها بلا أى مقدمات

- انا افضل الانفصال

رفضت بشدة رغم الحاحى وقالت انها تفضل الموت على الانفصال .. غير أنه بعد ٦ سنوات لم تقم خلالها بزيارتي الا مرات قليلة وصلنى حكم المحكمة فى الواحات بالانفصال .

الغريب اننى لم افكر فى مسألة انفصالى عنها الا فى الدقائق الاولى من الزيارة . والاغرب اننى لم أشعر بأى أسف بعد الزيارة ولا بعد ان انفصلنا . حتى اننى خشيت ان يكون موقفى هذا لا انسانيا . على ان الاعجب من هذا وذلك هو اننى بعد خروجى من السجن بعد ١٢ عاما ورغم مقابلتى الجافة لها حين جاءت لمقابلتى فقد تزوجنا مرة أخرى بعد خروجى بشهرين ثم انفصلت عنها بعد شهر واحد ولم أرها بعد ذلك ابدا حتى اليوم . وايضا لم أشعر بأى أسف رغم انها قامت بكل ما يمكن ان تقوم به امرأة من أجل رجل تحبه حبا مريضا . لكن حصيلة الزيارة كانت انسانية أحكى لك عنها فى الرسالة المقبلة يا حبيبتي

٣ أبريل ١٩٧٧

بغداد .

الرسالة رقم (١٤)

حبيبتي :

رغم شدة القيود التي كانت مفروضة علينا خلال الزيارة ، فقد كانت
الحصيلة كبيرة . الأربعة أعداد الأخيرة من « راية الشعب » جريدة
الحزب والعدد الأخير من « الحقيقة » نسرة الحزب الداخلية . ورسالته من
زملائنا في الخارج ، عرفنا من الرسالة اننا سوف ننقل قريبا الى ليمان طره ، وان
حملة كبيرة خارج البلاد من أجل تحسين معاملتنا من قبل الحزب والقوى
التقدمية في أوروبا قد أحدثت أثرها . وقرأنا أعداد « راية
الشعب » و « الحقيقة » وكانت لنا عليها بعض الاعتراضات
أرسلناها للمكتب السياسي للحزب . أما عن حالتنا المعيشية
فقد ارتفعت نسبيا حيث أصبح في مقدرتنا أن نشتري سجاير وحلاوة
طحينية فقد وضع أهاليينا في كانتين السجن ٢ جيرة باسم كل منا .
وهذا شيء عظيم جدا . فقد أصبح في وسعنا ان نشتري علب سرجين
وسلامون وبعض المأكولات الأخرى . كانت سعادتنا كبيرة وقضينا
الليل كله تقريبا في القراءة والمناقشة والدراسة واحتلت أخبار الزيارة
جزءا كبيرا من الوقت . . كان مجدي فهمي يملك القدر الأكبر من حصيلة
الزيارة . . حكى لنا كيف تقوم والدته التي تقدم بها السن بنشاط
كبير بين أهالي المسجونين السياسيين . تجمعهم أحيانا كي تذهب بهم الى
مصاحبة السجون لتقديم مذكرة بشأن سوء المعاملة مثلا . وترسل البرقيات
للمسؤولين اذا اضربنا عن الطعام لطلب النيابة للتحقيق . وحدث حين
وصل إليها خطاب مجدي الخاص باضرابنا الأخير . . رفضت ان تسلمه
الى أحد الزملاء الا بعد ان تأكدت من أخي مسعد بأنه يمكن الاطمئنان
اليه . . ومجدي فهمي أصغر أخوته وهو أقربهم الى أمهم . . لا لأنه آخر
العنفود . . ولكن لأنه « حديد » وانسان كما نقول امه دائما . . وتكمل . .
خصوصا بعد ما بقي سياسي . . وكانت تخشى ان تقول « شيوعي »
خوفا عليه ، حتى بعد القبض عليه لم تقلها كي لا تكون دليلا ضده
في المحاكمة ، ولكن بعد الحكم عليه لم يعد هناك ما يمنعها من ذلك ،
وزوجات أخوة مجدي وأولادهم يحبونه كثيرا . عند كل زيارة تحدث
خناقة بينهم . من الذي يذهب للزيارة ؟

الام تمسكت بحفها فى الزيارة باسمرار .. لكنهم اعدبروا ان سدا
انانية . وانفقوا على ان يفوم مجدى بحل المسكلة وكان الحل هو ان
تأتى أمه فى كل زيارة يصحبها من تقع عليه القرعة بين الباقين الذين
لم يزورونه بعد . وفى الزيارة الأخيرة وقعت القرعة على « هنسى » ابنه
أخيه والى كان مجدى مى سوق سديد لرؤيتها .. فقد جائنه مى « الحلم »
قبل الزيارة الأخيرة بايام !

– واخبار الجو أية يا وليم ؟

لم يستطع ان يحفى رنه الاسى فى صونه .. وقال بسخريه :

– جو أية اللى أنت جاي تقول عليه

ويكمل مجدى ضاحكا ..

– وهو « الجو » يعرف برضه معنى الحب أية ؟

يقول وليم وكل تعبيرات وجهه تنطق بالالم :

– حب أية .. و « جو » أية .. سيبونا من الحكاية دى .

وليم اسحق فنان عبقرى .. وانسان يفيض رقة وعذوبة .. قدرته
على العطاء « هائلة » كانت له تجربة مع فتاة كنت اخشى عليه منها .
كان يحبها حبا جنونيا .. رسمها فى أكثر من ٢٠ لوحة ، وكانت كلما تدللت
عليه كلما ازداد تعلقا بها . كان يدرك أنها لا تحبه ولكنها
لاتتركه لحظة واحدة حين يكون فى رسمه ..

ذات يوم وكنت فى رسم وليم .. لاحظت اننى وضعت عددا من اللوحات
اللى رسمها لصديقتة (...) ورحت اتأمل فيها قال :

– عاوز تعرف أية ؟

– عاوز اعرف ما تقوله فرشاتك .. ولا يقوله لسانك

– وهل عرفت ؟

– لم اعرف .. وانما احس

– وماذا تحس ؟

– لم اصل بعد الى مرحلة نقل الاحساس الى كلام .

ويضحك بصوت عال محاولا اخفاء المـه .

– أنت يا درش .. ذكى جدا .. وغويط خالص .

كنت فى خوف دائم على وليم من أى حديث مباشر عن صديقتة . انه
يعرف ان العلاقة من جانبه هو فقط .. ولكنه كان يهرب دائما من هزم
الحقيقة مكتفيا بالجو الانسانى الذى يشعر به عند وجودها معه فى المرسوم
قال لى تجاة ..

– هنية قالت لك حاجة

فؤجئت بالسؤال . ما دفعنى الى محاولة معرفة شعور وليم نحوها
من خلال مقارنة لوحاتها المختلفة ، هو انها قالت لى بوضوح انها لاتحبه.

حيث لاتجد فيه الاخر الذى ترسده وهو بالنسبة لها فنان كبير وانسان عظيم يملأ جانبها من حياتها !
قلت

- راح تقول أبه بعنى .. دى معجبة جدا بيبك با ولیم
ادركت انى اخطات التعبير .. وحاولت تصحيح الخطأ .. لكنه أسرع
يقول والألم يكاد بمزقه .
- ما انا عارف .. مجرد اعجاب ..

وساد الصمت دقائق .. ثم جاءت صديقتة (...) .. ورأبت
تعبيرات أخرى على وجه ولیم .. تعبيرات طفل عثر على لعبته التى
ضاعت منه .

كان من المستحيل ان يستمر الحديث مع ولیم عن صديقتة .. لكننا
فهمنا كل شيء .. وتأكد فهمنا بعد ذلك .. بعد القُبْص على ولیم دخلت
الفتاة فى علاقة أخرى مع آخر كنت أعرفه ولا ارتاح اليه سياسيا
واضع أمامه علامة استنفهام .

وسادت فترة صمت رحنا بعدما فى نوم عميق حتى استيقظنا على
صوت « البروجى » وزقزقة العصافير الواقفه على الاشجار المحيطة بمبنى
« التاديب » ..

عندما فتح السجن الزنزانة قال :

- حضروا ملايسكم .. حضرة الضابط حاي .

- ليه خير .. فيه ايه ؟

- والله ما انا عارف ..

عرفنا أننا مرحلون الى ليمان طره .

قال الضابط (...) وهو يبتسم

- والله راح توحشونا با جماعة .. بعنى هبة طره احسن من هنا .
وتبادل الضابط معنا حديثا وديا . شكرناه على حسن معاملته وسعة
أفقه . وتمنى الرجل ان نلتقى به فى ظروف أفضل .

وحتى مأمور السجن الذى استقبلنا عند حضورنا ، طريفة سئة اعتذر
عن ذلك .. سعة الاوامر من المشاهة العليا . وتأخر الرجل كثيرا حين ملنا
له اسد .. بسير موقفه تماما . لنا من جانبنا نعتذر أيضا اذا كنا
قد سببنا له أى ازعاج فقد كان من الضرورى ان يكون لنا موقف منذ
البداية ولكنه ليس موقفا صده .

وكانت مفاجأة أن وجدنا بعض الاهالى على باب الليمان فى انتظارنا ..
وبدأت المساومات مع الضابط رئيس الحرس حول مقابلتهم والخوس معهم
تلبلا خلال الطريق الى ليمان طره . كان الضابط متأثرا
الى حد كبير يريد ان يحقق لنا .. مطلبنا .. لكنه بخشى
أن يراه أحد من ضباط الباحث .. قال بود .

- طيب سيديوني اتصرف ..
وطلب من الاهالي ان يسبقونا وينتظروا في منتصف الطريق من اليمان
حتى محطة السكة الحديد .. وهو طريق طويل خال من المارة تماما .
وسارت بنا عربة السجن التي تقلنا وعندما مرت بالاغالي وسبقتهم
بحوالي ٢٠٠ متر طلب من السائق ان يتوقف .
قال للسائق ..
- أنا نسدت أوراق في ظرف على مكتب المأمور .. خد العربة وروح
هاتها بسرعة .. والحرس ينتظر ههنا مع المساجين .
وحتى عاد السائق وكان قد مضى وقتنا لا يفل عن نصف ساعة بحنا
عن الأوراق الوهمية كنا نجلس مع الاهالي على قارعة الطريق في زيارة
خاصة أكلنا خلالها لحما ووجاجا وأطعمه أخرى دسسه .
وقبل ان نسير بنا السيارة مرة أخرى قال الضابط بود
- ان شاء الله ممكن نعمل لكم زيارة تانية عند ليمان طره
وخرج دعوات كبيرة من الأمهات ..
- ربنا بحميك لشبابك يا ابني أنت واللى زيك
وعند ليمان طره تحقق ما وعد به الضابط .. وهكذا زرنا أهلنا
٣ مرات في أقل من ٢٤ ساعة حصلنا خلالها على كميات من الأكل والنقود
والاخبار .
وفي ليمان طره قابلنا زملائنا الخمسة .. جمعونا في زنزانة واحدة .
مع الحراسة المشددة .

أحكى لك قصة الليلة الأولى في ليمان طره في الرسالة المقبلة يا حبيبتي .

٥ أبريل ١٩٧٧
بغداد

الرسالة رقم (١٥)

حبيبتي .

لم ننم طول ليلة وصولنا الى ليمان طره . فبعد أكثر من شهرين يلتقى كل الزملاء المحكوم عليهم بالأشغال الشاقة وفى زنزانة واحدة . وكان معنا فى زنزانة واحدة امنياز كبير لا يحصل عليه الا الذين تفرض عليهم الحراسة المشددة والخطرين الذين يحب ان يعزلوا عن بقية المساجين ، فالزنزانة فى ليمان طره تسع ما بين ٢٥ و ٣٠ مسجوناً . وبينما تطفأ الأنوار فى الزنازين فى ساعة محددة ، فان زنزانة « الخطرين » لا تطفأ أنوارها طول الليل . . أيضاً كأجراء من إجراءات الحراسة المشددة . . وكان هذا أيضاً امتياز اعطانا فرصة إعادة قراءة المطبوعات التى حصلنا عليها فى ليمان أبو زعبل والننى حصل عليها زملائنا فى ليمان طره قبل حضورنا . كما ناقشنا وضعنا الجديد فى الليمان على ضوء خبرة زملائنا الذين سبقونا اليه منذ شهر . الفرق بين ليمان طره وليمان أبو زعبل كالفرق بين حى الزمالك وحى بولاق . الأول يضم « وجهاء » المجرمين ، والثانى يضم **حنالتهم** فضلاً عن ذوى السوابق الكثيرة . والفقراء الموجودون بليمان طره هو فقط لخدمة هؤلاء « الوجهاء » أو الذين بنوبون عنهم من تجار المخدرات و « جرائم الثأر » وغيرها من تلك الجرائم التى تنفق مرتكبوها مع المسئولين على أن يحل محلهم « فراير » وكله بنمنه . هؤلاء « الوجهاء » بحكم أوضاعهم الطبقيه وما يملكون من مال ، يملكون أيضاً « السلطة » . مهم لا يخرجون للعمل فى الحدل ، وإذا خرج بعضهم لسبب أو آخر ففى وسعهم ان يستأجروا من الفقراء من يعمل بدلاً منهم . والزنازين لا تغلق عليهم طول النهار ولهم الحق فى التجول فى كل انحاء السجن ، وبأتيهم من بيوتهم أو من « حروبى » أفخر أنواع المأكولات والمشروبات . حتى المنوعة ذابنا . أما زياراتهم فهى تقسم دائماً فى مستشفى السجن حيث يدخل الزائر الى حراسهم بآلة تسمى « بيسكون » معهم بالساعات تحت سمع وبصر ضباط السجن مع ان مدة الزيارة « الخاصة » لاتزيد عن نصف ساعة . و « الجرائم » السناسية يعامل أصحابها حسب نوع « الجريمة » . . كريم ثابت « المستشار الصحفى للملك فاروق » . مثلاً كان يعيش فى الليمان « كدائشا » اذا سار بحيط به عدد من الضباط . . ويضرب له الجنود « تعظيم سلام » عندما يمر بهم . . ولا يمنع هذا ما يعرمونه عن الدور الحقيقى الذى كان يقوم به كريم ثابت خارج السجن .

ويمكن لبعض المسجونين العاديين « الممراء » ان يحصلوا على بعض الامتيازات التي يحصل عليها أصحاب المال اذا كان لهم ضابط « بلديات » هدف اتصالنا بالمسجونين اذ هو تنفيذ اللائحة .
 ووسيلة اتصالنا بهم هي **الجريدة** . لكن هذه الجريدة تحتاج الى انصار .
 يرسلونها . . وبوزءونها في **العنابر الأربعة بأدوارها الستة عشر دورا** .
 فكيف تخنارهم في ظروف هذه الحراسة المسددة علينا ؟ . . نحن لا نحتاج في البدايه سوى لاربعة أنصار . . لكل عنبر نصير واحد . لكن اختيار الأربعة يحتاج الى حذر شديد ففي الليمان جواسيس رعملاء للاداره وآخرون للمباحث العامه . وهؤلاء يمكن معرفتهم بسهولة . . حيث سيكلمون بالاتصال بنا لمعرفة « الاخبار » و « الاحوال » . . كما حدث مع بعض زملائنا الخمسة الذين سبقونا الى هذا الليمان . . وبالطبع لم يعرفوا شيئا .

كانت المشكلة الأساسية اذن أمام صدور « **الجريدة** » هي الاتصال بالمساجين . مكيف نتغلب على هذه المشكلة ؟ الزنزانة التي يعيش فيها في الدور الثاني في عنبر ٤ نفج علينا في الصباح بعد خروج كل المساجين الى العمل في الجبل كي نذهب الى دوره المياه التي **يخلونها** تماما حتى من المساجين الذين يقومون بتنظيفها . نم نعود الى الزنزانة ، وتكرر هذه العملية بعد الظهر ويغلق علينا باب الزنزانة حتى الصباح . حتى امكانية الحديث مع مسجون من خلال « ثقب » الزنزانة معدومة تماما ، فالحارس يقف على بابها لا يفارقها لينمى أى مسجون من الاقتراب منها .

وكان قرارنا في تلك الليلة هو تكليف وليم بعمل ماكيت **الجريدة** .
 وتكليف الزميل الذى ايذهب يوميا مع الحارس لاحضار الغداء والعشاء من المطبخ ان يستفيد من هذه الامكانية الوحيدة ومحاولة خلق صلة صداقة عادية مع المسجونين الذين يعملون في المطبخ أو الذين يترددون عليه لاختيار من يصلح مندوبا للجريدة .

وبعد حوالى شهر صدر العدد الاول من « **الطريق** » شعارها **حمالة سلام**
 وقد مزقت القيود الحديدية برجليها وهدفها « تطبيق لائحة المسجونين » .

كيف استجاب المساجين للعدد الاول من « **الطريق** » ؟

وماذا كان موقف الادارة ؟

أحكى لك ذلك فى الرسالة المقبلة يا حبيبتي .

٨ أبريل ١٩٧٧

بغداد

الرسالة رقم (١٦)

حبيتي :

كان صور العدد الأول من جريدة « الطويق » يعنى بالنسبة لنا علاقة وثيفة بالمساجين ، وعلاقة متوترة بالادارة . كان الليمان كله من رجال الادارة والمساجين يعرفون اننا وراء اصدار الجريدة ، لكن ينقصهم الدليل . وبقدر ما كان استقبال المسجونين للجريدة رائعا بقدر ما كان رد فعل الادارة عنيفا خاصة وأنها لم تعرف بصور الجريدة الا بعد العدد السادس ، أى بعد شهرين ونصف فقد كان تصدر كل ١٥ يوما . وقبل ان يقع العدد السادس فى ايدى رجال الادارة كانوا حائرين فى أمر المسجونين الذين بدأوا فجأة يطالبون بحقوقهم ويهددون بالاضراب عن الطعام ويرسلون الى النياحة شكواهم . الخ . اذكر ان مأمور السجن جانا يوما على رأس حملة من السجانة لتفنيش زنزانتنا بعد منتصف الليل وهذا لا يحدث أبدا الا فى حالات خاصة فالمفروض ان الزنزانة بعد التمام لا تفتح الا بأمر من النيابة العامة أو بأمر مدير مصلحة السجن . فى تلك الليلة كنت أول من استبقي على صوت مفتاح الزنزانة . ثم صوت عال . . انتباه . .

و « انتباه » نعنى أن يقف المسجونون استعدادا للتفنيش . ما كدنا نقف حتى كانت الغرفة قد امتلأت بالسجانة والضباط للتفنيش . لم بجدا « ممنوعات » والممنوعات تبدأ من السأى الناشف والأمواس حتى الورق والأقلام والكتب والمختبرات ، وبالطبع لم يكونوا يبحثون الا عن دليل يثبت علاقتنا بالجريدة . وكنا على استعداد لهذه الحملة التى كنا نتوقعها حيث عرفنا أن مأمور السجن (. . .) بدائه استطاع أن يحصل على نسخة من الجريدة من أحد المسجونين الذى كان يثق به . والواقع أن هذا المسجون كان له العذر حين وثق بالمأمور الذى استطاع بدائه أن يكسب لبس فقط ثقة عدد كبير من المسجونين ولكن أيضا عدد من زملائنا الذين خدعوا فيه . فقد كان الرجل يطمع فى أن يكون هو مديرا لليمان وكان هذا المنصب خاليا . وسعى الرجل الى كسب ثقة المسجونين والسجانة والضباط بمختلف الطرق حتى شاع بين الجميع بأنه سوف يرقى الى رتبة لواء ويتولى منصب المدير . غير أنه فوجئ كما فوجئ الجميع بتعيين مدير جديد لليمان وكان هذا المدير مكروها من الضباط لأن عسكريته « ناشفة » ومكروها

من المساجين الذين يعرفونه ماسيا عليهم منذ كان ضابطا صغيرا ولم يبناس
المأمور (٠٠٠) بعد قدوم المدير الجديد وراح يعمل على احراجهم أمام
المسؤولين في مصلحة السجون حتى يثبت لهم أنه عبر كف، لهذا المنصب .
ومع ان العدد السادس من مجلة « الطريق » لم يكن هو العدد الوحيد
الذي وصله فقد وصله عن طريق نفس المسجون العدد الخامس . ولما لم
يحدث شيئا خلال الخمسة عشر يوما بين العديدين ، اطمأن اليه المسجون،
بل ان بعض رملاني اطمأنوا اليه حتى انهم حين عرفوا بخبر وصول العدد
السادس له لم يتوقعوا هذه الحملة التفتيشية وكانت هذه النقطة محل
نقاشنا لمدة ساعات قبل الحملة وانتهت بتوقع حدوثها في نفس الليلة
لاحراج المدير الجديد الذي لم يكن قد مضى على قدومه الا عشرة أيام ،
وبالتالي اراد أن يستغل الفرصة .

قال المأمور وهو يدخل الزنزانة على رأس الحملة وقد ملأت وجهه ابتسامة
خبينة :

- لا مؤاخذه . . يا جماعة . . أعمل أيه . . أوامر المدير .
- خير ان شاء الله . . أيه الحكاية ؟
- المدير الجديد ياسيدي . . ضبط المجلة . . كان حقكوا تاخذوا بالكوا
قال أحد الزملاء بسخرية :
- مجلة آخر ساعة .
- آخر ساعة مين يا راجل . . دي مجلة الحكومة . . مجلة ثانية . .
- شوف ومد الرجل بده ثلثي . . لاحظت ان كلمة « العدد السادس » قد مسحت
بغضابة وكتب « العدد الأول » .
- ده العدد الأول . . لحقتوا تضبطوها ؟
- وأدرك الرجل أن أمره قد انفضح أمامنا . . وأن تظاهرها أمامه بالثقة
فيه طوال الفترة السابقة الى حد أنه خدع بذلك قد انتهى . فقال
غاضبا وموجها حديثه الى الضباط والجنود وكانوا قد انتهوا من التفتيش
- واقفبين كده ليه . . فتش كويس
مال أحد الضباط :
- فتشنا يا أفندم . . مفيش حاجة . .
- قال بغضب أكثر :
- فتش في الحيطان . . في الأرض . . في كل حته
ثم قال لأحد الجنود :
- روح هات شاكوش . .
- قلت بسخرية . . بينما الجنود والضباط في دهشة من هذا الطلب الغريب
- وليه بقي الشاكوش ؟
- ارتفعت نبرات صوته الغاضب

- أدت عارف كويس .. بلاش اسهبال

فلت بحدده :

- حضرة المأمور .. فم بمهمك حسب المانون .. ولا نزد .

وكان السجان قد جاء بالتساكوش .. أخذه المأمور وراح يحق به على جمع جدران الزنزاة وعلى أرضيتها .. لكن رجع كل الدقا كانت صماء .. كان يحد من دخباً في الأرض أو في الحائط ولكن دون جدوى . كان المخبأ على غير العادة في سقف الزنزاة .. لا أحد ينصور عمل مخبأ في سقف عال .. فكيف الوصول إليه ؟ لحفر المخبأ ، ثم لاستخدامه بعد ذلك يوماً .. لكننا لمدة شهر ونصف كان شغلنا الساعل هو عمل هذا المخبأ .. حفرناه بموس حلاقة ، وكان الزميل الذي يقوم بالحفر بحمله زميل آخر وحمل الزميلان زميل ثالث .. وكان العمل يبدأ يوماً بعد منتصف الليل حتى الفجر .

ولما لم يعثر المأمور على ضالته ، أراد بعد افنصاح أمره أمامنا أن لا يقطع حبل « المود » .. قال ..

- يا جماعة أنا مأسف .. دى أوامر المدير .. تصوروا صحانى من النوم وأمرنى بتفنىسكم بعد ما جاب موافقة مدير مصلحة السجون .
فلت .

- واسمعنى أنا بالذات

- متفهمش .. دى المجلة حتى ما فيهاش ولا كلمة سياسية ومد يده يناولنى الجريدة

- حتى خد سوف .. اقرأ

تظاهرت بنصفحتها سريعاً وقلت :

- طيب ما نصرفوا لهم ملابس الصيف

- هو أنا لحقت - المدير الجديد جه من هنا وكل حاجة ومفتش هنا

- وقفت له

- مستنى أوامر ..

ثم استنرد وابتساماً لثيمة تملأ وجهه .

- والأيبه

قلت بابتسامة لها معناها

- لك حق .. وأنت الاحق

وفهم الرجل ما أقصده .. أنه أحق من المدير الجديد بهذا المنصب . أردت أن اطمئنه فهو وأن افتضح أمره بالنسبة لنا .. يمكن الاستفادة من تناقضه مع المدير الجديد المكروه من الجميع ، بشكل أكثر ولمصلحة كل المسجونين ..

وفى صباح اليوم التالى بعث المأمور فى طلبى ودارت مناقشة صريحة وأن بدأت بالرمز . قال وابتسامته المصنوعة تملأ وجهه وبعد أن أخلى مكتبه -

واضاء اللبنة الحمراء

- أنا متأسف قوى يا أستاذ .. أنت عارف دى أوامر
- قلت بسخرية
- أمرك يا سيدى !
- قال وقد زالت اتسامته .
- أحسن نكلم بصراحة .
- أحسن .. والمصلحة مشتركة .. على الأقل لفترة
- ضحك الرجل وقال
- وليه لفترة ؟
- لغاية ما تتعين أنت مدير
- ضحك مرة أخرى وقال
- ابدا .. ابدا .. هوه يعنى المنصب راح يغيرنى
- يعنى ..
- يعنى أيه ؟
- ضحكت وقلت
- الهدف راح يتغير ..
- قال بخبث
- وبالتالي التاكثيك
- أهو كده ..
- يعنى ننفق على التاكثيك
- تمام ..
- وفيك من يكتم السر
- فى عاشر بيير ..
- وتعرف كام سر لغاية دلوقت ؟
- سرين .. واحد مؤكد .. والثانى استنتاج حتى اعرف منك .
- أيه هوه المؤكد ؟
- حكاية المجلة
- مضبوط .. والاستنتاج ؟
- مترتب على الأول
- ضحك الرجل بصوت عال
- برافو انا اللى طلبت من المصلحة اذن بتفتيشكم .
- قلت بابتسامة
- معلش .. طلعت «أوت» المرة دى
- يبقى نتفق ..
- نتفق .. على أيه ؟
- ما أنت فاهم ..
- شيلنى واشيلك ؟

- نـعـجـبـنـى .
- والضمـان ؟
- طـلـبـاتـك ؟
- كلـه بـوقـتـه .
- يـبـقـى اتـفـقـنـا .

السياسة كما يقولون فن . والشاطر هو الذى بلعب على التناقضات فى صفوف الأعداء . هذا المأمور داهية ذكى ، ناعم ، له بعض القدرات الثقافية وهو يسخر كل قدراته فى معركته ضد المدير الذى « اغتصب » حقه فى منصب المدير . والمدير يتميز بالغباء الشديد مكروه من الضباط والمساجين والجنود ولا يدري أن المأمور يعبىء الليمان كله ضده لاجراجه أمام رؤساءه . ولقد خلقت هذه المباراة ظروفًا موضوعية مواتية لاستمرار صدور الجريمة ولتحقيق أكبر قدر من مطالب المسجونين ، فضلاً عن إمكانية أكبر لتحركنا بين المساجين والاتصال بهم وفى المقابل لعب هذا المأمور الداهية لعبته بذلك، ضد المدير الى حد جعله مهزلة أمام كل المسجونين .

أحكى لك واحدة من ألعابه فى الرسالة المقبلة يا حبيبتي .
١١ أبريل ١٩٧٧
بغداد

الرسالة رقم (١٧)

حبیبتی

صدر العدد السابع من مجلة الطريق في وقت كان فيه الليمان في قمة الغليان • المأمور الداهية لم يعد يتصدى لحل أى مشكلة للمسجونين كما كان يفعل قبل قدوم المدير الجديد، وكان ضباط السجن معه بشكل أو بآخر • وبالطبع استطاع المأمور في ظل هذا الجو أن يورط المدير في عدد من الأعمال الاستفزازية ضد جميع المساجين حتى أتى عملا استفزازيا ضدنا وتحديناه باعلان الإضراب عن الطعام الذى استمر ١٨ يوما • كنا نخرج الى الجبل يوميا عدا زميلنا ولیم اسحق حيث تعفيه اللائحة من الأعمال الشاقة اذ رأى الطبيب ان صحته لا تحتملها • وكان خروجنا الى الجبل بناء على طلبنا وأن كنا لا نعمل شيئا حسب اتفاقنا مع المأمور • وفى يوم من الأيام كان ولیم يسير في حوش الليمان مع حارس ولما رآه المدير أمر الحارس ان يخرج به الى الجبل مخالفا بذلك اللائحة • وحين اعترض ولیم على ذلك سبه وانهال عليه ضربا ، ثم حمله عدد من السجانة الى الجبل • ولم تفض دقائق حتى رأينا المدير على رأس عدد من الجنود وقد أحاطوا بنا من كل جانب تحت سفح الجبل ومعه المأمور وعلى وجهه ابتسامته الصفراء المعهودة • صاح المدير بأعلى صوته :
- يا الله يا مذهب أنت وهو • • كله يشتغل
لم يتحرك أحد منا من مكانه •
صاح مرة ثانية وبصوت أعلى ، والمأمور الى جانبه لا يتكلم وتملا وجهه ابتسامته اللسبية •
- بعد دقيقة واحدة عاوز كل منكم يروح يشيل الحجارة • • والا راح استخدم القوة •
تقدمت اليه وقلت بهدوء •
- أحسن استعمل القوة
صباح بغضب
- أنت بتتحداني •
قلت بهدوء أكثر
- لا اتحداك وانما اللائحة هي التي تتحداك •
جن جنون الرجل • • وابتسامته المأمور تتسع أكثر

- اللائحة .. اللائحة .. كل المساجين يتقول اللائحة .. مالها اللائحة
- اللائحة تمنعك من اخراج زميلنا بالقوة والاعتداء عليه .
- أنا ما اعرفش حاجة اسمها لائحة
- لكن احنا نعرفها ونطالب بتطبيقها !
- وازداد جنون الرجل فسب اللائحة اللي مجننا وواضى اللائحة الذين لا يفهمون ، وقال .
- انا أوامرى هي اللائحة
- ونحن ننمسك باللائحة .. ونعلن اضرابنا عن الطعام .
- تبك الرجل وازدادت ابنسامة المأمور اتساعا . وهز الضباط رؤوسهم يشجعوننا وجرى عدد من المساجين الى زملائهم المنشرين تحت سفح الجبل يبلغونهم الخبر .
- وبعد دقائق درت فى صمت . انتحى المأمور بالمدير وهمس فى اذنه ببعض كلمات قال المأمور بعدها
- سعادة المدير كلبنى انى اتفاهم معاكم
- نحن نفضل التفاهم مع النيابة
- صاح المدير بغضب
- ودخلها ايه النيابة ؟
- قلت بهدوء
- واجبها التحقيق فى أسباب اضرابنا عن الطعام
- قال المأمور بلهجة التى نعرفها
- يا جماعة بلاش حكاية الاضراب دى .. وكل شىء بالتفاهم
- لن نتفاهم الا مع النيابة
- وبخبت شديد وجه المأمور كلامه الى المدير
- يا سيادة المدير .. اتفضل سعادتك وانا راح اتكلم معاهم .
- لوى المدير لجام حصانه ليعود الى الليمان ونظرات الضباط والجنود والمساجين الساخرة تلاحقه .
- همس المأمور فى اذنى
- واضح انكو مصرين على الاضراب
- ايه رأيك أنت ؟ مش فرصة برضه ؟
- وبعدين وياك ؟
- يعنى علشان نأكد لك ان احنا فاهمين بعض .
- كان موعد الغداء قد حل وأصوات تنادى علينا بالذهاب « بالقروانت »
- لاستلام العدس أو القول الذى كنا نطلق عليه « السوس القول » بدلا من « القول السوس »

- التفت المأمور الى أحد الحراس وقال
 - روح هات لهم الغداء .. ثم التفت الى وقال
 - والا أبه ؟
 قلت
 - آه طبعا هات الغدا أمال أبه ؟
 انقنع وجه المأمور ونعابير وجهه نتساءل ، هل عدلنا عن الاضراب ، وقال
 - آه طبعا مفيش داعي للاضراب
 - احنا مضربين
 صاح المأمور بغضب
 - أمال عاوز الغدا ليه ؟
 - علشان يا حضرة المأمور تشوف بنفسك ان الغدا جالنا واحنا رفضناه
 وثبتت ده في الحضر .. والا أبه ؟
 - لك حق .. روح يا سجان هات الغدا بتاعهم وودييه اللبمان في مكتبي ..
 وانتو بقي تتفضلوا تروحوا الليمان وبكره انشاء الله نعمل الحضر .
 - بكره زى دلوقت .. والا أبه يا حضرة المأمور ؟
 قال بلهجة تأكيد
 - طبعا . طبعا .. أنا فاهم اللائحة .
 تنص اللائحة حين يضرب المسجون عن الطعام يعمل محضر بعد ٢٤ ساعة
 من ساعة الاضراب . لكن ادارة السجن عادة لا تنفذ هذا النص الا بعد
 مرور ٤ أيام على الأقل . وخلال هذه الأيام تستخدم الادارة كل وسائل
 الارهاب حتى يعدل المسجون عن الاضراب وبالتالي لا يثبت في أوراق
 السجن ان اضرابا عن الطعام قد حدث . وبالطبع كنا متأكدين ان المأمور
 سوف يفتح لنا المحضر في الموعد الذي تنص عليه اللائحة بعد ٢٤ ساعة .
 هكذا بدأنا الاضراب عن الطعام وسط عطف المسجونين وعدد كبير من الضباط
 والسجانة ، ومع تأكيدنا بأن المأمور سوف يبلغ ادارة السجن بخبر الاضراب
 بأقصى سرعة امعانا في احراج المدير . ونحن في الطريق الى الليمان
 اقترب مني مسجون - من هيئة تحرير الطريق . وهمس :
 - أبه رأيك نصدر عدد خاص من الطريق ؟
 - موافق وبأقصى سرعة
 - وسنرسل الخبر الى الاهالي وكل الجهات المسئولة
 - همته أنت وزملائك .
 - رقابنا .. انتو بتضحوا وتجوعوا علشاننا احنا الغلبة .
 بعد ٢٤ ساعة بالضبط كنت في مكتب المأمور لعمل المحضر . فوجئت
 بان المحضر مكتوب بطريقة قانونية تضع المدير أمام مسئولية الاعتداء
 على وليم وخرق اللائحة . كذلك سب اللائحة والذين وضعوها .

بعد أن قرأت المحضر قال المأمور :

- أيه رأيك .. انا ملت ابتدى أكتب المحضر .. أظن تمام كده ؟
قلت مبتسما ..

- عظيم جدا .. بس شوية اضافات كده
- قوى قوى .. قول ..

- يعنى مطالبنا بتحسين المعاملة بوصفنا مسجونين سياسيين ، وصرف .
استحقاقات المسجونين من الغذاء والملابس وغيره
وقام المأمور بإثبات هذه الطلبات ..

عدت الى العنبر كى نحمل متاعنا « البرش والبطانية » ونذهب الى
« التأديب » .. زنازين انفرادية يسجن فيها الخالف للنظام والضرب عن
الطعام .. كان المسجونون فى العنابر الأخرى والمتشربين فى الحوش ومكاتب
الإدارة والورش يلوحون بأيديهم تحية لنا وتشجيعا .. ومن استطاع منهم
أن يقترب منا كان يعرض خدمته .. وعلى باب المأدب كان هناك من
ينتظرونا كى يعطينا العدد الخاص من مجلة « الطريق » .. كان هذا العدد
هو الثالث الذى تحرره افلام المسجونين بكامله وبغير أى مساعده منا
كانت افتتاحية العدد الخاص عن حادث الاعتداء على زميلنا وليم ثم
موقفنا من المدير تحت سفح الجبل وعن اضرابنا الذى يستهدف تحسين
معاملة المسجونين جميعا وصرف الملابس والاغذية التى يستحقونها ..
وطالبت الافتتاحية فى الختام بمساندتنا والوقوف الى جانبنا وذلك بتوصية
أهاليهم بارسال برقيات احتجاج الى المسئولين والى النيابة لسرعة
حضورها للتحقيق ..

أصعب الاوقات التى يواجهها المضرب عن الطعام هى الايام الثلاثة الأولى
بعدها تكون المدة قد تعودت على عدم استقبال الطعام ، ثم يبدأ
التعب فى هذ الجسم .. وعادة يتعجل المضربون عن الطعام حضور النيابة
للتحقيق فى مطالبهم ومن المفروض ان تأتى فى موعد لا يزيد عن ٤٨ ساعة
منذ بداية الاضراب .. ومع أن مأمور السجن أرسل التحقيق الإدارى الى
المسئولين فى مصلحة السجون التى عليها ان ترسل فى طلب النيابة فقد
مضى اليوم العاشر ولم تأت .. والعدول عن الاضراب قبل أن تأتى النيابة
للتحقيق يعتبر هزيمة لنا ..

كان عدم حضور النيابة شكل من أشكال الضغط التى بدأت
الحكومة تمارسها علينا فقد أنهالت عليها البرقيات من عدد كبير
من الهيئات والمنظمات والأحزاب التقدمية العالمية فضلا عن المظاهرات
اليومية التى كان الأهالى يقومون بها عند رئاسة الجمهورية ووزارة
الداخلية ومصلحة السجون .. وأمام هذا الضغط المحلى والعالمى
رفضت الحكومة أن تبلغ النيابة حتى لا يثبت فى أوراق رسمية ما
يدل على اضرابنا بسبب الاعتداء علينا .. أخذت المعركة طابعاً

سياسيا • وفررنا الاسمزاز فى الاضراب عن الطعام مع مضاعفة الحملة فى الخارج وبين الاهالى •

وفى اليوم الحادى عشر صدر عدد من مجلة الطريق كل مادته حول استدرار اصرابنا حتى تحضر النيابة للتحقيق باعتباره حقا لنا تعمل الحكومة على اهداره حتى تبرر موقفها أمام الرأى العام العالى • ونشرت المجلة مفتطات من البرقيات المطولة التى وصلت الى الصحف المصرية من عدد من الهيئات العالمية ولم ننشرها ، ومفتطات من الببانات التى أرسلها أهالى المسجونين الى الجهات المسئولة •

وفى اليوم الثالث عشر ساءت صحة زميلين الى درجة خطيرة ومع ذلك لم ينقلوا الى المستشفى الا فى اليوم السابع عشر بعد أن أعلن الطبيب عدم مسئوليته عما يحدث لهما اذا لم يعدلا عن الاضراب وتناول العلاج الضرورى • فمع انه فى اليوم الثالث عشر بعد أن كشف عليهما أمر بنقلهما الى المستشفى ، فان ادارة السجن امتنعت عن تنفيذ توصية الطبيب هربا من أى دليل يثبت اننا أضربنا عن الطعام وبإتائى امتنع هو الآخر عن الحضور اليهما فى الزنزانة •

وفى مساء اليوم السابع عشر نقل الزميلان الى المستشفى ولكنهما امتنعا عن تناول العلاج حتى تاتى النيابة لاثبات أسباب دخولهما المستشفى • وفى صباح اليوم الثامن عشر علمنا أن الزميلين بين الحياة والموت وأن الطبيب كتب تقريرا بذلك ذهب به بنفسه الى ادارة مصلحة السجون بعد أن أنبت فى دفاتر السجن سبب دخول الزميلين المستشفى وامتناعهما عن أخذ العلاج الضرورى • وعلمنا أيضا أن البرقيات مازالت تنهال على الجهات المسئولة تحملها مسئولية موت مناضلين مصممين على الاضراب حتى تجاب مطالبهم •

وفى مساء نفس اليوم الثامن عشر ، حوالى العاشرة مساء ، فتحت الزنازين فجأة ، أخبرنا حضرت النيابة ومعها المدير والمأمور وطبيب السجن وقيل أن يبدأ التحقيق قال وكيل النيابة :

– قبل حضورى الى هنا حصلت على موافقة مصلحة السجون بأن لا تخرجوا الى الجبل • قلت :

– قبل هذا كله •• ارجسو ان تثبت النيابة انها حضرت فى اليوم الثامن عشر منذ بدأ أضربنا عن الطعام • قال :

– أنا يا ابنى جيت بمجرد ما بلفوننا •
– وهذا هو بالتحديد ما أريد اثباته وهو ما يمليه عليك واجبك •
وجه وكيل النيابة كلامه الى المدير :

- هل اخطر شئ المصلحة بالاضراب فى الموعد القانونى . . . ؟
- نفت المدير الى المأمور الذى قال :
- أنا من ناحيتى حولت المحضر لسياقتك .
- قال المدير :
- وأنا أرسلته الى المصلحة .
- سأل وكيل النيابة :
- متى ؟

لم يجب ، وانفتح بوكيل النيابة جانبا واخذا يتهاوسان . ورغم الأعياء الشديد الذى كنت اعانيه . كان ذهنى يقظا لكل ما يدور حولى . انتهز المأمور فرصة انتشغال وكيل النيابة مع المدير وهمس لى وهو يبتسم بحيث :

- سمع كلامهم الشفوى بالتليفون وعطل ارسال المحضر عشرة ايام وطبعا هو الذى راح يتحمل المسؤولية .
- عاد وكيل النيابة ومعه المدير وبدأت مساومة ، قال :
- سيادة المدير مستعد لان يجيب كل طلباتكم .
- منشكرين .
- يعنى موافق .
- ازاى ما وافقنى على اجابة كل طلباتنا .
- يبقى اتفقنا .
- طبعا بعد اثبات حضورك بعد ١٨ يوما . .
- أمال يبقى اتفقنا على ايه ؟
- على تحقيق مطالبنا . .
- قال الرجل فى محاولة لاثارة عطفنا على المدير الذى سـيـتـحـمـل المسؤولية .
- وأبـه لـازمة المدير يتحمل المسؤولية وكان عنده أوامر ؟
- على من ينصدى لوقع المسؤولية ان يتحمل نتيجة موافقه .

وامام اصرارنا انصرف المدير تاركا كل شئ فى يد وكيل النيابة والمأمور . ارسل المأمور لاحضار دفاتر السجن كى تثبت عدم مسؤوليته وبالتالي يلغى المسؤولية على المدير الذى تأخر فى ارسال محضر بدء الاضراب عن الطعام . وبعد أن اثبت وكيل النيابة ذلك كما اثبت واقعة الاعتداء على زميلنا ولبـم ، حاول المأمور أن يوحى لوكيل النيابة بانهاء المحضر فقلت :

- نتكلم بقى عن مطالب المسجونين ؟
- قال المأمور بغضب :

- أنت مالك بقى ومال المسجونين ؟
- لانى مسجون زيههم •
- وأدرك وكيل النيابة أن فى الأمر شيئاً لا يعرفه •• انتحى بى
- جانبا وسال ، فقلت :
- أصل المأمور هو المسئول عن هذا الموضوع •
- وأصر وكيل النيابة على أن يثبت كل مطالب المسجونين •
- ماليس الصيف لم تصرف •
- قال المأمور :
- بل صرفت ••
- سال وكيل النيابة ؟
- متى ؟
- أمس •
- سال وكيل النيابة :
- أمس فقط •• الصيف قرب يخلص •
- والفتت الى وقال :
- وأيه كمان •• قول :
- كمية العسل قليلة •• ووزن اللحم أقل من المقرر •• و ••
- وأثبت الرجل كل شىء • وقفل المحضر بانتهاء الاضراب عن الطعام
- وعلامات الغضب باقية على وجه المأمور الذى قال :
- يعنى احنا حرامية يا استاذ ؟
- ثم اتسار الى حدائه وقال :
- يا أخى ده أنا جزمى مقطعة •
- قلت بسخرية :
- أظن ده مش دليل كاف
- قال بغضب :
- يعنى بتتهمنى ؟
- الجهة التى تملك الاتهام •• آهى •
- وتدخل وكيل النيابة :
- يا حضرة المأمور أفكر بقى تعمل اجراءات فك الاضراب •
- ولأن المدة لا تحتل بعد توقفها عن العمل لمدة المفروض أن تبدأ
- نشاطها ببعض السوائل • وحين أمر الطبيب باحضار عصير قصب ،
- الذى ما كنا نبدا فى تناوله حتى فوجئنا بالخير ياتى ومعه
- سجان يحمل كميات من البرتقال وعصير البرتقال واكواب • وراح
- الرجل بنفسه يوزع علينا كميات البرتقال والعصير ، ولما شكرته
- قال بتأثر :

- يا ابنى انتو برضه زى اولادى •

تأثرنا جدا بموقف الرجل وكدنا نطلب من وكيل النيابة أن يعدل المحضر حتى لا تقع أى مسئولية على المدير • ان النورى الذى بحسبه الناس قاسيا ولا قلب له ، فى أعماقه طفل يتأثر بأى عمل طيب أو لمسة انسانية ، والغريب أننا شعرنا بعد انتهاء الاضراب ولاكثر من أسدوع بأنه كان يجب أن لا نحمل المدير أى مسئولية وخصوصا وأن المسئولية الحمقيه تقع على **الحكومة** وعلى وجه التحديد **وزير داخليتها** الذى ينفذ سياسها ، لقد ظل تساؤلنا هذا قائما حتى يوم الاجتماع الكبير الذى دعى اليه مدير السجن • فماذا حدث فى ذلك اليوم المشهود ؟

أحكى لك ذلك فى الرسالة المقبلة يا حبيبتى •

٢٥ أبريل ١٩٧٧
بغداد

الرسالة رقم (١٨)

حبيبتي

فى رسالتى السابقة حكيت لك قصة اضرابنا عن الطعام وأسبابه . .
وأهدافه المباشرة داخل السجن . غير أن أبعاد هذا الاضراب كانت أكبر
من ذلك بكثير . كانت له ابعاده السياسية داخل البلاد وخارجها
فقد أصبحت قضية معاملتنا كسياسين قضية حية فى أذهان الناس
وعلى عكس ما كان يتوقعه مدير الليمان الذى عطل ارسال محضر
الاضراب الى المسئولين حيث كان ينتظر مساءته قانونيا ،
فقد أطلقت يده بشكل كبير فى الليمان كى يعيد اليه « النظام » ،
الذى « اختل » خلال الاضراب . لكن المدير لم يفهم ماذا تعنيه « أوامر »
اعادة النظام . أما المأمور فقد فهمها جدا . فهم انها مضايقتنا
الى أقصى حد ومحاولة استفزازنا وعزلنا عن المسجونين الذين بدعمت
علاقتنا بهم . واقامة الدليل على أننا وراء صدور جريدة « الطريق » ،
وحتى لا بنفضح أمر المأمور أمامنا وأمام المسجونين عامة راح الرجل
يوعز الى المدير بتطبيق نظام صارم فى الليمان كله ليستطيع من
خلاله أن ينفذ مهمته ارائنا .

وبدأت الأوامر تنهال : ممنوع بيع السكر فى الكانتين حتى لا يستخدمه
المساجين فى عمل المشاى فى الزنازين ، فاشعال أى نار تحرمه اللائحة .
لا يصرح لى مسجون أن يشتري أكثر من ٣ غلب سجائر فى الأسبوع وبحيث
لا يدخل الا خارج الزنازاة نهارا فالمفروض أن لا يكون مع المسجون
كبريت . وهكذا سلسلة من الأوامر التى راح يصدرها المدير لاعادة
« النظام » ، بايعاز من المأمور الذى كان يجرى يوميا تفتيشا وهميا
لزننازين بعض المسجونين ، وتفتيشا يوميا لزننازتنا بهدف
استفزازنا .

كانت مجموعة من زملاء « حجتو » قد حكم عليهم بالاشغال الشاقة
ووصلوا الى السجن خلال اضرابنا عن الطعام وبعد صدور حوالى
سبعة أعداد من مجلة الطريق . وكان المأمور بحكم صلاته يعرف
أن هناك خلافا بيننا وبينهم ، وبدأت خطته لتحقيق هدفه بمحاولة
تعميق الخلافات بيننا وبينهم . ومع أن الزملاء كانوا متنبهين الى ذلك

غير ان الرجل اسرطاع أن يخدمهم لفقرة طويلة ، فهو حين يقوم بتفتيش زنزانتهم يشكو لهم منا وكيف اننا لا نفهمه على حقيقته رغم أنه ساعدنا كثيرا ، ويتبادل السعر مع زكي مراد ، ويسمح للدكتور شريف حناش بالذهاب الى المستشفى أحيانا للكشف على بعض المرضى أثناء غياب طبيب السجن . لعب الرجل على خلامنا السياسية مع الزملاء بذكاء ومهارة الى حد أسر بشكل بارز على علامتنا معهم . ومع أننا فلنا لهم خبرتنا مع هذا الرجل وعن الاتفاق الضمني الذي جرى معه حتى افتضح أمره أثناء الاضراب عن الطعام حين أراد استغلالنا في صراعه مع المدير الا انهم أرادوا أن يخطوا التجربة بأنفسهم .

ومع استمرار صدور الأوامر لم يحتمل المسجونين هذا التصديق على حبايهم ، تكررت لقاءاتهم مع المدير الذي كان يصر على إعادة « النظام » والمأهول الذي كان « يناصل » للتخفيف عنهم ولكن المدير « نظامي جدا » ! . وصدرت « الطريق » تعلن انها ستحتشد المسجونين من أجل الاضراب عن الطعام اذا لم تلغ الادارة أوامرها التسففيه في موعد أقصاه عشرة أيام . ويبدو أن ما نشرته « الطريق » عن التهديد بالاضراب العام قد وصل الى المدير ، وربما يكون الذي أبلغه هذا الخبر هو المأمور الذي أوحى له أن يدعوا الى اجتماع عام لكل المسجونين ليناقتهم في مطالبهم فبعد يومين وقبل صدور « الطريق » صدرت الأوامر بعدم خروج المساجين الى العمل في الجبل وفي كل الورش .

حوش اللبان واسع جدا . تتوسطه منصة عالية تسمىها المساجين « البرج » . كان المأمور الانجليزي يحشد المساجين في هذا الحوش ويجلس على هذا « البرج » العالي ليتسلى بمنظر السجانة وهم يضربون المساجين بالعصى والكرابيج . وبعد أن ينتابه الملل يصدر الأوامر بوقف الضرب وتوزيع التمر والعسل عليهم ! .

كانت هذه أول مرة يستخدم فيها « البرج » منذ أن رحلت الادارة البريطانية عن السجن . حوالى ٤٠٠٠ مسجون يحلون القرفصاء في شكل مجموعات . يحيط بكل مجموعة عدد من السجانة يحملون الدافع الرشاشة ، وكان مكاننا في آخر الصفوف حيث جلسنا القرفصاء . يحيط بنا عدد أكبر من الجنود المسطحين بالرشاشات وثلاث ضباط على رأسهم أحد مأموري السجن ، (٠٠٠) الذي كان يقف قريبا مني . سألته :

— أيه الحكاية ؟

ابتسم الرجل الذي كان بالنسبة لنا كنوز شعبة في ظلام السجن الحالك :

— والله ما أنا عارف . علمك .

كان المدير يجلس منتفخا فى « برجه » العالى والى يمينه يجلس المأمور الأول « اباه » وبدأ أغرب اجتماع شهدته فى حياتى بكلمة من المدير قال :

- انتو عارفين • أنا راجل شديد طول عمرى من يوم ما كنت ضابط ملازم هنا • فاكربين • وسرت همسات بين المساجين • • قطعها الرجل بصوت جهورى •

- النظافة أهم حاجة عندى • احنا مسلمين ونحب النظافة • تبادلنا النظرات مع (• • •) الضابط المسيحى • • وسرت مهممات بين المساجين المسبحين • • واستطرد الرجل :

- وعلشان كده لازم كل واحد يطلع فرشته « البرش » « البطاطين » من الصبح لغاية القمام • • حسب اللوائح والقوانين •

وعلت المهممات بين المساجين • • وبدت علامات الغضب والضيق على وجوههم وطلب أحدهم الكلام • • لكن المأمور طلب منه الانتظار حتى ينتهى « سعادة المدير » من نصائحه وحديثه • • ويرتقم صوت الرجل • - وممنوع الاتصال بالخارج معنا باتا • الجوابات • • والأكل اللى بييجى من بره ممنوع • • العسكرى اللى بياخد ١٠ او ٢٠ قرش من المسجون ده حرامى • •

وبان الضيق على وجوه السجانة • • وسرت مهممات بينهم • • واستطرد المدير •

- والضابط لازم بفرض النظام • • مسألة البلديات دى لازم تنتهى • • الضابط الى يحابى بلدياته لا يقوم بواجبه • • هكذا استطاع المدير « بعبريته » الفذة أن يكون جبهة ضده • • **المسلمون والمسيحيون والضباط والسجانة •**

وعلت المهممات بين الجميع • • ووضع السجانة الرشاشات الى جانبهم بعد أن كانت فى وضع الاستعداد • • واختلت صفوف المسجونين المنتظمة • • خرج بعضهم عن الصف • • ووقف البعض الآخر • • وطالب بعض المسجونين بالتعقيب على كلام المدير • • غير أن المأمور بعد أن همس فى اذن المدير وهو يشير إلينا • • قال :

- بعد سعادة المدير ما يخلص حديثه راح يسمح لكم بالتعقيب • • ويستطرد المدير :

- وهناك قلة لا وزن لها • • سنضربها بيد من حديد • • وسعرنا أنه يشير إلينا •

- ألهست اللى تبعث برقية تقول فيها ان احنا بنضرب هذه القلة دى تبقى ست (• • •) •

- وغلى الدم فى عروقنا ٠٠ ووقف سعد باسيلى يقول :
- نحن لا نسمح بهذا الكلام الذى يحاسب عليه القانون .
- ووقف الزميل زكى مراد وقال :
- نحن نحفظ بحقنا برفع دعوى ضدك ، قضية سب على لحدى زوجاتنا أو شقيقاتنا أو بناتنا .
- ووقف عدد من المسجونين بندد بكلام المدير ويطلب التعقيب ٠٠
- وساد الهرج والمرج ٠٠ ووقف كل المسجونين يعلنون احتجاجهم ٠٠
- ليس دفاعا عنا وعن شرفنا الذين أهين علنا ولكن أيضا عن حقوقهم ٠٠
- وارتفع صوت المدير فى محاولة للحديث ، وبعد أكثر من نصف ساعة ٠٠ تركه المسجونون يكمل ٠٠ قال وهو يشير إلينا :
- أنا يا ولادى ما أقصدش حد من قرايكم ٠٠ دى واحدة من ايطاليا بتقول انها سكرتيرة منطقة ميلانو ٠٠ باعته تحتج ٠٠
- ووقف زميل ثالث :
- وهذه أيضا لا نسمح لك باهانتها ٠٠
- ووقف مسجون يطلب الكلمة ٠٠ قال :
- يا حضرة المدير احنا عارفينك من زمان ٠٠ أنت طول عمرك شجيد ٠٠ واحنا طول عمرنا ضدك ٠٠ ومش راح نسمح أبدا بأيام زمان تتكرر تانى .
- ووقف تان ٠٠ وثالث ٠٠ ثم وف الجميع يهتفون ضد المدير وظلمه وتعسفه ٠٠ لم يقترب منهم جندى واحد ٠٠ أو ضابط ٠٠ عجز المدير عن عمل أى شئ ٠٠ وامتلك المأمور الموقف كله ٠٠ قال وابتسامة صفراء تكسو وجهه :
- يا لالا سجانة كل واحد ياخذ المسجونين بتوعه على العنبر ٠٠ لكن المسجونين لم ينحركوا من أماكنهم ٠٠ وقال المأمور :
- سادة المدير راح يطلب عدد منكم علشان يتكلم معاهم عن مطالبكم قال مسجون :
- لا عاوزينه يتكلم هنا ٠٠ معانا كلنا ٠٠
- وقال آخر :
- لازم يسحب كل الكلام اللى قاله
- وقال ثالث
- مطالبنا لازم نتحقق ٠٠
- وقال رابع :
- الفرش مش راح يطلع بره الزنزانة أبدا ٠٠ والكانتين لازم يرجع زى ما كان ٠٠
- وهتف خامس :

- يسقط الظلم ..

وارتفعت أصوات المساجين تردد وراءه ..

يسقط الظلم .. يسقط الظلم ..

ويبتقم الضباط الذين يتعاطفون مع المساجين يطالبون منهم الهدوء ..
ويستجيب المساجين .. ويقول المدير بصوت ضعيف :

- يا أولادى انتم فهمتونى غلط . راح انظر فى مطالبكم .
لم يكثر به المساجين ، قاطعوه ، اختلطت مجموعاتهم ، لم يحاول
السجانة أو الضباط إعادة الضبط والربط ، وبصوت منهوك طلب
المدير من المأمور أن يصرف المساجين . وعاد المسجونون الى عنابرهم فى
شبه مظاهرة لم يشهدها الليمان من قبل يهتفون يسقط الظلم ..
يسقط الظلم . نريد حقوقنا . نريد حقوقنا . هل سيعدل المدير
عن أوامره التعسفية ؟ ، وما العمل اذا لم يعدل عنها ؟ المدير فى
موقف ضعيف ، والمساجين فى الموقف الأقوى ، ويجب الاستفادة من
هذه الظروف . كيف ؟ الاصرار على تنفيذ اللائحة . واتفق على أن
يصدر عدد خاص من « الطريق » ، بعد يومين يتضح خلالهما الموقف .
وبعد ثلاثة أيام صدرت الطريق تدعو الى الاضراب العام لكل المسجونين .
ولاول مرة فى تاريخ ليمان طرة يضرب كل المسجونين عن الطعام حتى
تجاب مطالبهم . وبالفعل تحققت كل مطالب المسجونين .

أحكى لك قصة ذلك اليوم فى الرسالة المقبلة يا حبيبتي .

٣ مايو ١٩٧٧

بغداد

الرسالة رقم (١٩)

حبيبتي

فى رسالتى السابقة حكيت لك ما انتهى اليه اجتماع مدير الليمان
بالمسجونين . كان من الطبيعى أن يسود المسجونين جو من الثقة
بعودة الحياة فى الليمان الى ما كانت عليه قبل الاجراءات التى
فرضها المدير . لكننا كنا نرى غير ذلك . ان تراجع المدير عن
الاجراءات التى اتخذها - على الرغم من أنها كانت محل مؤاخذه من
رؤسائه - سوف يخلق ظروفًا مواتية للمسجونين لطبيق كل بنود
اللائحة ، وهو أمر لا يريد بعض كبار الضباط حيث بسد بابا « للرزق » هم
حريصون على أن يظل مفتوحا . هذا الدافع الذاتى سيدفع بهم الى
اتخاذ اجراءات شاذة « لتطهير » أفكار المسجونين من الأفكار « الهدامة » .
وكنا نتوقع امرين : الاول : عملية تنكيل بالمسجونين الذين تحددوا
المدير اثناء الاجتماع العام ، والثانى : تشديد الحراسة علينا لمحاصرنا
وعزلنا عن المسجونين تماما مع محاولات لاستفزازنا أو فرض معركة
للتنكيل بنا . ومر يومان ولم يبد فى الأفق ما يشبر الى عحول
المدير عن الاجراءات الشاذة التى وعد بالغائها . وعبثا راحت كل
محاولات المسجونين لمعرفة ما يدور فى رؤوس المدير وكبار الضباط فى
مصلحة السجون الذين كثرت زياراتهم لليمان واجتماعاتهم بالمدير والأمور .
المأمور الذى كان دائم الصلة بالمسجونين وعلى وجهه ابتسامته
التقليدية ، وعلى شفثيه الوعود بتحقيق مطالب المسجونين اختفى
تماما . والضباط المتعاطفون مع المسجونين أصبحوا أكثر حرصا فى اظهار
نعاطفهم ويبدلون جهدا لاختفاء تعاطفهم ، ولا يقدمون تفسيرات للاجتماعات
الكثيرة التى تتم بين كبار المسئولين فى مصلحة السجون وبين المدير ،
فهم على الأرجح كانوا لا يعرفون . حتى السجانة كانوا يتوقعون
شيئا رهيبا ضدها بشكل خاص ، وضد المسجونين بصفة عامة . وكنا
نرى فى عيونهم نظرات العطف ، وأبدى بعضهم استعدادهم لساعتنا .
فى مساء اليوم الثالث عقدنا اجتماعا لمناقشة كل احتمالات المعركة
التي سوف تفرضها علينا الدولة . أرسلنا الى التنظيم تقريرا وافيا
عن الوضع واقتراحات بعمل حملة واسعة من البيانات الى المنظمات
الجماعية والنقابية والمهنية ، وإلى الهيئات اعلمية الديمقراطية .

والى الصحف ، والمسئولين ورئاسة الجمهورية . كما أرسلنا خطابات الى أهاليها لتكوين وفود تذهب الى المسئولين . وأخرى لتتواجد بشكل دائم خارج السجن لترقب الموقف والتحرك بسرعة اذا حدث شيء ضدنا . وكان فرارنا هو الصمود مهما كلفنا ذلك من تضحيات ، حتى الحياة ذاتها ، بعد هذا القرار ، كان أماننا في تلك الليلة مشكلتان : الأولى توصيل ما كنبناه الى التنظيم والى الاهالى بأقصى سرعة ممكنة . والثانية هي الاتصال بهيئة تحرير « الطردى » لاصدار العدد المتفق عليه بعد الاحتماع « اياه » ليدعو المسجونين الى الاضراب العام عن الطعام . كيف يمكن التغلب على هاتين المشكلتين ونحن معزولون فى زنزانة مغلقة ، معزولة عن سجن معزول عن العالم الخارجى ؟ الوقت يضى بسرعة والأمرأة بدت خيوطها خلال اليومين الماضين فى عيون المدير ونظراته الكريهة ، واختفاء الأمور المفاجيء وغير المبرر ، ونظرات العطف والاشفاق فى عيون الضباط الذين لا يعرفون ما يجرى فى مكتب المدير ، وتعليقات بعض السجانة التى تحمل الخوف من المصدر الذى ينتظرونا ، كانوا يعرفون أن المثل الشعبى « وقوع البلاء ولا انتظاره » يعبر أصدق تعبير عن المعاناة التى يعانينا من ينتظر « البلاء » فيتعجل وقوعه ليتخلص من معاناته وآلامه الأكثر قسوة من آلام البلاء ذاته . ومع أننا كنا نعانى من انتظار « البلاء » الا أننا لم نتعجله أبدا وفضلنا المعاناة الأشد ألما والاكثر قسوة، ساعدنا على ذلك حالة التحدى التى هيأنا أنفسنا لها مساء اليوم الذى جرى فيه اجتماع المدير بكل المسجونين ، حيث لم تخدعنا الظروف التى نتجت عن ذلك الاجتماع . كذلك لم تكن المسألة بالنسبة لنا مسألة ذاتية ، وانما كانت فى الأساس موقفا موضوعيا .

كان صوت سجان صديق .. تبينا صوته ولكننا لم نعرف من هو . قام مجدى فهمى من على « برشه » ليتحدث مع هذا الصديق من ثقب باب الزنزانة . قال مجدى فهمى بعد أن تبين ملامح وجه السجان بصعوبة .

— أهلا .. أنت « ... » جيت امتى ؟

تشاء الصدف أن يكون هذا الصديق هو السجان الذى يعرفه مجدى فهمى من حى بولاق والذى قام بتوصيل الخطابات التى أرسلناها الى الاهالى من ليحمان أبى زعبل .

قال الصديق :

— نقلت من ليحمان أبو زعبل الى هنا . . من يومين فقط .

قال مجدى :

— لكن دى الادارة حاطة سجان من بتوعها من ثلاث أيام .. ولم

يتغير ليل ولا نهار .. ايه اللى جرى ؟

- ضحك الصديق وقال :
- جاله مغص وخدوه على المستشفى وجيت بداله .
 - أياه الصدفة الغريبة دى ؟
- قال الرجل بكل الصدق :
- ده ندبير ربنا .. انتو ناس جدعان
 - قال مجدى فهمى بنبرة صوته الودودة :
 - الله يخليك يا « ... » عاوزين خدمة من خدماتك العظيمة .
 - رقبتي يا مجدى .. ان ماكانش علشان انتو رجاله . فعلى الأقل علشانك أنت .. ابن حنتى .
 - أعطاء مجدى التقرير والخطابات وقال له :
 - دول لازم يوصلوا بأقصى سرعة
 - قبل الشمس ما تطلع راح يكونوا وصلوا لأصحابهم .
 - متشكرين جدا .. أنت راجل عظيم .
 - يا مجدى لا شكر على واجب .. أنا متأكد اننى بأعمل خدمة لوطنى .
 - ثم يستطرد ..
 - على قد ما أقدر بقى أنا مش زيكو
 - الملى بتعمله ده ما يقلش أبدا عن عملنا .
 - ويستطرد مجدى :
 - بس فيه مهمة ثانية .. يمكن تكون صعبة شوية .
 - مفيش صعب علشانكم وعلشان الشعب ..
 - ويبدأ مجدى فى حديث مع السجان الصديق عن مجلة « الطريق » . ويقاطعه الرجل :
 - أيوه أنا سمعت عنها .
 - قريتها ؟
 - لا .. لكن كل المسجونين بيمدحوا فيها وبيحبوها .
 - ويعلق مجدى :
 - وأظن منتظرين صدورها بكوره .
 - تمام .. تطلب ايه منى ؟
 - ناولوه مجدى خطاب موجه الى هيئة تحرير مجلة الطريق .. وقال :
 - عاوزين الجواب ده يوصل لغير ٢ المسجون (...) قبل السجن ما يفتح .. ممكن ؟
 - صعبة أوى الحكاية دى .. لكن راح اتصرف .
 - ويصيح مجدى :
 - انت عظيم .
 - وكلمة « عظيم » لازمة من لزمات مجدى

- ويضحك السجان الصديق :
- هيه كل حاجة عظيم .. عظيم .. فمين العظمة دى ؟
- ويضحك مجدى :
- نيب هايل .. بلاش عظيم ..
- يا عم لا هايل ولا عظيم .. أنا فى الخدمة ، ناموا انتو بقى وأنا راح أتصرف ..
- لا مش راح ننام قبل ما نعرف منك ان الجواب وصل لعنبر ٢ ..
- ويقول الرجل بثقة غريبة :
- ماشى .. استنى سوية لغاية ما أرجع لك تانى ..
- لم يكن لدينا أدنى أمل فى أن يصل الخطاب الى عنبر ٢ ، فالسجان الصديق مسجون مثلنا تماما .. الفرق الوحيد بينه وبيننا ، أننا داخل زنزانة بابها مغلق علينا .. وهو داخل عنبر واسع يضم أربع ادوار ، وبابه الخارجى مغلق عليه .. فكيف ، يصل هذا الخطاب الى عنبر ٢ ، من الذى سيحمله من عنبر ٤ الذى نعيش فيه ، الى الباب الخارجى لعنبر ٢ ، ثم الى الزنزانة رقم ٣٢ التى يعيش فيها اثنان من هيئة تحرير الطريق ؟
- بعد أقل من ساعة سمعنا دقا على باب الزنزانة .. أسرع مجدى لينظر من ثقب الباب ثم سمعنا صوت الصديق يقول :
- كله تمام يا رجاله .. ناموا بقى ..
- ويصيح مجدى بفرح غامر :
- عظيم .. انت هايل ..
- تانى ! .. عظيم وهايل ! ..
- ويسأل مجدى فهمي :
- لكن ازاي وصل الجواب لعنبر ٢ ..
- يا سيدى ده شغلنا بقى ..
- ويلج مجدى على الصديق ليعرف كيف وصل الخطاب بهذه السرعة الى عنبر ٢ - زنزانة رقم ٣٢ ! ، ويحكى الرجل :
- بسيطة قوى .. كان معايا علبة سحاير هوليود « لارج » فكيت الورق « القزاز » بعناية وكذا العلبة .. وأخذت منها سيجارة وحطيت بدلها سيجارة تانية فيها الجواب .. وطلبت من السجان اللئى فى الحوش يوصلها لصاحبى وابن حتنى (...) فى عنبر ٢ زنزانة رقم ٣٢ ..
- ويسأل مجدى :
- لكن أنت متأكد ان العلبة وصلت ؟
- ويجيب الرجل بثقة :
- الا متأكد .. ودى فيها كلام ..

- يعنى

ويقاطعه الرجل ..

- يعنى أياه بقى .. أمال فبن الثقة بالشعب ..

ويرد مجدى بلهجة ودودة :

- لك حق .. متأسف .

ما كننا نطفئ أنوار الزنزانة استعدادا للنوم حتى رأينا
خيوط فجر يوم جديد تخترق قضبان نوافذ الزنزانة لتبدد ظلامها
الدامس . وجأنا صوت مألوف على أسماعنا يؤذن لصلاة الفجر .
كان صوت الصديق من هيئة تحرير « الطريق » يخبرنا بان الرسالة قد
وصلته ، وكنا قد اتفقنا معه على أنه فى حالات محددة ، وبعد
أن يبدأ مؤذن الجامع المجاور لليمان بأذان المقطع الأول يبدأ هو فى الأذان .
وتأكدنا من وصول الرسالة ومن اعداد العييد الخاص من « الطريق »
الذى يدعو الى الاضراب العام عن الطعام . وعن هذا الاضراب أكتب لك
رسالتى المقبلة يا حبيبتى .

١٢ يونيو ١٩٧٧

القاهرة

الرسالة رقم (٢٠)

حببيتي

الافئنة الزائفة وان بدا بريقتها يخطف الابصار ، في لحظة من اللحظات ، لا تستطيع أن تخفي تماما وجه صاحبها القبيح . عين الانسان الصادق تستطيع أن تخرق تلك الافئنة لتلاحظ اقل تصرف ذاتي وتضع أمامه علامة استفهام ؟ ويبدأ سقوط الافئنة ، فناعا وراء قناع حتى يتعري تماما وجه صاحبها ، ويبدو على حقيقته ، شريرا ، دنسا انتهازيا يسخر كل شيء واى شيء من أجل ذاته . الغاية عنده تبرر الوسيلة . ، ذكاء ، صفة أساسية من صفات الانتهازي تعطيه القدرة على الخدع حيث يستطيع استخدام كل الظروف لصالحه . لكن ، لأنه يفتقد جوهر الانسان يفتضح أمره لكل المخدوعين به عند وضعه في تجربة انسانيه .

المأمور (٠٠٠) الذي حدثتك عنه في رسائل السابقة ، واحد من انتهازين كثيرين منتشرين بين كل طبقات وفئات المجتمع ، هذا الرجل الذي زعم يوما أنه صديق لنا وللمسجونين وخدمنا فيسه بعض الوقت ، وكنا أكثر ذكاء منه حين استخدمناه لصالح المسجونين ، وبالتالي لم يفضح أمره تماما لكل المسجونين ، سقطت كل افئنته الزائفة في لحظة واحدة .

في ظهر يوم الاضراب العام والذي دخله كل المسجونين - عدانا وباتفاق سابق - وعدا الاخوان المسلمين - فلم يكن لهم أى علاقة بنشاط المسجونين ، أغلقت زنزانتنا - على غير العادة - ، بعدها فنج باب الزنزانة لنجدها في لحظة وقد امتلأت بعدد كبير من السجانة والضباط وعلى رأسهم المأمور .

قال وعلى وجهه ابتسامة كالحة :

- هما الجماعة دول مضربين ليه ؟

- جماعة مين ؟

- المسجونين .

- مسجونين مين ؟

- المسجونين كلهم .

- لكن احنا مش مضربين .
- ليه ؟
- علشان كده .
- هو القيادة مش لازم تضرب المثل ؟
- أسأل القيادة ؟
- طب ما انتو القيادة .
- عاوز أيه بالضبط ؟
- عاوز اثبات قانونى .
- لكل مجتهد نصيب .
- وأنا مجتهد . . والا أيه رأيكو ؟
- فعلا . . بس انتهازى .

ووسط ضحكات الزملاء العالية والساخرة ، وابتهامات على وجوه عدد من الضباط والسجانة ، ارتفع صوت المأمور عاليا :

- يا له يا سجان انت وهو . . فتش كل حاجة . .

بعض السجانة قام بتمزيق كل ملابسنا ، والبعض الآخر كان يفتش بطريقة شكلية . وتناول المأمور « جاكوش واجنه » كان يحملها أحد السجانة وأخذ بنفسه يحفر اجزاء من أرض الزنزانة ، ومن جدرانها ، أملا في أن يعثر على مخبأ فيه الدليل القانونى الذى يثبت صلاتنا باضراب المسجونين . وبعد أكثر من ساعتين ، انصرف المأمور ومن معه وقد تركوا كل ملابسنا ممزقة ، وجدران الزنزانة وسقفها وأرضها وقد امتلأت بالحفر . وبعد أقل من عشر دقائق نجأنا السجان الصديق يحمل لنا رسالة من مسجون صديق أرسلها من « الجبل » . ووقف على باب الزنزانة المغلقة حتى نقرأ الرسالة ونعطيه الرد عليها . وكانت الرسالة تحمل وصفا دقيقا للأسلوب الذى تم به الاضراب ، وللحور القذر الذى قام به المأمور سمى المسجونين لتخطيم الاضراب .

فى صباح ذلك اليوم خرج المسجونون كالعادة للعمل فى « الجبل » . كان كل شيء طبيعيا . انتظمت الفرق المختلفة وبدأت فى عملها . العمل يبدأ عادة فى الساعة الثامنة حتى نوبة الظهر فى الساعة ١٢ حيث يأخذ المسجونون راحة لتناول الغذاء . وعندما نودى على المسجونين لاستلام وجبة الغذاء ذهبوا جميعا كالمعتاد وفى صفوف منتظمة يحملون « القروانات » . وبدلا من أن يتجمعوا كعادتهم كل يوم فى مجموعات لتناول الطعام ، ذهبوا بنفس الصفوف المنتظمة الى مأمور « العمل » ورسوا أمامه كل القروانات ، ثم عادوا الى حيث يجلسون لقضاء فترة راحة الظهيرة . ذهب اليهم المأمور ومعه عدد من السجانة يسألهم . .

- آيه الحكاية يا مسجون انت وهو ٤٠
- ويقف واحد من المجموعة ويقول :
- مضربين عن الطعام
- ويذهب الى مجموعة أخرى :
- مضربين عن الطعام
- ويذهب الى مجموعة ثالثة ، ورابعة ٠٠ الخ :
- مضربين عن الطعام
- لم يفعل الضابط شيئا ، ولم يعلق ، فهو من جانب يواجه موقف
- لم يحدث في الليمان من قبل ، وهر من جانب آخر متعاطف مع المسجونين
- وأرسل الى المدير من يبلغه الخبر الخطير . وبعد أقل من نصف
- ساعة جاء المأمور « ٠٠٠ » ، يحمل الحصان جسده السمين ، ويحمل
- وجهه ابتسامته الصفراء :
- آيه الحكاية يا جماعة ؟
- مضربين عن الطعام
- لكم حق ٠٠ لكن كان لازم تعطوني فرصة
- بقا لنا أربع أيام والاجراءات زى ما مية
- لكن أنا كنت فى إجازة
- وأديك جيت ٠٠ حقق مطالبنا
- انتم عارفين ٠٠ أنا مش فى ايدي حاجة
- طيب عاوز فرصة ليه ؟
- علشان اتصل بالمسؤولين
- وكاد بعض المسجونين أن بخدع بقوله . قام مسجون صديق
- وقال :
- على العموم الاضراب مستمر حتى نتحقق مطالبنا
- لكن المسألة تاخذ كام يوم
- راح نفضل مضربين الكام يوم دول
- طيب تعالى انت ومعاك ثلاثة تانيين مغايا نتناقش مع المدير
- والمسؤولين الى زمانهم وصلوا الليمان
- وذهب معه أربعة . اثنان من هيئة تحرير « الطريق » واثنان من قادة
- المسجونين الى الليمان . كان فى مكتب المدير عدد من كبار ضباط
- مصلحة السجون وعدد من ضباط الجيش - قيل انهم من الخابرات
- العامة - وحاولت هذه المجموعة من الضباط بالارهاب تارة والترغيب
- تارة أخرى انتزاع أى كلام منهم يشير الى أننا نحن الذين وراء الاضراب
- ولكن عبثا راحت كل محاولاتهم . قال زميل من الزملاء الأربعة :
- احنا مش صغيرين ٠٠ مفيش حد وراء الاضراب

- سأله أحد الضباط :
- ومين اللى بيصدر مجلة الطريق ؟
- قال بكل شجاعة :
- أنا المسئول عنها •
- قال الضابط مهددا :
- ده اعتراف •• أنا راح أتكلمك للمحاكمة •
- قال الزميل :
- ليس فى المجلة ما يتعارض مع القانون •
- طيب ليه بتطلعوها بطريقة سرية ؟
- لأن الادارة لم تسمح لنا بإصدار جريدة علنية •
- وانتو محتاجين لجريدة ليه ؟
- علشان تدافع عن مطالبنا •
- وأييه مطالبكم ؟
- تطبيق اللائحة •
- تدخل واحد من ضباط الجيش :
- وأييه اللى مش مطبق من اللائحة ؟
- حاجات كتير •• الملابس لا تصرف لنا فى المواعيد المحددة •
- كمية الغذاء من لحوم وعسل وخلافه •• كلها وزنها أقل من الوزن المقرر فى اللائحة •
- ووجه ضابط الجيش حديثه الى مدير الليمان والمأمور :
- صحيح الكلام ده ••• ؟
- قال المأمور :
- أبدا غير صحيح ••
- قال الزميل :
- أرجو الرجوع الى محاضر النيابة •
- سأل ضابط الجيش مدير الليمان :
- أييه محاضر النيابة دى ؟ ••
- لم يجب
- وحين سأل الضابط السؤال •• قال المأمور :
- يا أفندم ده قصده محاضر النيابة الخاصة بأضراب الشيوعيين عن الطعام • وسادت فترة من الصمت ••
- قال ضابط الجيش موجهها حديثه الى الزملاء الأربعة :
- طيب انتو بقى تروحوا لشغلنكوا •• وتكفوا الاضراب •• وراح نفقاهم
- قال واحد من الزملاء الأربعة :
- أرجو أن تسمح لنا بالاستمرار فى الاضراب حتى يتم التفاهم •

- لكن أنا وعدتك ..
- يا أفندم سمعنا وعودا كثيرة قبل كده ..
- قال ضابط الجيش :
- لكن يا ابنى احنا ضباط اتصال من قيادة الثورة ..
- قال زميل ..
- يا أفندم نحن نحترم ونقدر اهتمام قيادة الثورة .. لكن ..
- لكن أيه ؟
- ممكن تصدروا أوامر فورا بالغاء الاجراءات الأخيرة ..
- طيب روحوا انتو للشغل .. ثم نادى على المأمور وهمس فى
- انفه ..

وبينما كان الزملاء الاربعة يعودون الى عملهم بصحبة واحد من ضباط السجن وعدد من السجانة .. كان المأمور يتجه ومعه عدد من ضباط السجن والسجانة الى عنبر ٤ زنزانية رقم ٦٤ حيث يقوم باجراء التفقيش الذى حدثت عنه من قبل . وفى الوقت الذى كان المأمور فيه يجرى تفقيش زنزانتنا كان مدير السجن فى الجبل يرتكب احدى حماقاته . توجه المدير بنفسه الى هناك تحيط به مجموعة من الضباط والسجانة ورجال « الهجانة » .. هذا يحمل مدفعا رشاشا .. وهذا يحمل بندقية .. ورجال « الهجانة » يمسكون بكرابيجهم المعروفة . كانت مظاهرة عسكرية لارهاب المسجونين . وبعد مناقشة لم تدم أكثر من عشر دقائق صاح المدير بأعلى صوته وهو يشير الى الزميل المسجون الذى كان يناقشه :

- اجلدوا المسجون ده عشرين جلده ..
- أسرع عدد من السجانة ينصبون « العروسة » .. ويمسكون بالمسجون لربطه عليها لتنفيذ حكم الجلد .. وقبل أن يبدأ التنفيذ همس واحد من الضباط فى اذن المدير بكلام لم يسمعه المسجونون صاح المدير مرة أخرى :

- أجرى يا سجان مات طبيب السجن .

تنص اللائحة على أن لا ينفذ حكم الجلد الا بعد كشف الطبيب على المحكوم عليه بالجلد ليقرر اذا كان يتحمل الجلد أم لا . كذا ! القانون لا يمنع جلد المسجون بالسياط ، ولكنه حريص على أن لا يموت ، لاجل الانسان ولكن خوفا من المحاسبة ، لا مانع من تعذيب المسجون حتى يصل الى حافة الموت . هذا ما يكفله القانون للطفاة الصغار .. يتسلمون المسجون حيا وعليهم أن يحافظوا عليه حيا على حافة الموت فقط . أما الطفاة الكبار فلا شئ يحد من طغيانهم .. فهم أصحاب البلد وما عليها من بشر وما بها من ثروات !

جاء طبيب السجن .. شاب حديث التخرج .. عرفناه من قبل . فقد وقف موقفنا مشرفا خلال اضرابنا عن الطعام منذ مدة - وقد أشرت اليه في رسالة سابقة . كان وجهه يجسد كل ما يعانيه من آلام . تبا لهذه المهمة ، هل يحتم شرف المهنة على الطبيب أن يكون صادقا قتي مثل هذه الحالة ؟ الواجب يحتم ذلك . وما هو الواجب ؟ كلمة من ستة حروف صاغها الطفلة لارهاب موظفيهم . من ينور ضميره ويتمرد على هذا « الواجب » مصيره معروف .. الفصل من الوظيفة على أقل تقدير . ومن يطرح ضميره جانبا فهذا هو الموظف الجيد ، فهو يقوم بواجب الوظيفة ! ما أفدح الثمن الذي تدفعه نظير صحتك ! أن تكون صادقا مع نفسك ومع الآخرين فانت بطل اسطوري . الصق في العالم يا حبيبتي شيء نادر . وهو أكثر ندرة في عالم الطفلة .

بدأ الطبيب الكشف على المسجون المحكوم عليه بعقوبة القرون الوسطى خلال النصف الثاني من القرن العشرين ! وضع الطبيب الشاب سماعته على صدر المسجون .. وبدأ الارتياح على وجه الطبيب . واتسعت معالم الارتياح على وجهه حين قاس ضغط المسجون . كتب تقريره ، وهم بالانصراف صاح المدير :

- يا لالا سجان ففد الحكم .

قال الطبيب :

- نفذه على مسئوليتك ..

- كيف ؟

- الضغط واطى .. ونبضات القلب سريعة ..

وأسقط في يد المدير ، انه لم يتعود على مثل هذا الموقف . ان كشف الطبيب بالنسبة له اجراء شكلي ليس الا ، اجراء لاستكمال الشكل القانوني ! فالحكم يجب أن يكون بالقانون ! ، صاح المدير :

- يا دكتور قم بواجبك ..

قال الطبيب بهدوء :

- لقد قمت بواجبي على أكمل وجه .

صاح المدير :

- ساستدعى طبيبا آخر .

قال الطبيب وهو أكثر هدوءا :

- أفعل ما شئت .. ولكني لن أسكت اذا نفذ الحكم بالجلد .

صاح المدير :

- سأجد طبيبا آخر يقرر ما أريده .

قال الطبيب في تحد ..

- لن تجد ..

وانصرف

كان هناك أربعة أطباء يشرفون على علاج المسجونين من بينهم هذا الطبيب الشاب . وقضى زملائه الثلاثة إعادة الكشف علي المسجون .

عاد المدير مع مظاهرته العسكرية يحمل خفى حنين ، ازدادت ثقة المسجونين بأنفسهم وبوحدتهم واطمأنوا الى انه حتى فى ظلام السجن وبين أنياب الارهاب سيجدون بين الموظفين من يتعاطف معهم ويقف الى جانب قضاياهم العادلة . ما أعظم الانسان هذا الكائن الغريب . انه حتى وهو بين فكى مفترسيه لا يفقد جوهره الانسانى . المسجونون يلتفون حول المسجون المحكوم عليه بعقوبة الجلد التى لم تنفذ . يحتضنونه بحب . يقبلونه ويهنئونه ، وعدد من الضباط ، والسجانين يشاركون المسجونين عبر نظرات العطف الذى تفيض بها عيونهم . كانوا يكتفون بنظراتهم العظيمة التى تصل مباشرة الى قلوب المسجونين الذين يبادلونهم نظرات الحب والتقدير . كان هذا اللقاء الروحى أقوى من صخر الجبل الذى يحيط بهم من كل جانب . أقوى من الارهاب والاعتذيب والسلاسل التى تقيد أرجل المسجونين . ارتفع صوت البروجى يعلن انتهاء يوم العمل ، اختلطت نغماته بأصوات المسجونين .

– الله اكبر على الظالم . . . الله اكبر على الظالم .

وفى سرعة لم يشهدهما « الجبل » من قبل انتظم الجوعى واشباه الموتى المنهكين فى مجموعاتهم ، ونات هئات السلاسل فى أقدامهم تمزج بنغمات البروجى وأصوات المساجين الهادرة .

– الله اكبر على الظالم . . . الله اكبر على الظالم .

انتظمت صفوف موكب « العبيد » ، يحملون « قرواناتهم » بها وجبة الغذاء من العدى لیسلمونه الى ادارة السجن لعمل محضر اضراب عن الطعام . كانت الشمس تختفى وراء الأفق . يبدد الظلام أشعتها ، ونبضات قلوب « العبيد » فى موكبهم تعلو على رنات قيودهم الحديدية التى تكبل أقدامهم ، تؤكد ثقتهم وإيمانها بمولد يوم جديد تشرق فيه الشمس . شمس يوم جديد لا يعرف أمراض مجتمع الاستغلال وضحاياها .

وعلى غير العادة كان « حيدو لليمان » يقف على الباب الكبير لليمان الذى يدخل منه موكب « العبيد » كل يوم بعد العمل الى السجن . وقبل أن ينصرف المسجونون الى زنازينهم يجرى « التمام » كى تطمئن الادارة على أن أحدا لم يهرب . فى ذلك اليوم أمر المدير بان لا ينصرف المساجين بعد « التمام » عليهم ، تحدث اليهم عن مطالبهم وأعلن أنه قد الفى كل الاجراءات التى اتخذها ، وأن كل شيء سوف يعود الى حالته الطبيعية . وطلب منهم انهاء الاضراب عن الطعام . وقف

الزملاء الأصدقاء من هيئة تحرير « الطريق » واحدا بعد الآخر وأعلنوا باسم
 المسجونين انتهاء الاضراب عن الطعام . كانت هذه أول مرة يتحدث فيها
 مسجون باسم زملائه . فالمفروض أن يتكلم كل مسجون باسمه فقط .
 وكانت هذه أول مرة يحقق فيها المسجونون مطالبهم خلال معركة جماهيرية .
 لكن أمرا كان مبيتا ضد الزملاء الأربعة الذين قادوا المعركة وأمر
 «خر كان مبيتا ضدنا ، وحتى يمكن تنفيذ ما دبروه تراجع المدير عن
 كل الاجراءات التي اتخذها .
 وفي الرسالة المقبلة ، يا حبيبتى : أحكى لك ذلك .

١٥ يونيو ١٩٧٧
 القاهرة

الرسالة رقم (٢١)

حبيبتى

هكذا وبالأضراب العام عن الطعام وبوحدة كل المسجونين الرائعة تحطمت كل الاجراءات الشاذة التي اتخذها مدير ليمان طرة . وصدرت « الطريق » فى اليوم التالى من صفحة واحدة ، تحيى وحدة المسجونين باعتبارها الاداة الفعالة لتحقيق مطالبهم . وحذرت « الطريق » من محاولات الادارة التي لن تتوقف لضرب وحجتهم بمختلف الوسائل ، فهي أى « الادارة » اذا كانت قد تراجعت فانها سوف تنتهز أول فرصة مناسبة لها للانتقام من هزيمتها التي لم تحدث من قبل فى تاريخ السجون فى مصر . ومضى يومان لم يحدث خلالها ما يشير الى أى شىء ضد المسجونين بل انهم كسبوا مزيدا من المكاسب ، وساد فى الليمان جو ودى وأخوى بين المسجونين وضباط الادارة والسجانة ، وكان مدير الليمان يتوعد اليهم بطريقة تتعارض مع طبيعة تكوينه الانسانى والنفسى ، فضلا عن أنه هزم فى معركة كانت موجهة ضده فى الأساس . وبذل مأمور السجن جهدا كبيرا بين المسجونين كي يعود الى موقعه القديم قبل أن يفضحوه . حتى نحن ؛ خففت الادارة قيود الحراسة المشددة علينا ، وعاد المأمور يتوعد الينا بشكل مبالغ فيه . حتى الحدير لم يكن يعترض على بعض مطالبنا التي كان يرفضها من قبل . لم نقابل هذا الجو العام بالارتياح ، فنحن مسجونون فى قبضتهم يستطيعون التكنيل بنا فى أى لحظة وليس هناك أدنى شك عند الادارة فى أننا كنا وراء هذه المعركة التي هزمت فيها . فضلا عن أن المعركة كان لها طابعها السياسى رغم جوهرها الاقتصادى ، وبالتالي فان الدولة لن تقف مكتوفة الايدي ، وأن مؤامرة تدبر ضدها . كان هذا ملخصا للرأى الذى انتهينا اليه بعد مناقشة فى مساء اليوم الثالث للأضراب العام .

وتشاء الصدفة أن يصلنا فى نفس الليلة ما يؤكد تحليلنا للموقف . كان هناك سجانان يتبادلان حراستنا اثناء الليل بصفة دائمة ، وسجان ثالث يتولى حراستنا خلال النهار . وكان هؤلاء الثلاثة لا يتغيرون خلافا لما يتم بالنسبة لباقي المسجونين ، وذلك كى تستطيع الادارة فرض الرقابة على هؤلاء السجانة وتفتيشهم تفتيشا دقيقا عند دخولهم الليمان أو الخروج منه ، وخوفا من احتمال قيامهم بادخال أو اخراج رسائل لنا . وكان من بين هؤلاء الثلاثة رجل معروف بشراسته

وصلته **بالباحث العاهة** • كان هذا الرجل بموم كالمعتاد في تلك الليلة بنوبه حراسته علينا التي تبدأ من غروب الشمس - موعد اغلاق الزنزانة - حتى منتصف الليل ، لكننا لاحظنا أن زميله في الحراسة لم يتسلمها منه كالمعتاد ، واستمر هو في الحراسة • في الظروف العادية يمكن أن لا يتغير ذلك انتباهنا • وضعنا علامة استمهام وقررنا رغم مقاطعتنا لهذا الرجل الذي كان دائم الاستفزاز لنا أن نجرى معه حوارا نعرف منه سبب استمراره في حراستنا وهل هو أمر عادي ؟ أو هو مرتبط بحملة تفتيش في الصباح ؟ هذا الرجل يأتي باستمرار في كل حملات التفتيش ومهمته الرئيسية هي استفزازنا ، وكان خلال نوبة حراسته لا يترك باب الزنزانة ينظر من تقبها ليرى ما نفعل ، وإذا غابت عينه اليمنى أو اليسرى عن ثقب الزنزانة فهو لا يستطيع أن يرى بعينه معا من هذا الثقب الصغير - يتصنت علينا ليسمع ما نقول دون أن نراه • وكنا على حذر دائم منه ، ورغم مقاطعتنا له تماما إلا أننا كنا نحفظ بأحد الخيوط معه ، وكان خيطنا هو **وليم اسحق** الذي بدأ حوارا معه ، تبيننا منه أن المسألة لم تكن مجرد تفتيش مفاجيء استفزازي ، وانما هو أمر أخطر من ذلك بكثير ، صاح وليم ينادي :

- يا شاويش (٠٠٠) « اسم الحارس الآخر الذي لم يحضر » •

- عاوز آيه يا مسجون ؟

- الله ٠٠ هو أنت ؟

- لا ٠٠ خيالي •

- وهو الخيال بيتكلم برضه ؟

- عايز آيه ؟

- خلاص بقي ، كنت فاكرك الشاويش (٠٠٠) •

قال الرجل بضيق :

- لا يا سيدى ٠٠ جيت اسلمه قالوا لى ما تسلمهوش واستمر أنت ؟

- ليه هو • عيان ؟

قال ورنه الغضب في صوته •

- عيان ايه ده زى الطور •

قال ولبم وهو يضحك •

- والله ما لهم حق • بوظوا مشروعاتك •

- مشروعات آيه ؟

- يعنى •

- يعنى آيه يا مسجون •

يعنى ٠٠ أنت برضه لسه متجوز جديد •

اصابت الكلمة الرجل في الصميم • وقال بأسى وحزن :

- وأنا كنت جاهز على الآخر !

- ما هو أنت ممكن تستحمل .. لكن هي بقي ..
- قال الرجل بانزعاج ..
- هي آيه ؟ .. ما هي تستحمل برضه ..
- على العموم ، تفكرنيش ..
- ما أفكركتي بايه ؟ ..
- لا مالوش لزوم .. أصايك ..
- تضايقتي ؟ .. ازاي ؟ ..
- أصل أنا حصلت لى ظروف كده زيك ..
- وبعدين ؟
- فى يوم كده كنت جاهز زيك .. ومراتي منظرانى .. وما روحتش ..
- اشتد انزعاج الرجل وقال :
- حصل آيه بس .. قول .. ؟
- حصل اللى حصل بقي ..
- ويكمل وليم
- على العموم ما نشيلش هم .. مش كل الستات زى بعض
- آيه بس الى حصل .. ؟
- رأسها وألف سيف لازم تتطلق ..
- يا ساتر للدرجة دى ..
- أصل ما عندكشى فكرة .. ألس مش زى الراجل .. لما تجهر ..
- لازم يحصل ..
- طب واذا ما حصلش ..
- والله بقي .. مش عارف أقول لك آيه ..
- يا نهار أسود .. طب دنا مسافر بكره ..
- مسافر .. فين ؟
- أنا عارف قالوا لى أعمل حسابك بكره علشان تسافر فى مهمة من
- الصباح ..
- واسمعى انت معنى ؟
- فيه سجانة تانيين وضباط .. راح يسافروا ..
- همه راح ينقلوا السجن والا آيه ؟
- آيه بتهزر ؟
- على العموم ما تاخذش فى بالك .. راح تتأخر كثير .. ؟
- أنا عارف راح اتهبب قد آيه .. الله يخرب بيت بتوع السياسة ..
- وبتوع السياسة مالهم .. ؟
- ادرك الرجل انه قد استعرج ، عرفنا نحن اننا سوف نرحل فى الصباح
- الى أين ؟ هذا ما لا نعرفه .. هل يعرف الرجل ؟ واستمر وليم فى حوار
- الطريف معه .. وبدأ مجدى فهمي يعاونه الزملاء فى الاستعداد للرحلة

الى الجاهل صباح الغد • اخذوا في تخبئة ممتلكاتنا من نقود وكتب
لاخذها معنا • سلاحنا الدائم معنا هو الكتب • ونحن دائما جلهزون
للرحيل نأخذها معنا اينما نذهب وبوسائلنا الخاصة •

ويستمر ولیم اسحق في حوارہ مع السجنان :

- وراح يودوا الاخوان المسلمين فين ؟
- ما أعرفش • أنا قلت حاجة ؟
- ولا أنا سمعت حاجة •
- أمال بتسأل عن أيہ ؟ •
- يا شاويش (•••) احنا رجاله وانت عارف •
- وأنا مالي •• رجاله ولا مش رجاله ••
- يعني رقبتنا ولا يمكن نقول ان احنا عرفنا منك حاجة
- حاجة أيہ ؟ وأنا قلت حاجة ؟
- يعني •• احنا برضه بنفهم ••
- وفهمت أيہ ؟
- فهمت اننا راح نترحل بكره •
- وفهمت من مين ؟
- يعني •• الكلام اخذ وجاب معاك ••
- لكن أنا ما قلتش حاجة ••
- يا راجل واذا كنت قلت •• احنا رجاله •• رقبنا يا شويش (•••) -
- ويرد الرجل مستعطفا ••
- لكن أنا عملت فيكو كثير ••
- يا راجل ما تقولش الكلام ده •• احنا اخوات ••
- ويستطرد الرجل بنادم :
- صحيح يا أخى •• لسانك حصانك ان صنته صانك •
- يا راجل ولا كنتى سمعت حاجة •• لكن راح يرحلوننا فين ؟
- لا ما أقدرش أقول بقى ؟
- على العموم •• يعني راح نعمل ايہ لو عرفنا راح نترحل فين ؟
- ويرد الرجل بوجل لم نعهده من قبل ••
- ريتا معاكو ••
- اهو سجن زى كل السجنون ؟
- ميق عارف ••
- حيكون أيہ يعني •• أيو زعيل ؟ •• كنا هناك ••
- يا ريت ••
- فيه الكثر من أيو زعيل ؟
- أيوه فيہ ••
- فين ؟

- وراء الشمس •

وانصرف الرجل ، وعيننا راحت كل محاولات وليم لمعرفة هذا المكان الذى يقع وراء الشمس • واخذنا نضرب أخماسا فى أسداس • ربما سنرجل الى معتقل الطور ؟ لكن معتقل الطور يستقبل منذ العهد الملكى أفواجا من المعتقلين وأصبح مثله مثل كل السجون • ولم نصل الى تحديد هذا المكان الذى سنرجل اليه صباح غد والذى بقم وراء الشمس • كان من الضرورى أن ننقل هذا الخبر الى زملائنا فى الزنزانة المجاورة • وصاح وليم بأعلى صوته :

- دكتور شريف حتاته •

وصاح السجان :

- اسكت يا مسجون •

- يا شاويش عاوز أسال الدكتور شريف على اسم دوا •

- طيب قول وأنا أساله •

- أصل اسمه بالانجليزى ••

ويصيح شريف من الزنزانة المجاورة •

- فيه ايه يا وليم •• مالك ؟

ويقاطعهما السجان :

- اسكت يا مسجون أنت وهو •

ويقول وليم :

- يا شاويش طيب هات ورقة وقلم علشان أكتب اسم الدوا للدكتور

شريف •

ويطير صواب السجان ويصيح بأعلى صوته :

- يا نهار أسود •• ورقة وقلم أنت عاوز تودينى فى داهية •

ويقول وليم :

- طيب تعالى أساله أنت

ويحضر السجان ليعرف اسم الدواء ويطلبه من الدكتور شريف ، ويقول له وليم كلام باللغة الانجليزية لا يستطيع السجان أن يستوعب كلمة منه • وأخيرا يقترح وليم أن يطلب من الدكتور شريف أن يقف على «جرحل البول» وسيقول له اسم الدواء أمامه • يقبل السجان الاقتراح بعد أن يطلب منه بالحاح أن لا يقول له شيئا عن مسألة ترحيلنا • وينقل وليم الخبر الى الدكتور شريف حتاته بالانجليزية ويدور بينهما حوار بالانجليزية ، سريع ولكنه ينتهى الى اتفاق حول ضرورة مواجهة وضعنا الجديد بوحدة تامة لا تسمح باى فرصة لاستغلال الخلافات السياسية بيننا • كانت الساعة قد بلغت الثانية صباحا وكنا قد أعدنا أنفسنا للرحلة الى الجوهول ، الى وراء الشمس كما

وصفه السجان • أخلينا كل المخابيء من ثروتنا الثمينة من الكتب ،
 وقصنا بتخبئتها بوسائل خاصة تنبع عند الرحيل • وبدأ دور مجدى
 قهصمى المعروف • أخذ يحدثنا بطريقته العنقرية فى رفع معنوياتنا وشحذ
 هممنا ، وتأكيد ايماننا بالقضية العادلة التى وهبنا حياتنا من
 أجلها ، قضية مصر الحبيبة وسعها العظيم وترايبها المقدس • ثم
 أخذنا نردد نشيد بلادى • بلادى • ونغنى أغانى سيد درويش • ومع
 الأتسعة الأولى لشمس اليوم الذى سنرحل فيه الى **الجهول** كنا نغنى :
 طلعت ياما أحلى نورها ، شمس الشموسه ، نعم ما أحلى نور الشمس الذى يجدد
 الحياة حين يعطى اشارة العمل للكادحين • ما أحلاه حتى لنا نحن الذين
 لا نعرف حتى هذه اللحظة ، أى مكان هذا الذى سنرحل اليه ، هذا المكان
الجهول الذى يقع وراء الشمس • •

كيف رحلنا ؟ والى أين ؟

الى الرسالة المقبلة يا حبيبتي ،،

٢٠ يونيو ١٩٧٧

القاهرة

الرسالة رقم (٢٢)

حبيبتي

الايمان ، الالتزام ، اليقين ، الانتماء ، كلمات تقداولها كثيرا أدبيات السياسة والفكر والأيدولوجية . والمناضلون هم أكثر الناس ادراكا ووعيا بدلالاتها لأنهم يعيشونها ، لكن المحن المختلفة التي بتمرر لها المناضلون ، وبصفة خاصة في السجن تجسد أمامهم كل ما تعبر عنها من مسئولية . فان تكون مؤمنا بفكرة ، ملتزما بالنضال من أجلها ، وعلى يقين من انتصارها ، وتحمل مسئولية الانتماء اليها وانت خارج السجن أمر مختلف تماما عنه وانت داخله . في السجن تجد نفسك أمام اختبار حاسم أما الاستمرار مهما كانت التضحيات ، أو الانهيار والاستسلام . والثوري انسان تمر به لحظات ضعف كما تمر بكل انسان ، لكن ما يفرق الثوري عن الانسان العادي ، هو عدرته على التغلب على تلك اللحظات من الضعف ، بالتغلب على الذات وهذه هي البطولة .

ولحظات الضعف التي مرت بي وبزملائي خلال الساعات القليلة التي سبقت ترحيلنا الى « وراء الشمس » كانت من أقسى اللحظات التي مرت بنا خلال السنوات السابقة ، في سجن مصر ، وليمان ابو زعبل ، وليمان طره ، كدنا نصل الى يقين باننا ذاهبون في مكان لا تمتد اليه الا يد البطش والارهاب والتعذيب حتى الموت . ولم يكن أمامنا كي نجتاز تلك اللحظات الرهيبة من الضعف الانساني الا ان نوكد من جديد المعانى العظيمة التي تحملها كلمات الايمان ، والالتزام ، واليقين ، والانتماء تارة بمخاطبة عقونا ، وقد توليت أنا هذه المهمة ، وتارة بمخاطبة الوجدان ، وتولاها مجدى فهمي بأسلوبه الساحر ونارة باستنارة كل مكونات الانسان الخيرة وقام بها وليم اسحق ، ثم بحماس الشباب واندفاعه وكان محمد خليفه - عمره يومذاك ١٩ سنة - ونحن نردد وراءه الأناشيد الثورية والوطنية ، ثم وحتى الدقائق الأخيرة لمعرفة المكان الذى سنذهب اليه ، باستعادة مواقف بعض الرواد الأبطال الذين عرفتهم البشرية في مختلف الميادين السياسية والعلمية والدينية . هكذا قضينا الساعات الأولى من صباح يوم ترحيلنا بعد فتح باب الزنزانة ، كان الأمور على رأس الحملة التي قامت بالتفتيش بطريقة عادية تماما .

لاحظ المأمور وجود رماد ورق محروق فى « جردل البول » هز رأسه
وابتسم ابتسامة حبيئة وقال :

- آيه الورق المحروق ده ؟
- كنا بنعمل شاي •
- مشاي ولا شيوعية ؟
- ظريفة •
- عجبك ؟ • •
- تعجب الباشا • •
- ما خلاص مفيش باشوات
- كل سنة وأنت طيب
- قصدك آيه ؟
- قصدى اللي قلت
- والمعنى فى بطن الشاعر طبعا •
- فى أى بطن تعجبك
- كلام يحاسب عليه القانون •
- قم بواجبك
- غلبت وغلب غلبى معاك
- ولسه
- وابتسم الرجل ابتسامة مأكرة حاقدة ، وقال بصوت كويه :
- كل واحد يلم مدومه راح نرحلكو من هنا
- فين ؟ •
- راح تعرف لما توصل
- وتحرك الرجل بخطوات متثاقلة نحو باب الزنزانة ، وقال :
- سيوهم ياخدوا الورق اللي عاوزينه • • هو مين هناك راح يقرأ

ملاحظات

- ومسال سجان :
- والكتب يابيه ؟
- ياخدوها معاهم • • مفيش أى خطر منها هناك • •
- ويستلبرد :
- وكمان اذا لقيتوا منشورات سيوها لهم • • لاضرر منها هناك • •
- الاضطارة بقى تجيبوا غيرها •
- ويرد عليه مجدى فهمى بتحدى • •
- طول ما فينا نفس • • لن يتوقف نشاطنا •
- ويقتصر الرجل مسرعا • • بينما يقوم السجفة بتفتيش شكلى • •
- ويهصض ضابط صديق :

– الواحات الخارجة ••

ويهمس آخر :

– شذوا حيلكو •• ربنا معاكو ••

الواحات الخارجة ! من سو هذا الغاشي الذي تفتق ذهنه الشرير عن فكرة نفينا في قلب الصحراء • كان الفاشست يلقون بالناضلين الوطنيين الى أفران الموت • وهؤلاء الفاشست ، هل يسوقونا الى الموت جوعا وعطشا هل يدروا لنا الموت بسم الثعابين في الصحراء • وانجنها فجأة على صوت سجان شرير يقول :

– لدغة « الطريشة » هناك هسى والقبر على طول ••

وترنسم ابسامة هادئة على وجه وليم اسحق ويقول :

– مين عارف •• يمكن أول لدغة « طريشة » نكون من نصيبك • وتظهر ملايح خوف على وجه هذا السجان الجبان • لحظة صمت رهيب •• يفظها صوت الضابط الصديق :

– يا جماعة ما تسمعون كلام السجان ده •• مش للدرجة دى • ويصيح في السجانة :

– يالله بقى •• مش خلاص ؟

ويلتفت الينا ويقول بصوت وود :

– شوية كده •• ارتاحوا •• لغاية ما ننادى عليكو ••

وتمضي أكثر من ساعة ، لم نتوقف خلالها عن الحديث بعد أن أغلقت علينا الزنزانة من جديد • مجدى فهمى باسلوبه البسيط المقتنع يؤكد لنا أن النظام أضعف من أن يقوم بعملية إبادة جماعية لنا ، فمثل هذا العمل الاجرامى لا يمكن أن يمر بسهولة ليس في مصر فقط ، وانما ايضا في العالم التقدمى • وبذكرنا بموقف القوى التقدمية ومساندتها لنا خلال الاضرابات عن الطعام التي قمنا بها ووليم اسحق بصوته الانسانى العميق بحدثنا عن بطولات الذين استشهدوا من أجل أفكارهم وآرائهم • ومحمد خليفة بصوته الجمهورى الذى يفيض شبابا وحيوية ينشد وترتفع أصواتنا وراءه تقول بكل التحدى ••

– نستقونا في المنافى •• واملأوا منا السجون •

سوف تانيكم ليالى •• برقها عصف المنون

ثم تنضم أصواتنا الى أصوات زملائنا في الزنزانة المجاورة ••

بلادى بلادى •• لك حبى وفؤادى •

وتفتتح الزنازين •• وتستمر اصواتنا جميعا تردد من الاعماق مصر

انت اليوم حرة •• فوق جبين الدهر حرة •

يا بلادى عيسى حرة •• واسلمى رغم الاعادى •

وبين صفين من السجانة الذين يحملون البنادق والرشاشات ، تعلو

مناجاتنا بحياة مصر وشعب مصر ، وبالديمقراطية ، والحريات السياسية ،

اننظار ترحيلهم تمتاز مع أصواتهم التي تردد .. الله أكبر والله الحمد ..
وتصل أصواتنا الى أسمع عدد من **الأخوان المسلمين** الذين سبقونا في
وبالقرب منهم جلسنا نتبادل معهم النظرات الودودة والكلمات الخاطفة
المشجعة (كنا قد نظمنا معهم مناقشات سياسية ساكتب لك عنها في
رسائل مقبلة) ..

وكان **مدير الليمان** يقف منفوسا كالديك الرومي ، يحيط به عدد من
السجانة يحملون سلاسل حديدية ، طويلة ، وغليلة ، وعدد آخر يحمل
مطارق وسنادين ، وارتفع صوته المرتعش يقول :

– أى نوع من المقاومة ستقابل **باطلاق الرصاص فوراً** .
وترتفع أصواتنا :

– دماؤنا فداؤك يا مصر

ويعود صوت المدير يردد :

– أى خروج على النظام .. معناه عصيان ، والعصيان فى السجن
يقابل بضرب **الرصاص فوراً** .

ماذا يريد المدير من وراء ترديده هذه الكلمة ؟

هل تبدأ مؤامرة أبادتنا باطلاق بعض **الرصاصات المميته** لبعضنا
لأرهاب من يبقى حيا . ترديد هذه الكلمات اذن هى محاولة لاستمزازنا
وجرنا جرا الى **المؤامرة** . وبسرعة اتخذنا قرارا بالتوقف تماما عن
الهتافات وترديد الاناشيد . ومضت دقائق فى صمت رهيب ساد الجميع ،
المسجونون المساقون الى « **وراء الشمس** » والسجانة الذين يحرسونهم ،
والضباط الذين لا يعرف أكثرهم ما يجرى وما سوف يجرى لنا . حتى
المدير نفسه توقف عن اصدار الاوامر واطلاق كلمات التهديد . صوت قطار
يأتى من بعيد ببعد هذا الصمت الذى ران على الجميع ، ودخان أسود
كثيف يخرج من مدخنة القطار ليفطى سماء حوش الليمان ، ويتلاشى بسرعة
فى أشعة الشمس القوية حين يتوقف نعيق « **قطار الموت** » ويهمس صوت
الضابط الصديق ..

– أرجوكم .. نفذوا الاوامر .. وتوقفوا تماما عن الهتافات والاناشيد .

لقد صح ما توقعناه اذن . هذا الصوت الودود المخلص نثق فيه .
حياتنا ثمينة ويجب أن نحافظ عليها . كانت هتافاتنا وانشيدنا من أجل
رفع روحنا المعنوية ولقد أثبت دورها . سفا ، ان الانسان موقف . لقد
اخترنا بارادتنا موقفنا قبل السجن .. النضال من أجل حرية مصر وحق
شعبها فى أن يحيا حياة كريمة .. وهو موقف ازداد اقتناعنا به خلال
السجن رغم التعذيب والأرهاب ، ولن نحيد عنه حتى آخر لحظة من
حياتنا ، وفى هذه اللحظة للحرية التى تتعرض فيها حياتنا للخطر لن
يكون تصرفنا « دون كيشوتيا » . نعم لن نساوم على أفكارنا ، ولن نستسلم

للارهاب • ولكن يجب أن يدرك أن شجرة واحدة بفصل بين الموقف النورى وبين الموقف المغامر • وقررنا أن ننفذ نصيحة الضابط الصديق • وارتفع صوت المدير فى محاولة أخرى لاستفزازنا وجرنا الى معركة الصوت؛

- أكرر مرة ثانية •• أى حركة من أى مسجون ستقابل بضرب الرصاص •

وبلنظ الى حاملى البنادق والمدافع الرشاشة :

- الجنود •• فى وضع الاستعداد ••

ومى لحظة رأينا أفواه البنادق والرشاشات مصوبة الى صدورنا •• ويسود الصمت الجميع •• لكلمة واحدة من أحد •• بل ولا حركة • نحن والاخوان المسلمون نجلس القرفصاء على الأرض • أمواه البنادق مصوبة نحونا • والجنود يحيطون بنا من كل جانب ، والقطار يقف بعيدا عنا ، وفجأة يبسده هذا الصمت الرعيب صوت « البروجى » يعلن قدوم « اللواء » مدير مصلحة السجون وبرفته عدد من ضباط الجيش والسجون وعدد من الأفندية ضباط المباحث العامة والخبرات • يتقدم اليهم مدير الليمان والمأمور •• يلفون اليهم التحية •• ويتقدمون جميعا نحونا • ويرتفع صوت غليظ ••

- انتباه ••

ونقف جميعا صفوفنا منتظمة ••

ويرتفع الصوت الغليظ مرة أخرى :

- أقعد ••

ونعود الى جلسة القرفصاء « الديز »

ويعود الصمت مرة أخرى ، لكن همسا يدور بين أصحاب « الكبايات » الحمراء والنياشين الكثيرة على صدورهم ، و « الأفندية » الذين تبدو عليهم البسطة اذا قورنوا بزملائهم القادمين بصحبته ، ولكن الحقيقة انهم هم أصحاب الأمر والنهى • ويستمر الهمس دقائق تمر كالدهر ، نشعر خلالها بأن آخر أنفاسنا معلقة بما يدور بينهم من همس • ربما يحفون مدير الليمان الذى لم ينجح فى تدبير هجرة يروح ضحيته عدد منا ؟ ربما يدبرون مؤامرة بديلة ؟ ويناقشون « أفضل » طريقة لاستفزازنا ؟ •• على أى حال لن نستجيب لى نوع من أنواع الاستفزاز ، جون أى تفريط فى كرامتنا ، كما لن نقبل أى اهانة لفكارنا •

ورأينا على البعد •• واحدا من « الأفندية » يقبل نحونا ، الابتسامة الصفراء تكسو وجهه • يبدو أنه رجل مخبرات خطير ، ويصيح سجان بصوته الغليظ :

- انتباه ••

ونقف صفوفنا فى انتظار القادم • ويهمس الضابط الصديق :

— لا تستجيبوا لآى استفزاز ..

ويذهب سريعاً الى الاخوان المسلمين يبلغهم رجاءه .

ماهوذا « الأفندى » يسير بين صفوفنا فى خيلاء وغطرسة الجبناء ، ينظر لينا ، وبقف بين الحين والحين أمام واحد من الزملاء . واستمر هكذا دون أن ينطق بجرف واحد . لكن ابتسامته صفراء تكسو وجهه الجامد الخالى من أى تعبير ثم عاد الى « هيئة أركان حرب » وراح يتحدث معهم ، وساد لصمت مرة أخرى . التفت لينا الضابط الصديق وتبادلنا معه ابتسامات جوده ، ثم تركنا واتجه الى حيث يقف الضباط الكبار والأفندييات بعد ن همس لنا :

— أروح أشوف الاخبار .

ما الذى كان يريده ، هذا « الأفندى » ؟ وما معنى صوته التام ؟ أنه سم يوجه الى أحد منا كلمة واحدة لاستفزازه ، فقط كان ينظر الى بيوننا ، ما الذى كان يريد أن يراه فيها ؟ أنه بالتأكيد لم ير فى بيوننا شيئاً مما كان يريد أن يراه . لم ير منها غير بريق التحدى والاصرار . وهؤلاء البشر يا حبيبتي جبناء .. أنهم بكل ما يماكون من دوات البطش والتعذيب والارهاب يجبنون أمام نظرة تحدى واحدة . لقد شهد الرجل عشرات من نظرات التحدى والاصرار ، قهل عدل عن تنفيذ مهمته التى جاء من أجلها ؟ ولماذا ؟ ربما استفظت فجأة نبضة من ضميره المبيت فاستجاب لها انسانياً ، وربما جبن أمام نظرات التحدى التى وجدها فى عبوننا . ونرى من بعيد الاجابة على وجه الضابط لصديق القادم لينا من جديد بعد أن أصدروا اليه الاوامر التى لم سمعها . كنا نعرف ما يريد أن يقوله لنا من خلال تعبيرات وجهه ، كنا قد امتلكننا القدرة على أن نعرف ماذا تحمل لنا ابتسامته حين نكون انسانية وحودة . وحين تكون حزينة ، وعرفنا من ابتسامته كل شئ قبل أن يقول لنا :

— اطمئنوا أنا سأسافر معاكم ..

مهما يكن الأمر ، فان وجود هذا الضابط الصديق معنا سوف يخفف كثيراً من آلام رحلة العذاب الى « وراء الشمس » .

تسأل الأمهات :

— أبوه ان يندوا كل الاوامر حتى من قبله وليس منا . اتفقنا؟

— اتفقنا ..

وبدأت عملية اعدادنا للسفر الى الواحات ، عملية تستحق رسالة بكاملها . فالى الرسالة المقبلة يا حبيبتي ،،

٢٢ يونيو ١٩٧٧

القاهرة

الرسالة رقم (٢٣)

حبيبتى

فى حديقة الحيوانات ، يضعون الوحوش المفترسة فى أقفاص من الحديد كى لا تفترس الناس الذين يتفرجون عليها . وفى السجون يضعون **الحكوم عليهم بالأعدام** فى زنابن تشبه هذه الأقفاص ، ليس خوفا منهم على الناس ، ولكن خوفا عليهم ! فمهمة الحارس الذى لا يفارق قفص المحكوم عليه بالأعدام هى أن لا يعطيه فرصة **الانتحار** ! فهل كانوا يخافون على الناس منا ، أم يخافون علينا حين كدسونا مقيدين بالسلاسل الحديدية الغليظة فى أقدامنا داخل أقفاص الوحوش المفترسة ، المحقة بالقاطرة التى جرتها الى **الواحات** ؟ لا هذا ، ولا ذاك بالطبع ، وإنما كانوا يخافون أن نهرب ! **الشيطان** نفسه لا يستطيع أن يهرب لو قيدوه بالسلاسل كما قيدونا ، ووضعوه فى زنزانة حدرانها من أسياخ الحديد الصلب ، وعلى كل باب من أبوابها يجاس حارسان يمسكان بالدافع الرشاشة وكل خمسة أشخاص مقيدون بسلسلة واحدة غليظة ، اذا تحرك شخص واحد فلا بد أن يتحرك الأربعة الآخرون معه ، وفوق هذا كله فالقطار يجرى بسرعة لا تقل عن ٦٠ كيلو مترا فى الساعة !

مازات أذكر بكل التفاصيل الصغيرة عملية اعدادنا للترحيل الى **الواحات** . قسمونا الى مجموعات ، كل مجموعة من خمسة زملاء ينساون عليهم بالاسم من كشف كان فى بد المدير . بعد أن يتجمع الخمسة يحيط بهم ٤ سجانة وضابط ويذهبون الى ورشة الحدادة فى الليمان حيث يجرى **دق السلاسل فى أقدامهم** ، فى سلسلة طويلة ، ثم يذهبون الى « الزنزانة » فى القطار وفى كل « زنزانة » تكدرت خمسة مجموعات . أى ٢٥ زميلا فى زنزانة لا تزيد مساحتها عن ٢ × ١٥ متر . حدرانها من أسياخ الحديد الصلب ، وسقفها الواح سميكة من الحديد كذا أرضيتها العارية تماما الا من الأوساخ والقاذورات . وبعد أن انتهوا من عملية تكبيل كل **الزملاء والأخوان** المسلمين وتكديسهم فى « زنابن » القطار ، وقبل أن يتحرك القطار نحو رحلة « المجهول » شؤنا دن خلال القضبان مشهوا بشعا ترك فى أعماقى حرحا لن يندمل أبدا .

كان أصحاب الكابات الحمراء على الرؤوس والنياشين الكثيرة على الصدور . ومعهم « **الافنديات** » ومدير السجن يقفون بعيدا فى ركن من أركان حوش

الليمان ، وكان عدد من السجانة يحمل « العروسة » - التى تستخدم لجلد المسجونين - وينصبونها فى وسط حوش الليمان . وبعد قليل شهدنا اثنين من زملائنا المسجونين من هيئة تحرير « الطريق » - وقد كبلت أقدامهم وأيديهم بالسلاسل ، يجرحهم السجانة وعلى رأسهم الأمور . وعند العروسة يصدر الأمور أمرا بفك سلاسل أحد الزميلين وإعادة تقييده « بالعروسة » ثم يصدر أمرا بالجلد . أكثر من ربع ساعة كان سجانان يتبادلان ضرب الزميل بالكرباج على ظهره العارى تماما ، ولم تصدر عن الرجل آه واحدة أو صرخة . ثم أعادوا تكبيله من رجليه ويديه بالقيود الحديدية . وتكرر المشهد مع الزميل المسجون الآخر . لو أن هذه السياط نزلت على ظهري ما تألمت مثلما تألمت فى تلك اللحظات . كنت أرى الألم يعتصر زملائي الذين يشاركونى القيد الحديدى . كنا نتبادل الألم ولا نستطيع عمل أى شيء حتى مجرد تشجيع الزميلين الذين تحملا ضربات السياط بتشجاعة نادرة . وتحدث كبير . كنا نعلم أنهما ينالا جزاء صداقتهم لنا وصلتهم بنا . وتبادلنا مع مجدى فهمى الذى كان يشاركنى القيد الحديدى حوارا بالغ الأهمية فى دلالاته ..

- انهما يؤديان ضريبة صداقتهما لنا .
- بالتأكيد بعد أن فشلوا فى الحصول على اعتراف منهما ..
- من أين يستمدون هذه الشجاعة النادرة ؟
- انهما وغيرهما ليسا سوى صديقين ؟
- وهما يتعاطفان معنا انسانيا فقط ؟
- ويتدخل وليم اسحق - وكان فى سلسلة أخرى - :
- وهل لا يكفى هذا ؟ التعاطف الانسانى هو الأساس .
- وهل نفك هكذا مكنوفى الايدى ؟
- ويضحك وليم ، ويقول :
- السنا مكنوفى الايدى والارجل كمان ؟
- وأبدله ابتسامه من بعيد :
- السنسنا لم تصل اليها القيود الحديدية بعد
- ويتدخل مجدى فهمى :
- يمكن أن بسكتو « الآن » ، وإلى الأبد ..
- سامة احتجاج على الأنبل ..
- ربما تكون هذه الكلمة الحليل الذى لم يستطيعوا الحصول عليه
- منهما .. ويستطرد ..
- وربما تكون كلمة السر .. بعدما تنطلق ملوامة لذبضا كننا
- أو بعضنا
- معك حق .. ليس أمامنا الا أن نعتصر الألم ..
- ما يخفف آلام اللحظة .. أن تعايش المستقبل فى الوقت ذاته .

ويأتى صوت وليم اسحق الساخر :

- لحظة ونفوت ولا حد يموت .. ياعم درش ..

وتهدأ نفسى التائرة فليلا .. لقد كنت أن ارتكب « حماقة » كنت على وشك أن أصرخ احتجاجا على تعذيب الزميلين هذا التعذيب الوحشى لجرد انهما صديقان لنا .. ولو اننى فعلت ذلك فقد كان من المؤكد أن جميع الزملاء كانوا سيجتجون بمختلف الطرق ، الأمر الذى كان سيُعطيهم مبررا لاطلاق الرصاص علينا .. **مجدى فهمى** بهدوئه وسلوكه الموضوعى هو الذى منعنى من ارتكاب هذه الحماقة التى كانت ستكون بالتأكيد اشارة البدء للمؤامرة التى كانوا يدبرونها وفشلوا حين لم يجتوا مبررا لها .. وتنتهى عملية جلد الزميلين .. ونشهدهما يساقان مرة أخرى الى زنازين « **القنايب** » أيديهم مكبله بالقيود وأرجلهم مقيدة بالسلاسل ، ومن ورائهم نشهد موكب الضباط الكبار والأفندية يسير ناحية مكاتب الادارة ، وتزعق صفارة الفاطرة بصوت مزعج بينما تنفث مدخنتها دخانا أسود كثيفا ، يكاد يخفى أشعة الشمس الساطعه ، ايدانا بيداء الرحلة الى ما « وراء الشمس » ..

الناس حين يسافرون الى بلاد أخرى يذهبون الى محطات السكك الحديدية أو المطارات .. لكن أمثالنا من البشر تاتى اليهم القطارات حيث يسكنون ، والناس يا حبيبى مقامات ! لم يكن منظر القطار غريبا علينا ، فقد كنا نراه يوميا فى الجبل يملأ المساجين عرباته بالاحجار البيضاء التى يكسرونها من الجبل بالديناميت ، لكننا لم نر أبدا قطارا داخل حوش الليمان ، لكننا كنا نرى قضباننا ، واذكر اننا كنا نسال عن سر وجود هذه القضبان التى لا تسير عليها قطارات ، وعرفنا أن الاحتلال البريطانى الذى قام « جنوده » بتشبيد هذا الليمان الضخم كان يستخدم القطار فى نقل الاحجار من الجبل الى موقع البناء ، اختصارا للوقت والتكلفة حتى تم تشبيد الليمان الذى لم يدخله القطار بعد ذلك الا من أجل أن يحملنا الى **الواحات** ! وكانت هذه أول مرة يخرج فيها القطار من الليمان محملا « ببشر » .. وكانت هذه أيضا أول مرة يسير فيها قطار خاص فى بطن الجبل عرباته من زنازين ، وليست عربات بضائع فكل القطارات التى اخترقه ، كانت تحمل احجارا وليس « بشرا » ! هكذا كان الحال منذ **الاحتلال البريطانى** ، وكان هذا هو الجديد ! ومتى بعد الاستقلال وتوقيع اتفاقية الجلاء !

كانت الساعة قد بلغت الثانية عشر ظهرا حين خرج القطار من بوابة السجن .. كان من المألوف عند خروجنا فى موكب العبيد اليومى الى الجبل أو العودة منه أن نرى أمام **بوابة السجن** عددا كبيرا من أهالى السجنين يلوحون على البعيد لنؤيهم الذين يلحونهم خلال ذمابهم أو عونتهم فيطمئنوا الى انهم ما زلوا على قيد الحياة .. وكنا نرى أيضا **الاهالى** الذين

يأتون للزيارة ، ونرى باعة الفاكهة والمرطبات منتشرين في المنطقة يقدمون للأهالي بضاعتهم • وكثيرا ما كان طابور العبيد ينتظر مرور القطار المتجه الى حلوان أو القادم منها • فمن المعتاد أن يتخطى الطابور قضبان مترو حلوان ، وكنا نأنس كثيرا لركاب قطارات حلوان خاصة اذا استطاعت عيوننا أن تلتقط صورة غير واضحة المعالم لامرأة أو فتاة • كنا نرى كل يوم خلال ذهابنا الى الجبل أو عودتنا منه صورة من صور الحياة التي لا نتوقف ، فيزداد حبنا للحياة ويزداد نعلقنا بها ، ويتضاعف أملنا في أن نعود اليها يوما •

لكنهم في ذلك اليوم حرمونا حتى من هذه الصورة الانسانية ، المنطقة خالية تماما من أى انسان سوى طابور طويل من الجنود يقف على الجانبين يبدأ من بوابة الليمان وينتهي عند بطن الجبل ، يحملون الدافع الرشاشة الموجهة اليها نحن الذين نقبع في الأقفاص الحديدية وأقدامنا مكبلية بالقيود الحديدية ! وعلى بابي كل « زنزانة » بقف حارسان في ايديهما الدافع الرشاشة ! والى جوار القطار الذى يسير ببطء شديد تجرى عدد من الخيول التى يمتطيها ضباط السجن ، تبطىء أحيانا وتسرع أحيانا أخرى • وعلى البعد يقف مدير الليمان ومأموره مع أصحاب الكبابت الحمراء والأفندية ، ويسير قطارنا نحو الجهول بين قطارين أحدهما قادم من حلوان والآخر متجه اليها وقد أخلينا تماما من الناس • ترى كم ساعة تعطلت خلالها أعمال الناس القادمين من حلوان أو الذاهبين اليها ؟ وهل يعرفون أسباب هذا التعطل ؟ ومن الذى يحملونه مسئولية تعطيلهم عن أعمالهم ؟ وتحمل القضبان التى اعتادت أن تحمل قطارات الاحجار قطار زنزيننا الى محطة مصر ، ولكن من خارج القاهرة وليس من داخلها • وهكذا سار القطار من ليمان طوره حتى محطة مصر بين رمال كلها صفراء • ونباتات كلها شيطانية على سفوح الجبال ، والتلال • محطة مصر التى لا تتوقف فيها حركة ركاب الوجهين البحرى والتبلى كانت خالية تماما منهم • وعلى رصيف قطار الصعيد كان يقف طابوران من جنود البوليس يمسكون بهدافهم الرشاشة ومعهم عدد من ضباط البوليس وعدد من « الأفندية » يروح ويجىء على طول الرصيف ، وينتشر هنا وهناك عدد من لابسى الجلابب واللبد الذين يعرف هويتهم كل الناس ، جميعهم ينتظرون مقدم قطارنا ! على البعد كنا نرى مجموعات مكسدة من البشر ، فى انتظار الانتهاء من هذه الحالة الشاذة ليركبوا قطاراتهم • وما أن يقف « قطارنا » على رصيف الصعيد حتى نسمع صيحة مدوية لامرأة تبعد السكون الرهيب الذى فرضوه على الناس والمكان فى عز الظهيرة •

– الدستور • الدستور •
وكانما أصابت هذه الكلمة الناس الواقفين فى انحاء المحطة بمس كهربائى،

«واذا بأصوات عديدة تعلو في قوة ، أصوات اهتزت لها مبان محطة مصر .»

- الدستور .. الدستور ..
وترتفع أصواتنا من كل « الزنازين » - نحن والاخوان المسلمين في صوت واحد :

- الحرية .. الدستور .. الاحزاب
وفي لحظة واحدة تختل كل اجراءات الأمن المشددة .. ولايستطيع البوليس المذجج بالسلاح ولاصيحات « الأفندية » من أن توقف زحف أهاليينا والجماهير التي تعاطفت معها نحونا ونحن فابعين في « الزنازين » ، فنوعت الهتافات .. الدستور .. الديمقراطية ، الحرية للسعب .. وتوحدت أصواتنا بأصوات الأهالي والجماهير وهي تردد نشيدنا الخالد .. بلادي .. بلادى لك حبى وفؤادى .

امتلات محطة مصر بالجماهير تردد معنا في حماس وقوة نشيد بلادى .. بلادى . وقد أحاطت بالقطار من كل جانب ، ووقف عدد كبير من الأهالي أمام القطار كى لا يتحرك الا على جثتهم . وبدأت أغرب مفاوضة في التاريخ بين أهاليينا وبين رجال المباحث العامة . تقدمت زميله يحيط بها عدد من الأمهات والزوجات والاخوات والأطفال للمفاوضة ، قالت :

- نريد فرصة لقابلة أولادنا ..
ويقول رجل المباحث :
- ولكنى لا أملك ذلك
- اتصل برؤسائك
- عندى أوامر بعدم الاتصال
- الأوامر يمكن أن تتغير .
- وما الذى يجبرنا على تغيير الأوامر ؟
- لن يتحرك القطار الا على جثتنا ..
وتجلس الأمهات على القضبان الحديدية ، بعضهن يجلسن القرفصاء ومن يحملن أطفالهن وأطفالنا ، وبعضهن يتمددن على القضبان ، وتقول الزميلة :
- فلنكن مجزرة أخرى من مجازركم العديدة ..
وتذهب زميله أخرى الى سائق القطار وتقول له ..
- انت المسئول لو تحرك القطار وقتل واحدا ..
ويرد السائق :
- يا ستى ما تخافيش .. أروح فين من ربنا !
وتعلو أصواتنا من جديد نهتف بحياة الدستور .. وتنشد : بلادى .. بلادى ..
يلادى . وتردد الجماهير والأهالي الهتافات والنشيد ، والحوار ما زال

مستمرا بين الزميلة ورجل المباحث الذى يتركها فتره قصيرة ويعود اليها مرة أخرى ويسأل :

- انتو عاوزين آيه علشان القطار يتحرك ؟
- أن نتحدث لبعض الوقت مع أولادنا ..
- مانسى .. نصف ساعة تكفى .
- وان يسمح لهم بأخذ ما آتينا به من اكل وملابس ..
- موافق ..
- وأن نعرف أين ستذهبون بهم وكيف يعاملون ..
- الى الواحات الخارجة .. وسوف يعيشون فى خيام ..
- وكيف سيعاملون ؟
- ليس أسوأ من معاملتهم فى الليمان ..
- ومن ضمن هذا ؟
- هذا مالا أعرفه .. ربما زيارتكم لهم ..
- نريد تصريحاً بالزيارة .. غدا .. أو بعد غد ..
- هذا مالا أملكه ..
- من الذى يملك ؟
- ادارة السجن ..
- مدير الليمان موجود ..
- ويهمس رجل المباحث فى اذن مدير الليمان الذى يقول :
- الزيارة حسب اللائحة .. من يستحق سوف يسمح له بالزيارة
- نريد استثناء من القاعدة ..
- ساكتب لك تصريحاً ..
- ليس لى ..
- لمن اذن ؟

وتتقدم احدى الامهات تحمل على كل يد من يديها طفلاً .. تقول :

- الطفلين حول لازم يشوفوا ابوهم .

ويطلب اشدريد ورقة ليكتب عليها اذنا بالزيارة بعد أن يسجل اسم الأم وأسم زوجها . ومن أحد زملائنا « مصطفى كمال خليل » . كان قد قبض عليه فى نفس اليوم الذى قبض على فيه ولم يكن قد مضى على زواجه أكثر من عامين . شهد مولد احدهما ولم يشهد مولد الآخر . ومضت نصف ساعة أمضيها مع أهاليها فى أحاديث مختلفة ، ومتصلة والجمامير تحيط بهم تنظر اليها بحب وعطف . ربما لأول مرة تتعاطف جمامير الماركسيين والاخوان حول موقف انسانى ، فنحن والاخوان مكبلون فى زنازين وراحلون نحو الجهول ، وربما كان هذا التعاطف الانسانى هو الذى وحد شعاراتنا الدستور ، الحرية ، الديمقراطية . ومن المؤكد

أنه خلق تقارباً بيننا وبين عدد كبير منهم فى النظرة السياسية - كما
سأتناوله فى رسائلنا المقبلة .

كان منظرنا غريباً - كقرود أو أسود أو نمور فى أنقاص حديدية -
نتناول الأكل والفاكهة من بين القضبان . المحظوظ منا هو من كانت والدته
أو زوجته أو أخته هى التى تزوره ، فقد استطاع أن يأكل كميات أكبر
من « طينخ » البيت الذى كدنا ننسأه وقبل أن يصادر لصالح الجميع .
ومع أن أخى المرحوم « مسعد » كان قد حضر لرؤيتى وأحضر معه كميات
من الأكل الجاهز ، « كباب » مثلاً ، حيث كان ما زال أعزباً ، فقد
استطاع أن يحصل لى من الأهالى على كميات من « المحشى » الذى لم أكن
قد نقتله منذ سنوات ! ودار بيننا حوار سريع لم يتسع سوى لكلمات
معدودة عن أخوتى أو زوجتى ، قال :

- ميمى لم تستطع الحضور .
- مس مزم . . . لكن لماذا ؟
- لم التق بها منذ مدة .
- والأخوة . .
- كويسين . . كل واحد فى حاله .
- المهم أنت عامل أيه ؟
- كلفت بالاتصال بكم . .
- عندك آخر الأخبار ؟
- ناولنى علبة سجائر هوليود « لارج » وقال :
- فيها كل ما تريده .
- ثروة عظيمة ؟
- أعظم ما تتصور . .

ومن بين قضبان « الزنزانة » كنت أعانقه . . بينما كانت صفارة القطار
تصرخ تعلن استئناف الرحلة ، ودخان مدخنته الكثيف « يهب » بظلاله
السوداء أروع صورة إنسانية شهدتها محطة باب الحديد . وتحرك القطار
وارتفعت منافات جميع المسجونين والأهالى بحياة الدستور ، والوحدة
الوطنية ، وما كاد يغادر محطة مصر حتى ارتفعت أصواتنا بنشيدنا
الحبيب الى قلوبنا : بلادى . . بلادى . .

وحين مرق القطار بمزلقان « السبكية » تبادلت مع مجدى فهمى نظرات
خاصة . هنا فى حى بولاق عاش مجدى فهمى وناضل مع رفاق أعزاء
من عمال المسكة الحديد وشبرا الخيمة ، وهنا ولد وعاش مع أمه وأخوته ،
ومع أهالى الحى البسيطاء له ذكريات استثنائية . وشارع ابن الرشيد حيق
نحبر مزلقان السبكية ، فى حارة حبيبة الحكمة عشت أجمل مستويات
حياتى بعد أن اتيت مع لى ولى وأخوتى من بور سعيد عام ١٩٢٦ *

كنت ما زلت طالبا في مدرسة تقع في نفس شارع السبتية . في هذا البيت ماتت أمي مبكرا بعد حضورنا الى القاهرة بأربع سنوات ، وكنت قد انتظمت في صفوف المناضلين من أجل مصر وسعدها . يالها من أيام . . وجدت دموعا تجرى من عيني ، وأخرى من عينا مجدى . . قلت له في محاولة لتخفيف آلاما أعانيها ويعانيها هو أيضا :

– فاكريا مجدى البنت الطالبة في مدرسة الأميرة فوزية ؟
ابتسم بهدوء وقال :

– وهو حد ينسى احسان . . كانت آية . . !

كانت « احسان » طالبة في مدرسة الأميرة فوزية الثانوية التي تقع أمام الورش الأميرية بحي بولاق . وكانت تسكن مع أهلها في شارع ابن الرشيد على ناصية حارتنا « حارة حبيبة الحكيم » . لم أكن وحدي الذي انتظر نزولها من بيتها صباح كل يوم وهي ذاهبة الى مدرستها سيرا على الإقدام . كان كثيرون غيرى ينتظرون مرورها ، على طول شارع ابن الرشيد حتى مزلقان السبتية ، ثم على طول شارع السبتية وعلى تقاطع ابن الرشيد مع النصارى الذى تقع فيه المدرسة أمام الورش الأميرية كانت فتاة بارعة الجمال ، خدودها كحمر الخوخ ، وقوامها فارغ ، وتقاطيع وجهها . . سبجان الخلاق . لم أشعر يوما بأن واحدا من المعجبين بها نطق كلمة واحدة تجرح شعورها ، كان بعضهم يحييها بأدب شديد واحترام كبير ، وترد عليهم التحية وابنسامة ودودة تكسو وجهها الجميل :

– يا ترى اين هي الآن يا مجدى ؟

– نسيت أسأل أمي

– وأنا نسيت أسأل مسعد . .

– آخر مرة شفتها امتي ؟

– يمكن من خمس سنين (٣ فى السجن و ٢ قبل السجن)

– أنا أسعد حظا منك . . شفتها قبل القبض على بايام .

– اتجوزت ؟

– وخلفت .

– ولسه حلوه ؟

– ويا حلي من الاول . .

– لزمت بحربة حب عظيمة ؟

– الحب الحقيقى يضمى على الانسان جمالا .

– مغنويا . . نعم . . لكن بيولوجيا ؟

ويبينسم مجدى ابتسامته الودودة :

– طبعا . . الحب يعيد تكوين الانسان نفسيا وبيولوجيا الى حد

كبير .

وتمضى الدقائق .. أصوات الزملاء لا تتوقف ، تتردد نشيد بلادى •
 بلادى • واختلس أنا ومجدى دقائق للحوار • ونجد أنفسنا فى محطة
 الجيزة التى كانت خاليه تماما من ركاب وجه قبلى ، رجال البوليس الذين
 يحملون هدايقهم الرشاشة امتلأت بهم ساحه المحطة • وترتفع ايدي
 الزملاء من بين قضبان أقفاصهم الحديدية تلوح للأهالى الذين يقفون بعيدا •
 دقائق معدودة ويغادر القطار محطة الجيزة • وما أن يدخل محطة الفيوم،
 ثم بنى سويف وباقي المحطات حتى أسيوط ، حتى ترتفع أصواتنا بالهتافات
 والانشيد • كان القطار يتوقف فى كل محطة ما بين فقيقتين وخمس دقائق
 على الاكثر • وعلى كل محطة كنا نجد جنود البوليس والمخبرين الذين
 انتشروا فى انحاءها • والجمهير الواقفة لترى « ما الحكاية » ربما كان
 قطار « تشريفه » ! • لكن « انفار » التشريفه غير موجودين تبقى
 الحكاية مس تشريفه بعضهم دفعة الفضول ليرى بنفسه
 لماذا هذا الحشد من البوليس والخفر والمخبرين والضباط ، وبعضهم كان
 يعرف « الحكاية » وهؤلاء هم الذين جاءوا مع الزملاء من المحافظات والقرى
 والنجوع ، بدليل أننا كنا نجد فى بعض المراكز من يقابلنا بهتافات
 معينة عندما يدخل القطار محطاتها • يعلق مجدى فهمى :

- يبدو ان الزملاء نشطين فى الصعيد ••
- ولكن ليس فى نفس المستوى ••
- نرسل اليهم ملاحظتنا ••

وعندما دخل القطار محطة أسيوط كان الظلام يزحف يبدد أسعة الشمس،
 وكانت حناجرنا قد أجهدت الى الدرجة التى جعلتها عاجزة عن تادية
 وظيفتها تماما • لقد أدت مهمتها على طول الطريق من القاهرة حتى أسيوط •
 حيث يوجد بشر ، وزرع وخضرة وحياة • فشكرا لها ولندعها لتستريح
 بل وتستريح أجسامنا المجهدة المتعبة • فالطريق من أسيوط حتى محطة
 الموصله ليس به سوى الرمال والكثبان والنباتات السبطنانية المنتشرة على
 سفوح الجبال والتلال •

كاد الليل ان ينتصف عندما وصل القطار الى محطة الواحات الخارجة •
 لتبدأ رحلة السيارات الى جناح حيث يقع السجن الجديد ، كانت ليلة
 تستحق الرسالة المقبلة يا حبيبتي

٢٨ يونيو ١٩٧٧

القاهرة

الرسالة رقم (٢٤)

حبیبتی

كانت الساعة قد تجاوزت الحادية عشر مساء حين وصل القطار الى محطة « المواصلات » وهي المحطة الوحيدة التي لم نر فيها جنود « التتريفة » وضباطها الذين نسهنهم على كل المحطات التي مر بها الفطار من القاهرة حتي هذه المحطة التي تفجع في قلب الصحراء . كان في انتظارنا عدد من سيارات الجيش اللوري بها عدد من السجانة وضباط السجون على رأسهم الضابط (٠٠٠) وهو من الضباط الكبار في مصلحة السجون، استرعى انتباهنا « السوط » الذي يحمله وتوجسنا شرا عاجلا . وحين قال لنا :

— أهلا وسهلا .. « لم نطمئن لترحيبه فلم نرد عليه » .

كان من الصعب أن نتبين تعبيرات وجهه فالظلام دامس الى درجة كان يصعب علينا أن نرى بعضنا البعض بوضوح . بعد فترة أمضيناها في « الزنازين » جاءوا بعدد من الكلوبات يحملها سجانة حتي نستطيع أن ندبين موقع أمدامنا وحتى نستطيع النزول من « الزنازين » لنركب العربات وبدأت محاولة نزول أول خمسة أشخاص مكبلين بالسلاسل الحديدية ، وكنت من بينهم . سلم « الزنزانة » يبعد عن الأرض بحوالي متر على الأقل ، طول السلسلة الحديدية المقيد بها الزملاء الخمسة لا يزيد عن ثلاثة أمتار ، ولا يزيد طول السلسلة بين كل زميلين عن نصف متر ، معنى هذا أن مجرد برول الزميل الأول من على ارتفاع متر سوف يجر وراءه الزملاء الأربعة ، الأمر الذي يعرض الجميع — على الأقل — لكدمات وجروح ، فمن يضمن أن لا يقعوا على تشريط السكة الحديد أو الأحجار التي بجانبه . كان الضابط يقف الى جوار الزنزانة التي كنت بها وأنا أحاول مع زملائي الأربعة النزول منها ، وشهد صعوبة نزولنا ونحن مقيدون بالسلاسل الحديدية فلفظ الينا حائرا ولم يتكلم . اقترح أحد الجنود أن يأتوا بكرسي فنزل عليه واحدا وراء الآخر ، فقلت بمسخرية :

— كرسى ما ينفعنى .. عاوزين كنبه .

ضحك الضابط ... بصوت عال وقال :

— أو سرير بسوسته علشان ما حدش ينجرح .

أنست اليه فقلت :

— هوه فييه حد مجنون يفكر في الهرب من هنا !

- اقتراحك ؟
- تفكروا السلاسل ..
- ماهي دي المشكلة ..
- مشكلة ؟ راح بفضل كده على طول ؟
- لا طبعا .. لكن كان لازم يكون فيه استعداد .
- استعداد لايه ؟
- شاكوش وأجنحة وسندان ، وحداد ..
- والاول مرة أدرك أن هذه السلاسل الحديدية لاتفك الا بقطعها . السلاسل التي كنا مقيدين بها قبل ذلك بعد أن حكم علينا بالاشغال الشاقة كان فكها لا يحتاج الى كل هذه الانوات . والقيود الحديدية التي كانوا يقيدون بها أيدينا كانت تقفل وتفتح بمفتاح خاص يحتفظ به الضابط المسئول عن « القرحيلة » سواء كانت مكونة من فرد واحد أو عدد من الأفراد . وهؤلاء الذين قيدونا بهذه السلاسل كيف كانوا يفكرون ؟ بالقطع لم يفكروا فيما سوف نعانيه خلال هذه اللحظة وهذا من « حقهم » ، فنحن بالنسبة لهم لسنا سوى « بضاعة » مطلوب « شحنها » من مكان الى آخر ، وليس من شأنهم أن تصل سليمة أو مكسرة . ولكن ألم يفكروا في أولئك الذين سيتسلمون « البضاعة » وفي معاناتهم عند استلامها ؟ كان واجب الزمالة يقتضي - على الأقل - أن يفكروا في هذا الأمر . ويبدو أن مأمور السجن الجديد ... كان يفكر بهذا المنطق « الوظيفي » .
- قال وهو يضحك ..
- لكن انتم ازاي عرفتوا تطلعوا عربات القطار ؟
- كانت المسافة بين سلم العربية والارض لاتزيد عن ٢٠ سم
- وطبعاً هما مش عارفين الوضع هنا ..
- ويعلق أحد الزملاء بسخرية ..
- تلاقى واحد منهم خطى هنا ..
- ويقول الضابط بمروارة ..
- وأيه اللي راح يجيبهم هنا .. من وراء مكاتبهم ..
- ويقول زميل :
- والا من بيوتهم المكيفة ..
- وثان
- والا من سهراتهم الحمراء ..
- وثالث
- وراح يتركوا صفقاتهم المربية لين ؟
- وتستمر التعليقات الساخرة بين ضحكات الزملاء ويشاركونهم الجنود أحياناً .

- ويتجنبه المأمور ، فيقول ضاحكا :
- آيه يا جماعة انتو ناويين نحبسوني معاكو ولا آيه ؟
- ويقول زميل
- يعنى .. مفيش فرق كبير ..
- وتصغر عن المأمور تنهيده ويقول :
- والله ما فيه فرق .. المهم عاوزين نحل مشكلة نزولكم ..
- ويصدر أوامره الى بعض الجنود بالذهاب الى « العسكر » لاختصار حداث
- ومعه الآلات اللازمة لقطع السلاسل الحديدية .
- المسافة بين محطة المواصلة « وجناح » حيث يقع السجن الجديد تقطعها
- العربة فى حوالى ساعة ذهابا وإيابا قضاها المأمور فى التعرف
- على الزملاء . راح ينتقل بين عربات القطار ليتعرف علينا وعلى
- الاخوان المسلمين . وعند كل زميل أو أخ بدور حوار سريع :
- الدكتور شريف حناتة .
- انت قريبي ..
- زكى مراد الحامى ..
- لا انت مش قريبي
- ازاى ابقى قريبك وأنا نوبى ؟
- محمد شطا .. عامل نقابى ..
- باين عليك خطر ..
- ولیم اسحق قنن
- مغنى ؟
- لا .. وسام ..
- ضمنا صورة بالزيت . .
- وينتقل الى الاخوان المسلمين
- بكباشى فؤاد جاسر
- بوليس
- لا جيش
- صاغ جمال ربيع ..
- طبعا جيش ! ..
- دكتور كمال خليفة
- طبيب ؟
- لا مهندس
- هدوء الصحراء يلف المكان . أى ممس يمكن أن تسمعه . وهواء
- الصحراء يلفح الوجوه المتعبة المنهكة ، وتشعر بان الدم يجرى فيها
- من جديد وهى تمترج بصوت المأمور الودود خلال تعرفه علينا .

ونحن ببعض الاطمئنان ولكنه مشوب بالحذر . فنحن حتى الآن لا نعرف ماذا ينتظرنا هناك في السجن الجديد . لقد مضى الكثير . . . وستعرف كل شيء بعد قليل .

تعود العربة التي ذهبت الى السجن الجديد وبها الحداد ومعه الأدوات اللازمة لقطع السلاسل . . . سندان . . . ومطرقة . . . واجنة . . . يصعد الى زنزانة رقم ١ بالقطار . ينظر قليلا الى السلسلة الحديدية المعلق بها خمسة أشخاص ويوجه كلامه الى المأمور . . .

- افكم خالص يا بيه ؟

- يعني ايه خالص . . . آمال نص نص ؟

- يا بيه أصل لو فكيتهم خالص راح تأخذ وقت . . . يمكن لغاية بكرة بعد الظهر . . .

وتبدو على وجه المأمور تعبيرات تدل على عدم الفهم فيقول :

- مش فاهم . . .

ويقوم الرجل بشرح « القضية » ، فيقول :

- يا بيه . . . في كل رجل « حجلة » ودي تخينه قوى تأخذ وقت على ما تنقطع . . . لكن السلاسل سهل تأخذ وقت أقل ، نقطع السلاسل والا نقطع « الحجلة » ؟

ويرد عليه المأمور بضجر . . .

- قطع اللي تقطعه . . . المهم أنهم ينزلوا من القطر . . . ويركبوا العربات .

- لكن يا بيه اذا قطعنا السلاسل . . . وبعد كده نقطع « الحجلات » ، مش ممكن استعمالها بعد كده . . .

ويصيح المأمور بصوت عال :

- والله ما أنا فاهم حاجة . . . حد منكم فاهم حاجة يا جماعة ؟

ويضح الجميع بالضحك . . . ويتولى أحد الزملاء العمال شرح المشكلة :

- « الحجلة » اللي في الرجل « مبرشمة » . . . ولما يطلع مسمار البرشام يمكن استعمالها بعد كده بمسمار برشام آخر ، لكن لما يقطع حلقة من حلقات السلسلة اللي بين كل زميل وزميل ، معناه أولا أن السلسلة راح تبوظ ، وثانبا ان كل زميل سيحتفظ بقطعة سلسلة و« حجلة » في كل قدم من قدميه . . . وبعد كده تقطع الحجلة .

- آه فهمت . . . يا سيدي قطع السلسلة . . .

ويصيح ضابط « الترحيلة » .

- السلسلة تبوظ . . . ودي عهده على . . .

ويضح الزملاء بالضحك . . . ويقول أحدهم :

- واحنا مش عهده . . .

- ويرد عليه ضابط الترحيلة :
- أنا خلاص سلمتكم لحضرة المأمور .
- لا يا حبيبي أنا لسه ما اسلمتس حد راح اسلمهم فى السجن
وامضى عليهم هناك .
- طب وأيه العمل .. أنا لازم أرجع السلاسل .. دى عهده ما ناس ..
ويعلق أحد الزملاء ساخرا ..
- ببفى مفيتس حل إلا اننا نموت هنا ..
- ما انتو براضه عهدة .. لازم أسلمكم أحياء ..
- ويعلق زميل :
- والسلاسل ترجع سلبية ..
- ويعلق آخر :
- معادلة صعبة .. ازاي نحلها !
- ومرة أخرى يضج الجميع بالضحك . هذا المكان الموحش الكئيب لم
يشهد من قبل بشر يضحكون . ومن الذى يضحك ؟ السجن والسجان !
- فى لحظة تحولت المساة الى ملهاة !
- كان الأمر يستحق « ثورة اداوية » من أجل القضاء على
البيروقراطية . بدأها فى تلك اللحظة مأمور السجن الجديد . قال
بحسم وهو يوجه كلامه الى الحناد :
- قطع السلاسل .
- ويقاطعه ضابط « الترحيلة » :
- وأنا أعمل أيه ؟
- يرد المأمور وهو أكثر حسما :
- راح امضى لك على وصل باستلام السلاسل ..
- ترتاح أسارير ضابط الترحيلة ويضرب « تعظيم سلام » ! وترتفع
صباحات الاستحسان من الزملاء والتعليقات الطريفة الساخرة . وقبل
أن يبدأ الحناد فى عمله متدثا بالزنزانة رقم ١ .. بأتى صوب من
الزنزانة رقم ٤ .
- أحنا الأول .. أحنا الأول ..
- ويرد المأمور
- بالترتيب .
- ويعود الصوت :
- أصل .. أصل .. ويضرب أصابع يده اليمنى بعضها البعض
ويضحك المأمور ويقول :
- بى .. بى .. والا كا .. كا !
- وترتفع ضحكات المسجونين والسجانة والضباط تبسدهم

الصحرَاء الرهيب ، ويعطى المأمور أوامر الى الحداد بان يبدأ من الزنزانة ٤ • الغريب ان كل زميل بعد فك قيوده كان يفتحى جانباً للتبول ! لقد مضى علينا أكثر من ١٨ ساعة ولم يكن احد بحاجة الى التبول • فلماذا ظهرت الحاجة الى ذلك فى تلك اللحظات بالذات • يا لهذا الانسان •• كائن غريب قادر على التأقلم والتكيف مع كل الظروف !

الحداد ينتهى من عمله بسرعة • ونسير الى العربات كل منا يجر فى كل قدم من قدميه سلسلة معلقة فى « حجلة » • يمسكها وليم اسحق بيده ويقول ضاحكا :

- هيه دى بقى « الحجلة » الرئيسية يا درش ••

- دى مش « حجلة » رئيسية واحدة يا وليم •• دول اثنين •

وتنطلق السيارات وسط صحراء واسعة يلفها ظلام حالك • سكون رهيب يمزقة بين الحين والحين عواء الذئاب والثعالب ، مصابيح السيارات العالية تخترق الظلام كى ترى طريقها غير المهد الى السجن ، أنوار تبدو من بعيد تحيط بمساحة كبيرة مربعة •• يبدو انها « أنوار » السجن فى لحظة تتجسد أمامى صور معسكرات النازى • الصمت يخيم على جميع الزملاء حتى تكاد تسمع صوت تنفسهم • ما الذى ينتظرنا بعد دقائق ؟ حقا لقد كانت معاملة مأمور السجن الجديد انسانية ولكن ربما لا يدري هو نفسه ما دبروه لنا • أغلب الظن أن هؤلاء « الفاشست » لن يستخدموا نفس الأساليب التقليدية للتعذيب ربما كانت خطتهم تقوم على أساس القائنات فى الصحراء نهباً للذئاب والثعالب والثعابين •• وانتابتنى رعشة شديدة لم تحدث لى من قبل ، رغم ان فكرة الموت سيطرت على مرات عديدة ، • ولكن أن أموت بعد كل هذا الصمود بلدغة « طريشة » أمر لا يمكن تصوره • وكيف يصمد الانسان للدغة « طريشة » أثناء نومه أو سيره أو جلوسه ؟ كيف يقاوم سمها الذى يسرى فى جسم الانسان سريان الكهرباء ويموت فى الحال • اى فاشى حقير هذا الذى دبر لنا الموت بهذه الطريقة القذرة الدنسة ؟ • ان كل أفران النازى ومعسكراتهم •• كل أساليبهم الوحشية تتوارى خجلا أمام هذه الفكرة الشيطانية الموت بلدغة « طريشة » •• والسبب •• « قضاء وقدر » !!

وتقف بنا السيارات عند باب السجن •• مساحة واسعة من الأرض تحوطها الأسلاك الشائكة •• وأكوام من « الخيام » مكدسة على أرض « المعسكر » • كان فى استقبالنا « ••• » مأمور السجن ومعه عدد من الضباط والسجانة ويمسك احدهم « كلوبا » لثنتين موقع أقدامنا • قال المأمور :

- زى ما انتو شايفين .. مخيمات فى صحراء ..
- ويقول احد الضباط :
- ما حدش يمشى جافى
- ويسال زميل :
- الشعابين كتيرة ؟
- علمى علمك .. لكن ببقولوا ان لدغة « الطريشة » حبة والسبر
- الله يطمئك ..
- ويتدخل المأمور :
- يا جماعة .. دى مبالغات .. ما تخافوش ..
- ويقول أحد الزملاء بسخرية ..
- وطبعاً من يموت بلدغة « طريشة » يقيد « قضاء » وقدر ،
- ويقول آخر :
- يعنى بلا مسئولية على إدارة السجن ..
- ويقول المأمور :
- يعنى .. ما احنا عايشين معاكو ..
- ويسال زميل :
- فى خيم زينا كنه ؟
- لا .. فى استراحات فى « جناح » ..
- ويقول الدكتور شريف حتاته .
- وطبعاً عندكم كل الأدوية اللازمة .
- ويقول المأمور :
- والله يا جماعة .. أنا لسه جاى هنا النهاردة الصبح ..
- الأوامر اللى عندى تباتوا الليلة فى المخيمات .. وانتظر أوامر أخرى بكره صباحاً .
- ويقول زميل :
- ده اذا شفنا « بكره » ..
- ويتدخل صلاح حافظ ويقول بحسم ..
- راح تشوف بكره .. وبعد بكره .. آيه الطلب منا يا حضرة المأمور ؟
- ويعلق المأمور مبتسماً :
- آهوده الكلام .. كلام من يكتب عن انتصار الحياة .
- ويسرى الحماس بين كل الزملاء وترتفع أصواتهم تردد نشيد ..
- شتقوننا فى المنافى ، واملأوا منا السجون .. سوف تأتكم ليالى
- برقها عصف المتنون .
- من بعيد يأتى صوت المأمور ينادى على وعلى الدكتور شريف حتاته :

يقول لنا :

- فيه هنا أربع خيام وبطاطين كثيرة .. وسراير خشب .. انصبوا الخيام والسراير ووزعوا البطاطين .
- كم سرير تسع الخيمة ٢٠٠
- حوالي ١٢ سرير .
- قلت لشريف :

- انن خيمة واحد تسعنا فنحن ١١ زميلا .
- ونحن ايضا تكفينا خيمة واحدة فنحن ١٢ زميلا .
- والخيمتين الآخريتين نستخدمهما «ميس» للاكل . ويقاطعنا المامور :
- خلو زملاكم ينصبوا الخيام والسراير وتعالوا معايا ندبر لكم اكل احسن زمانكو جعتوا جدا .
- وقام الزملاء بكل همة رغم التعب والاجهاد بنصب الخيام ، وذهبنا مع المامور لتدبير امر الاكل فقد مضى أكثر من ١٢ ساعة لم نتناول خلالها شيئا . كانت الساعة قد تجاوزت منتصف الليل وفي حجرة من الصاج في طرف من أطراف المعسكر . وجدنا مجموعة من « الحلال » الكبيرة ونصف « عجل » ملقى على الأرض ، وأكوام من « الحطب » ، وشوال من الفاصوليا البيضاء .
- قال المامور :

- أدى اللحمة التي قدرت أدبرها النهاردة .. شوف كده با شريف خايف يكون أصابها التلف !
- يتقدم اليها شريف ويشمها :
- لم تتلف تماما .. يمكن أن تؤكل .
- ويقول المامور :

- يا لله بقى دبروا مسألة الطبخ .. ومعاكوا كام مسجون بساعدكوا .

وانادى على بعض الزملاء الذين يعرفون فن الطبخ . ويأتى عدد من الزملاء والاخوان الذين لهم دراية بالطبخ . ويتعاون الجميع في اعداد وجبة العشاء . هذا يمسك بالساطور ليقطع اللحم ، وهذا يعد الفاصوليا بعد غسلها في « جرادل » الماء ، وهذا يشعل الحطب وسط الصحراء . وبعد وضع القدور الكبيرة على النار المشتعلة . يطمئن المامور فيقول لنا ..

- فاضل مسألة العيش ..

في مكان آخر أعده المامور بسرعة ليكون قرنا بدائيا وجدنا عددا من أجولة الدقيق ، وحوضا من الخشب للعجين ، وعددا من جرادل الماء . ويكتاف الزملاء مع الاخوان في اعداد العيش . مجموعة تتولى عجن

الحقيق ، ومجموعة تعد الحطب في الفرن ، ومجموعة ثالثة تتناوب الوشوف
امام عين الفرن .

بعد اقل من ساعتين كان الجميع يجلسون على البطاطين . كل
في يده « قروانة » بها الفاصوليا باللحم ، اما العيش فهو كثير
من يريد ياخذ :

- الواحد كان ناسي أنه جعان .
- لم يكن هناك وقت للجوع .
- ده اذ اكل الواحد كله في حياته .
- نعمة يحفظها ربنا من الزوال .
- يا سلام لو كباية شاي . .
- يبقى آخر تمام . .
- بس فين الشاي والسكر ؟
- ويقول المامور :
- جبت لكم شاي وسكر . .
- وترتفع صيحات الزملاء فرحا . .
- بس نعمله ازاى ؟
- ونشربه ازاى ؟
- يا أخى نعمله وبعدين نفكر نشربه ازاى . .
- تشعل النار من جديد ويضع زميل عليها جردل من الماء . . ويذهب
- آخر لاختصار اكواب البلاستيك من الخيمة . اربع اكواب فقط . .
- ما تحافوش « جردل » الشاي على النار . . ما حدش راح يشربه
- بارد .
- المصاروه يشربوا الاول علشان بيحبوا الشاي خفيف .
- والصعايدة يستقنوا للآخر . .
- ويعلق زميل :
- والبحاروه . . ؟
- دول بقى وسط
- ويضح الجميع بالضحك . ما اقوى الحياة ! بل ما اقوى الانسان
- هذا الكائن القادر على خلق الحياة في اى مكان يتواجد فيه . هذا
- المكان الخالى الا من الثعالب والذئاب والثعابين والفيران يتحول في
- لحظة الى مكان انساني .
- يبدن صلاح حافظ باغنية لام كلثوم . .
- سمعنا يا ابو الصلح . .
- ونتخيل صوته في هذا المكان الموحش كانه اعذب من صوت ام كلثوم .
- يختلط صوته بصوت محمد شسلا
- افرش منديك على الرملة .

وتغلب روح الجماعة ويردد معه الزملاء :

- أفرش منديلك على الرملية . .
- وينتهز زميل اسكندرانى فرصة ليدخل بصوته .
- يا بنات اسكندرية مشيكم على البحر غيبة . . بدلة الحمام عليكم
- خللت العرسان تجيكونا . .
- اى والله الصيف بدا . .
- اسكندرية زمانها مليانة مصيفين . .
- احنا لسه فى يونيو . . يوليو تبقى زحمة . .
- ويرتفع صوت المرحوم « **خفيل قاسم** » باغنية نوبية . برقص
- عليها هو **وژكى مراد المحامى** . لوحة راقصة نوبية لم نشهدهما من
- قبل وتشد أنظارنا وأسماعنا . نصفق بأيدينا ونردد كلمات
- أغنية لا نفهم معناها ولكن يطربنا ايقاعها .
- ونلمح فى الأفق تباشير فجر يوم جديد ، ونسمع صوت مؤذن الاخوان
- المسلمين ينادى على « الصلاة » ، ويعود الهدوء من جديد . ولأول
- مرة منذ ما يقرب من ٢٤ ساعة نحس بالأمان ! وننصرف الى النوم ساعات
- قليلة تشرق بعدها شمس أول يوم لنا فى سجن « **جناح** » **بالواحات الخارجة** .
- يوم يستحق أن اخصص له الرسالة المقبلة يا حبيبتي .

أول يوليو ١٩٧٧
القاهرة

الرسالة رقم (٢٥)

حبیبی

رغم احساسی النفسی بالامان مع بزوغ فجر اول یوم لى فسی سجن ، جناح ، بالواحاح الخارجة ، الا انی - واحسب أن كل زملائی أيضا لم تغفل عیوننا سوى دقائق . ما أن دخلنا الخیمة واستقرت أجسامنا على الأسرة الخشبية ، وسحبنا البطاطین على أجسامنا ، وبعد تعليقات سريعة ، ساخرة أحيانا ، وجادة أحيانا أخرى ، حتى ساد الصمت بین الجميع . لكن الحوار كان متصلا ، بین كل زمیل و بین نفسه و بینة و بین كل الزملاء ، فی صمت وهدوء ، یقطعه بین الحین والآخر عواء یأتی من بعيد لثوب أو لثعلب ثم تعليقات سريعة للزملاء . .

- ثوب أو ثعلب ؟

- هل یبعد عن هنا كثيرا ؟

- لا تخافوا . . الخئاب والثعلب تخشى النور .

- النور أو النار ؟

- اقترح أن نشعل نارا على باب الخیمة . .

- نور المعسكر یؤدی المهمة . .

ویسود الصمت . ثم تعود التعليقات عندما نسمع العواء مرة أخرى . وتقل التعليقات تدريجیا حتى تتوقف تماما حتى مع استمرار العواء . هكذا ، العواء لیس أكثر من عواء ، سواء كان عواء حیوانات مفترسة أو عواء آدمین ، فتأثيره فی الحالین مؤقت . حتى محاولات الاقتراس التى تأتى بعد العواء ، یمكن للانسان أن یقاومها ویصمد فی وجهها ، لكن ما العمل مع لدغة « الطریشة » التى تحدث فی لحظة ودون أى مقدمات ! ربما تكون خطتهم أن تعامل هنا معاملة عادية ، ونعيش حیاة أشبه بحیاة المعسكرات ، ویترك أمر موتنا للثعالبین والحیات . . « الطریشة » مرة أخرى تسرى فی جسمی رعشة شديدة !

وتنفذ أشعه الشمس القویة من فتحات الخیمة تبعث السدف فی أجسامنا فننفض البطاطین التى كانت تقیفا ببرد لیل الصحراء .

- صباح الخیر یا زملا . .

- صباح الخیر . .

- صباح آیة دا ظهر

- ويضحك زميل :
- ظهر مين .. أنت لسه شفت الظهر في الصحراء ؟
 - ونخرج جميعا من الخيمة علي نهار أول يوم لنسا في سجن « جناح »
 - بالواحات الخارجة** . ما زالت فكرة الموت بلدغة « طريشة » مسيطرة
 - علي ، أنادي بصوت عال علي الرغم مني ..
 - دكتور شريف .. دكتور صلاح ..
 - يخرج الاثنان من الخيمة المجاورة بسرعة وقد بدأ علي وجهيهما
 - الانزعاج .
 - أيوه .. فيه حاجة ؟
 - . كأننا يفكران فيما أفكر فيه وحسبنا أن أحدا قد لدغته « طريشة » .
 - ما ميس حاجة .. بس كنت عاوز انكلم معاكم ..
 - يا أخي خضيتنا ..
 - متأسف .. بس كنت عاوز أطمئن ..
 - ويرد شريف ختافته بهدوء المعروف عنه ..
 - دى بهي مس سياسة .. سيب العيش لخبازينه ..
 - وأنت الخباز الوحيد هنا .
 - ويتدخل صلاح حافظ :
 - وأنا مس خباز يا درس ؟
 - لا .. نصف خباز بس .
 - أحسن من اللي ما يعرفش يخبز خالص .
 - في الطب .. مس في السياسة .
 - ويأتى الدكتور شريف ختافته بمذكرة الى المسئولين ، يبدأ من
 - رئيس الجمهورية حتى مدير مصلحة السجون ، والى الصحف وال نقابات
 - المهنية والعمالية المختلفة ، تستنكر نفينا في الصحراء ومحاولة اغتيالنا
 - بواسطة الحيات والذعابين ، وتطلب نقلنا من هذا المنفى ، وحتى
 - ينسم ذلك يطلب تزويد المنفى بالأدوية الضرورية .
 - عظيم يا شريف .. لكن موت يا (..) لا مؤاخذه علي ما يجيك العليق ..
 - يظهر أنها معلنه معاك قوى ؟
 - وبهدوء الشديد يستطرد ..
 - ويا سيدى جبنا معانا .. الأدوية واللقاح .. احنا برضا
 - الله .. وأقاطعه ضاحكا ..
 - عارف .. عارف .. انتو القيادة .
 - أيوه كده . اعترف ..
 - في الطب بس .
 - وفي السياسة كمان وحياتك .. بكرة تشوف .

- ونلح مأمور السجن ينزل من سيارته على باب السجن فننتجه اليه :
- صباح الخير .
- ويسلمه شريف المذكرة :
- يا صباح يا عليم يا رزاق يا كريم .. لحقتوا تكتبوا مذكرات .. ؟
- واحنا وانا أيه ؟
- يقرأ المأمور المذكرة ويقول :
- حاضر سارسلها بالبوستة ..
- لا بوسته أيه .. دى عايزه مخصوص ..
- واجيب المخصوص منين ؟
- سجان
- بالقطار طبعاً ..
- ده على كيفه .. ييجى كل أسبوع .. كل اسبوعين ..
- يبقى بالتليفون ..
- أنا راح اتصرف .. اطمئنوا
- نحن مطمئنون .. لكن ..
- سأسلمها للمحافظ وأطلب منه أن يرسلها مع مخصوص فى سيارة .
- ويسأل المأمور أسئلة عديده عن « الطريشة » وعن أنواع الحيات والثعابين التى توجد فى الصحراء ، وطرق الوقاية منها ، وهل حقاً ما يقال عن المفعول السريع لسم « الطريشة » . ويعطى شريف اجابات مبالغ فيها ، ونرى الخوف يرتسم على وجه المأمور فيقول
بخبث :
- لكن أنت حضرتك بعيد عن ده كله ..
- يرد المأمور ورنه الخوف تبدو فى صوته :
- لا بعيد ولا حاجة .. وأيه الفرق بين الخيمة ، والفيلة ؟ ، الاثنين
فى صحراء ..
- فعلاً .. مفيش فرق كبير .. احسن تسكن فى شقة عالية .
- بيتقسم المأمور ، ويقول :
- لم كان فيها خير ما كان رماها الطير ..
- هو ، المشافقة مش ساكن فى فيلا برضه ؟
- لا يا سيدى .. ساكن فى شقة .. أنا راخر استعجبت سايب
الفيلة ليه ؟
- ونسمع صرخة عالية ، واثنان من الاخوان المسلمين يحملون شخصاً
ويسرعون به نحو المأمور :
- ادغته طريشة .. ادغته طريشة .
- ويجرى شريف الى خيمته ويعود سريعاً ومعه الحقنة واللقاح .

- فين اللدغة ؟
- مي رجله اليمين .
- مفسس حاجة يا جماعة . .
- ازاي مفينس ده صرخ بأعلى صوته ؟
- على العموم نديله حقنه . . لكن مفينس حاجة .
- أنت متأكد . .
- طبعا متأكد . . أنا طبيب . .
- أمال أيه الحكاية . .
- وهم سيطر عليه . . أغلب الظن . .
- الاخوان المسلمون والزملاء يتجمعون في المكان الذي حدثت فيه
- لدغة الطريشة ، ونجه اليهم وفيل أن نصلهم نرى طبيبا من الاخوان**
- يمسك بقطعة حبل ويقول :**
- توهم أنها طريشة فصرخ .
- الي هذا الحد يعمل الوهم ؟
- واخر من هذا . . الموت ذاته ممكن .
- ونشهد قطعة أرض من صحراء « جناح » بالواحات الخارجية ، **الاخوان**
- المسلمون ، والشيوخيون ، وضباط السجن وجنوده ، وهم يجلسون**
- عليها كما الي كلف يستمعون الي الدكتور شريف حتاته وطبيب من**
- الاخوان يتحدثان عن أساليب الوقاية من الحيات والثعابين بلغة**
- واحدة . والجميع يصتوت اليهما نملاً الثقة نفوسهم ، بما يقولانه ،**
- لا يفرقون بين الطبيب الاخواني ، والطبيب الشيوعي . حتما سيشهد**
- العالم كله يوما مثل هذا اليوم الذي تشهدنه هذه القطعة الصغيرة من الصحراء .**
- يوما تصبح فيه السياسة علماسخرا لصالح الناس . كل الناس ،**
- وليس لصالح طبقه أو فئة . ليس أملا يستمد مقوماته من حتمية**
- التطور التاريخي ، وليس حلما يستحيل تحقيقه ، الا بعد وصول**
- الانسان الي عصر الحرية . ولكن ما سيعجل به هو ان العالم قد بدأ**
- مرحلة خطر فناء البشرية كلها . والامل أن يوحده الخطر الداهم**
- مقلما وحد الاخوان المسلمين والشيوعيين ، والضباط ، والجنود أمام**
- خطر « الطريشة » ذات يوم من يونيو عام ١٩٥٥ ، والحلم أن تكون وحدة**
- دائمة ، وليست وحدة مؤقتة كتلك التي حدثت ذلك اليوم ! .**
- كانت الساعة قد بلغت العاشرة صباحا حين انتهى الطبيبان ،
- الاخواني ، والشيوعي من حديثهما ، حين انصرف الجميع وقد ساد
- بينهم جو التعاطف والتفاهم وروح العمل المشترك لمواجهة الحياة
- المشتركة في هذا المكان الفاسي عن كل شيء الا الرمال الصفراء ،
- والحيوانات المفترسة . والثعابين . حقا ، الاخوان المسلمون لهم حياتهم

لخاصة ، ويعيشون معا فى قسم من السجن ، وكذلك الشيوعيون ، ولكن هناك ما يفرض تعاونهم ، الأكل ، الوفاية ، العلاج ، واتفق على تنظيم العمل المشترك فى المطبخ وفى الفرن . وعلى عمل خيمة كمستشفى يديرها الطبيبان ، الاخوانى والنيوعى ، فضلا عن طبيب السجن الذى يأتى بضعة ساعات فى النهار فقط . ولم يكن من العريب أن تتكون صداقات قوية بيننا وبين عدد كبير من الاخوان المسلمين ، بعضها صمد أمام محاولات كثيرة لضربها حتى وصل الامر الى حدوث أنقسام بين الاخوان المسلمين فى صورة مؤبدين للثورة ، ومعارضين لها ، وسوف اخصص لهذه المسألة حديثا آخر فى رسائل مفصلة .

كان صباح أول يوم لنا فى سجن جناح مشحونا الى حد أننا نسينا أن أقدامنا ما زالت يحبط بها « الحجلات » وتجر سلاسل حديدية . وكان ولیم اسحق أكثرنا حماسا لسرعة ازالة تلك القيود ، ففدماه النجلتان تحمل « بالعافية » جسمه الهزيل . همس فى أذنى صاحكا . .

- أية با درش أنت نسيت « الحجة » (*) الرئيسة ؟
- أبدا يا ولم . . لكن يبدو أن نلاحق الأحداث جعلنا ننسى . .
- تبقى فقدت الاتجاه .

واذهب معه الى مأمور السجن نطلب منه سرعة مك بقبة فيودنا . وبعطى المأمور أوامره الى الحداد فى الورشة الصغيرة التى نقع فى أحد أركان السجن . وبعد أن ينتهى الحداد من مهمته نرى أمامنا تلا من السلاسل الحديدية . ويذكرنى مشهد هذا القتل الحديدى بمشهد مماثل له فى ليما ن طره .

فى مايو ١٩٥٥ - قبل رحيلنا الى الواحات بشهر واحد - أعلن المشير عبد الحكيم عامر فى اجتماع ضخم شهده كل المسجونين فى ليما ن طره وأبو زعبل ، وعدد كبير من صباط فيادة النورة ومصالحة السجن ، إلغاء القيود الحديدية بعد أن قام بحركة مسرحية بقطع سلاسل أحد المسجونين بالطرفة ، الأجنة . ولم ندع نحن لحضور هذا الاجتماع ، وسد عنه وما فى الحمام العمومى ايمان نستحم . كان علينا الفور فى ذلك السوم . لم نتم فى حياتنا طوال فترة السجن سبنا كما نمينا ان نخلص عنا هذه المبود الحديدية كباقى خلق الله من المسجونين العادين ، فقد

(*) هى الحلقة التى توضع حول الصاقين وتربط بهما سلسلة وزنها ٣ كيلو جرام تعلق فى وسط جسم المسجون بحزام .

(م - ١٠ الرسائل)

كنا شبه متأكدين بان قرار تحطيم الاغلال الحديدية لن بسملنا .
كانت أمنية غالية أن نستحم ولو مرة واحدة دون أن نحر الملبود
الحديدية في أقدامنا ، بعد الجهود المضنية التي تبذلها عند
خلع الملابس بم عند ارتدائها بعد الاستحمام .
كنا قد تعودنا على السلاسل الحديدية في أقدامنا ، وعلى صوت
ربننها أثناء قيامنا أو جلوسنا أو سيرنا أو حتى خلال نومنا ،
لكننا كنا نعاني عند كل استحمام ، أثناء خلع الملابس ، ثم أثناء
ارتدائها .

عند خروجنا من الحمام **والسلاسل الغليظة** في أقدامنا شهدنا
منظرا غير مألوف في الليمان . أعدادا كبيرة من المساجين بـرون ودمسكون
بأيديهم القيود الحديدية التي كانت في أقدامهم ، يصيحون بفـرح
شديد ويهتفون لصاحب قرار تحطيم القيود .

صاح أحدهم قبيلا :

— لماذا لم تحطموا أغلالكم ؟

— القرار لا يشملنا .

— هذا ظلم . . . ولماذا ؟

— السياسيون لا يشملهم القرار . .

— الاخوان خلعوا القيود .

— الاخوان شملهم قرار الافراج عام ٥٢ بعد الثورة ولم يشملنا .

— الأمر مختلف . .

— هل لديك أخبار ؟

— لا . . . ولكنه المنطق . .

— نحن استثناء . .

ويصل لاسماعنا من بعد صوت ودود ، كلما سمعناه ، أحس

بالأمان ، صوت الضابط الصديق (. . .) :

— آيه يا جماعة ما خلعتوش الحديد ليه . . ؟

— هل يشملنا القرار . .

— طبعاً . . أنا كنت خايف زيكم . . القرار يشملكم . .

وكانت فرصة كبيرة جربنا الى ورشة الحدادة . بضربة الحداد الماهر
بمطرقة قطع حجلة القدم اليسرى ، وبضربة واحدة أخرى قطع
حجلة القدم اليمنى . ومثل آلاف المسجونين حملنا قيودنا بأيدينا
وجربنا على العنابر ، وقفزنا السلالم قفزا حتى الدور الرابع ، والفينا
جميعا بهذه القيود الكريهة الى أرض العنبر . فيد وراء قيد
لنجد بعد القاء آخر قيد جبلا من الحديد ، كان يتحرك حتى صباح
اليوم مع أقدام العبيد .

ألم أقل لك يا حبيبتي أننا محظوظون ؟ • قيدونا بالحديد مرتين ، مرة عندما صدرت ضدنا الأحكام ، ومرة عندما رحلونا الى سجن « جناح » ، وخلعنا أيضا مرتين • وعدد شهور السنة في الأحكام القضائية عند كل المسجونين ٩ شهور فقط • أما عندنا فشهور السنة ١٢ شهرا بالتام والكمال • وكل المسجونين كانوا يخرجون من السجن ، في مناسبات أعياد الثورة ، والفطر والأضحى ، بنصف المدة ، ولم يخرج أحد منا في أى مناسبة من هذه المناسبات • ولانهم « يعسوقنا » ومغرمون « صباية » بنا ففد كانوا يستضيفوننا سنوات بعد قضاء مدة العقوبة ! وفوق هذا كله فان المسجونين العاديين - وهم عدد قليل - الذين رحلوهم معنا الى الواحات وهم من الصناعات - كانت مدد أحكامهم لا تقل عن ٢٠ سنة ! وأغلب الظن انهم سيموتون معنا في الصحراء قبل انتهاء مدة عقوبتهم ، وربما يدفنون ملنا في الصحراء • هكذا كانوا يفكرون ، ولا من « سمع ولا من درى » !

بعد أن خلعنا قيودنا الحديدية ، وقف بعض الزملاء يتأملون هذا التل من الحديد ، كيف ننظر نحن اليه ، وكيف ينظر اليه الضابط الذى فى « عهده » هذا الحديد • لقد رمض بكل اصرار أن يأخذ أحد الزملاء قطعة من تلك السلاسل الحديدية ، كى يحتفظ بها ، فهى « عهده » ، ولازم يسلمها •

صوت بصيخ من بعيد • •

— الفطار يا زملا • • الفطار • •

ويحمل كل منا « قروانته » لاستلام الفطار •

— فول مدمس • • يا للروعة !

— فول مدمس حقيقى • • مش سوس مفول •

— ده فول مدمس زى بتاع بره • •

هذا الفول المدمس مثل الذى كنا نأكله قبل السجن ، وليس سوسا مفولا كما كنا نسلمه خلال سنوات السجن الماضية • كان الفول مسلوقا وليس مدمسا • وكانت الفولة الواحدة بها عدد لا يحصى من ثقوب السوس • وفى كثير من الأحيان كنا نضبط السوس متلبسا بجريمة استمرازه فى الحساء رغم درسه لأقصى درجات حرارة غليان المياه ، كان بعض الزملاء يرمون السوس « بقرف » ، وكان البعض الآخر يأكله « بلذة » • • ويجور الحوار التلقيدى عند كل أكلة فول :

— آيه القرف ده يا زميل ؟ •

— ده بروتين • •

— فعلا آيه الفرق بين لحم السوس وأى لحم آخر !

— زى الفرق بين لحم الارنب ولحم القطعة •

- وهو فيه فرق ؟
- وكان الحوار ينتهى دائما بجملة نفليدية :
- على أى حال مسألة غير مبدئية يمكن الخلاف حولها .
- بعد أن تناولنا افطارنا النهى من الفول المدمس الحقيقى ، بالزبته والليمون والكمون ، والخبز الطازج ، سمعنا صوتا يقول :
- الشاى يا زملا . .
- شاى . . شاى . . !
- آيه الحكاية . . ؟
- دى سورة . .
- يالهننا . .
- طب ونشرب الشاى فى آيه . .
- صوت حاسم يقول :
- كل واحد يغسل « قرواننه » ويشرب فيها مؤقتا . .
- ويهجم الزملاء على « جرادل » الماء . .
- الميه قليلة جدا . . مستحيل أفرط فيها دى علشان طابخ.
- الغذاء .
- شوية صغيرين .
- ٣٠ شوية صغيرة تخلص الجرادل . .
- يا أخى نجيب غيرها . .
- أمشى ٥ كيلو . . لغاية العين علشان أجيب غيرها .
- طب وآيه العمل . عايزين نشرب شاى ؟
- مش سأنسى . اتصرفوا . .
- ويأتى الصوت الحاسم مرة أخرى :
- مين يتعهد بملء الجرادل بعد ما تشربوا الشاى .
- كلنا . . كلنا .
- استهلك الزملاء الماء المخصص للطبخ فى غسيل القروانات كى يشربوا فيها الشاى ولم يتحرك بعد شرب الشاى لملء الجرادل بالمياه ويعملو صوت غاضب :
- يا زملا املوا الجرادل ميه . .
- بس نستريح شوية .
- أنت عاوز تضيع طعم الشاى .
- ويرد الصوت :
- طيب مفيش غدا . . وأنا راح أطبخ ازاي ؟
- لسه بدرى على الغدا . . الساعة لسة ١٢ . .
- ويرتفع الصوت الحاسم مرة ثالثة :

.. عايزين ١٠ جرادل فيه .. كل زميلين ياخدوا جردل يملوه .. من فضلكم ..

ويستعد ٢٠ زهيدا اسيرة جلب المياه من العين التي تبعد عن السجن خمسة كيلو مترات . ويسدور حوار خلال المسيرة :
- يعنى علشان الواحد يستحم لازم يمشى ١٠ كيلو متر ذهابا وايابا .

- وطبعا فى العودة راح يصفى الجردل على النقص ..

- يعنى كل اتنين يستحموا بنص جردل فيه ..

ويقول أحد الزملاء صاحكا :

- يا ترى مين صاحب نكته « يحموك فى كستبان » .

- دى ما بقتش نكته ..

- لازم نشوف حل لمشكلة المياه دى

- وهيه دى المشكلة الوحيدة ؟

فعلا لم تكن مشكلة المياه هي المشكلة الوحيدة وان كانت أهم المشاكل التي واجهتنا في السجن الجديد . لقد كان كل هم المسجونين الكبار - بعد اضراب المسجونين في ليما طره ، أن ينقلونا فورا قبل أن « يستفحل » خطرنا . فاختاروا هذه القطعة من الأرض في قلب الصحراء . بعيدة عن مصادر المياه ، واحاطوها بالأسلاك الشائكة ، ثم القوا بداخلها أجولة من الفول والغدس والأرز والدقيق والفاصوليا الناشفة ، وعددا من الخيام ، وكميات من الخشب والصاج والمواسير ثم قالوا لنا : **ابنوا سجنكم بانفسكم** ! لقد حسبوا أننا سنستسلم لقسوة الصحراء ، فتدفننا رمالها ونحن احياء أو على شفى الموت عطشا أو جوعا . وقررنا أن نخوض معركة استمرار حياتنا . قررنا أن نبني في قلب هذه الصحراء واحة ، ليس فقط لنأكل فيها ونشرب ، وانما كي نقرأ ونكتب ونتعلم ونرقص ونغنى ، ونمارس كل نشاطات الحياة . وقضينا الساعات الباقية من نهار يومنا الأول في الصحراء ، وجزءا كبيرا من ليل ذلك اليوم في الاعداد للمعركة ، معركة استمرار حياتنا . وكان اليوم التالي هو يوم بدء المعركة .

أحكى لك قصة ذلك اليوم في الرسالة المقبلة يا حبيبتى .

٢ يوليو ١٩٧٧

القاهرة

الرسالة رقم (٢٦)

حبيبتى

كان السؤال المطروح ونحن نعد للمعركة ، هو : من أين نبدأ ؟ . وكانت
الاجابة : أن نبدأ بالبنا ، بناء مقومات اسنمرار حباننا فى عذمة
البفعة النائبة فى **قالب الصحراء** فهى ليست معركة رفيع مستوى المعيشة
داخل السجن ، مثل الممارك التى خضناها خلال سنوات السجن السابقة ،
وانما هى معركة **الحد الأدنى للحياة ذاتها** ، ومررنا أن نبدأ كما
بدأ الانسان الاول حبانته الى **جوار الماء** . واداك كنا لا نملك حرية
الانتقال الى جانب عين المياه الوحيدة فى كل هذه المنطقة من **الصحراء** ،
فنحن نملك القدرة على نقل المياه اليها . وكيف ؟ ان اسنمرارنا فى نقل
المياه بواسطة « الجرادل » وبعد **مسيرة ١٠ كيلو مترا** ذهابا وايابا ،
لا يجب أن يستمر هكذا . يجب أن تصل اليها المياه بواسطة مواسير ،
ولكن هذا هدف بعيد . يستغرق تحقيقه شهرين على الأقل ، يتوهم
خلالهما المواسير ، والخبرة الفنية ، وخلال هذين الشهرين بحب أن يتم
نقل المياه اللازمة لطهى الطعام ، وخبز العيش ، وغسل الملابس ،
والاستحمام ، فضلا عن رى مساحة من الارض نزرع فيها خضروات ، بأقل
جهد ممكن . اذن لابد من الحصول على « **ظلمة** » مياه تسحبها من
العين العميقة الذى ينزل الى حافتها الزملاء كى يملأوا الجرادل ، ثم يتناولها
زملاء آخرون ، وهؤلاء بدورهم يناولونها الى من يحملها الى السجن .
وعند المأمور بشراء **ظلمة** مياه خلال اسبوع على الاكبر ونفذ وعنده .
وكانت فرحتنا كبيرة حين تم تركيب هذه **الظلمة** . وفرنا الجهود
الذى كنا نبذله فى النزول الى عين المياه ، ثم الصعود منها ، وزال
خطر الوقوع فى العين عند فقد توازن من يقوم بملئ الجرادل ، فضلا عن
اختصار عدد الزملاء الذين يقومون بنقل المياه الى النصف . اذن نستفيد
من هذا النصف الذى توفر بعد تركيب **الظلمة** فى اعداد براميل لحفظ
المياه بدلا من الجرادل . سرق الزملاء ٤ براميل فارغة من زبت السولار
الذى يستخدم فى ادارة ماكينة الكهرباء المخصصة لانارة المعسكر .
وكانت مشكلة عندما اكتشف ملاحظ ماكينة الانارة سرقة البراميل
الاربعة :

- صاح الملاحظ :

- رحت فى داهية . .
- ليه . . ما هى البراميل موجودة ؟
- ما تنفّش بعد ما قطعناها . .
- معلّش ندفع ثمنها . .
- مش ممكن .
- ويذهب الملاحظ الى مأمور السجن الذى يأتى لمعاينة موقع الجريمة ؟
- يا جماعة البراميل دى عهد . .
- تانى ؟ . . البراميل عهدة . . والسلاسل الحديدية عهدة .
- ويقول زميل آخر :
- وهو احنا مش عهدة برضه ؟
- ويرد المدير :
- طبعا أنتم فى عهدتى . .
- والعهدة . . ألا تحتاج الى صيانة ؟
- طبعا . . وهو أنا قصرت فى حاجة .
- فى المقومات الأساسية لحياتنا .
- وأيه طلباتكم ؟
- ونضع أمامه قائمة الطلبات الضرورية ، مواسير مياه وحفريات
- وعدد من الصهاريج لتخزين المياه . ومطبخ مجهز بالحد الأدنى بأدوات
- الطهى ، وفرن ، وخيمة كبيرة تستخدم كمستشفى تجهز بالحد الأدنى
- من الأدوية والأجهزة الطبية والاسرة .
- ويعلق المدير . .
- انتم مش شايفين أنها طلبات كثيرة جدا . .
- دى الحد الأدنى التى تسمح لنا باستمرار الحياة .
- بس تنفيذها يأخذ وقت .
- هل يمكن تحديد هذا الوقت ؟
- طبعا مش ممكن . . سأرسل مذكرة بطلباتكم للمصلحة .
- وطبعا المصلحة تعمل مناقصة . . و . .
- ما انتوا عارفين الاجراءات . .
- لكن ممكن اختصارها . .
- ربي ؟
- نحن نثق فى قدرتك على حلها بسرعة .
- طيب ساعدونى . .
- مثلا . . تشتري لنا بعض اللوازم الضرورية . . مثل الواسير
- والحفريات .
- والباقي . . ؟

- الصهاريج والطمبات من القاهرة . .
- راح تأخذ وقت .
- نقترح ان تسافر بنفسك الى القاهرة . . وتوصى ، بعد عرض الوضع على المسئولين . .
- وبضيف زميل .
- لا تنس انك في النهاية المسئول عنا .
- ويضيف آخر :
- واذا حدث شيء . . فسنكون مقصرا في نظرهم . . لانك لم تنبذهم ولم نطلب منهم شيئا .
- ويقتنع **المأمور** ويوافق على السفر الى القاهرة بعد ان يشدري لنا مواسير وحففيات في نفس اليوم . ونتمنى معه على حل عدد من المشاكل . **زيارة الاهالي** . ارسال الخطابات واستلامها . . السماح لنا بطرود الملابس والأدوية وعلب الطعام المحفوظة والسجائر والسكر والساي والكتب .
- ويقول المأمور ضاحكا :
- والمسات والبنات . .
- لا دول نروح لهم قريبا . .
- ان شاء الله يا أولادى . .
- بقولها الرجل بكل صدق وحب .
- وقبل ان تغرب الشمس ، يسرع الزملاء وعدد من الاخوان المسلمين لتفريغ اللورى الحمل بالمواسير والحففيات . **الفنيون** من الاخوان يقترحون عمل دوره مباه لنا ، واثنيتين لهما ، وثالثة للمسجونين ، ورابعة للاستخدام العام . وبدأ العمل في فجر نفس اليوم قبل ان تذهب رمال الصحراء بأنسعه تلمسها القوية . وتخرج مجموعات من الزملاء والاعوان الى **موقع العمل** . وفي نتشاط وحيوية يبدأ العمل ويستمر حتى الغداة عشر ظهرا . أشعة الشمس قوية لم نعد نحملها ، والرمال تهافت الى كتل من الذهب ، تلمس أقدامنا الحافية ، والعرق يتصبب عريضا من أجسامنا العارية حتى منتصفها ويأتى صوت **المهندس الاخوانى** الذى يقود العمل .
- الحمد لله . . لقد انجزنا جزءا لا بأس به من العملية .
- كم من الوقت تستغرقه غلبة مد مواسير الماء ؟
- هذا يتوقف على استعدادكم . .
- نحن مستعدون للعمل طول النهار والليل .
- عدا فترة الظهيرة - من الساعة ١٢ ظهرا حتى الساعة ٣ بعد الظهر .

- موافقون . .
- ونتفق على تنظيم ورديات ، كل وردية تعمل ٧ ساعات فيكون مجموع ساعات العمل اليومية ٢١ ساعة .
- اذا نفذنا هذا بدقة نستطيع أن نجز عملية مد مواسير المياه في أسبوع واحد .
- وهل نستأنف العمل اليوم في الثالثة بعد الظهر . .
- اقترح ان يبدأ نظام الورديات من اليوم بعد الظهر . .
- سنحتاج الى كلوبات للانارة ليلا . .
- ويتعهد زميل كهربائى بتدبير أسلاك كهرباء ولبات وأخذ توصيلة من ماكينة الكهرباء . .
- ويتساءل زميل :
- كيف وأنت محتاج لآلاف الأمتار ؟
- ويضحك الزميل الكهربائى :
- يا أخى المخزن مليون أسلاك .
- وكيف ستحصل عليها ؟
- ده شغلى بقى .
- ويذهب فى نفس الساعة الى ملاحظ ماكينة الكهرباء ويعرض عليه اتفاقا من بند واحد . أن يستعمل اسلاك الكهرباء التى فى عهده لتوصيل الكهرباء الى موقع العمل ، وبعد الانتهاء من عملية مد مواسير المياه ، يتعهد باعادة الأسلاك ويلفها على البكرة كما كانت . ثم يقول ضاحكا :
- هذا والا . .
- ويرد الملاحظ :
- لا يا عم . . موافق . . كفاية حكاية البراميل .
- وعند عودتنا الى السجن يستقبلنا الزميل أحمد خضر « العامل النقابى » ورئيس الطهارة فى السجن عند الباب قائلا :
- تنصورونا راح تنغدوا آيه النهاردة ؟
- راج يكون آيه يعنى ؟ . عدس أو فول ؟
- وحجبه الهداء العادية فى السجن . . وأما فول . أو كما كنا نطلق على العدس اسم « العدس المزلط » أن العدس المملوء زلطا ، وعلى الفول اسم « السوس الفول » . .
- طب واذا أكلتوا طبيخ . .
- طبيخ !
- طبيخ !
- وده معقول ؟

- واذا حصل ؟
- ويندفع الزميل مسئول « الحياة العامة » أعطيك علبة سجائر هوليود
- لارج ؟
- لا .. صغيرة ..
- راح تتغدوا .. فاصوليا بالدمعة وأرز وطبعا لحمه ..
- لحمه وفاصوليا ورز .. مرة واحدة ..
- ده حلم ولا علم يا ولاد ..
- ويقف أحمد خضر على أطراف أصابعه في محاولة يائسة ليكون رأسه على ارتفاع معقول ، فهو قصير وبدين ، ويقول بصوته المرسع ولسانه الأدغ :
- يا زمبل أنا لا « أعلف » .. أعرف .. المستحيل ..
- ويرد عليه الزملاء .. عالفين « يعنى عارفين » ..
- وأضحك مع الزملاء .. ويقول أحمد خضر :
- طب وانت بنضحك ليه با درش .. الحال من بعضه ..
- الأدغ صحيح .. لكن طولك مرتين ..
- ويجرى الزملاء وراء أحمد خضر الذى يعطى كل زميل نصيبه من اللحمه والفاصوليا والرز . كله على بعضه فكل زمبل لا يملك غير قروانه واحدة يستخدمها فى الأكل وفى شرب الشاى وعند الاستحمام ، بل وفى نقل الرمال من الأرض الى « الفقة » أثناء العمل فى الموقع عند عين المياه .
- بعد قليل يرتفع صوت أليف محبوب ننتظره دائما بعد كل وجبة طعام ..
- الشاى يا زملا .. الشاى ..
- ونجرى نحو نبع الشاى .. وتثور نفس المشكلة ..
- مستحبل أفرط فى نقطة ميه .. الميه دى علشان طابخ العشا
- يا أخى نجيب لك غيرها ..
- ويأتى صوت صلاح حافظ :
- يا زملا نضفوا القروانة بشوية رمل ..
- الشاى « يكرف » من ريحة الطبخ ..
- الرمل يضيق الريحة ؟
- على مسئوليتك ؟
- جرب .. لن نخسر كثيرا ..
- ويجرى الجميع الى أقرب مكان به رمال ساخنة ينظفون القروان ، ثم يعودون لأخذ الشاى .
- متى نشرب الشاى زى البقى آمين ؟
- منظر الشاى فى الكباية الزجاج .. رائع ..

- ليه طعم الشاي فى الكباية أحسن من الفنجان ؟
- فعلا .. ليه ؟

الجميع يوافقون ، ولكن لا أحد يعرف لماذا ؟

وننصرف لقضاء القيلولة فى الخيام . الاحساس بالراحة بعد العمل المضى ممتع . هؤلاء المتخمون بالراحة لا يحسون بها ، يمتصون دماء الكاچين ويشربون عرقهم وهم فى مكاتبهم المكيفة ، ويعقدون الصفقات وهم فى أسرتهم الوثيرة ، ويصرفون الآلاف على مواثد القمار دون أن يختلج عرق واحد من عروقهم . حتى عقولهم لا تعمل فقد استبدلوا بها أموالهم التى يشترون بها العقول كما يشترون الأبدان . يجب ألا ننام قبل أن نقرأ .. هذا ما تعودنا عليه . فهل نستطيع القراءة قبل نوم القيلولة ، وبعد هذا العمل المضى الذى قمنا به منذ فجر اليوم حتى الثانية عشر ظهرا ؟ امسكت بكتاب لأقرأ فيه وأنا ممدد على سريري الخشبي . ورغم جفاف مادة الكتاب فان ذهني كان يتجاوب معها بشكل غريب . هل يمكن ان يكون جسمي مهجودا الى هذا الحد ويظل الذهن متوقدا ؟ ورحت أستكشف ما فى داخلي ! أحس بأمان الى حد كبير بعد أقل من يومين من تواجدى فى هذا السجن . فما هو مصدره ؟ يبدو أن ارادة **التحدى** من أجل استمرار حياتنا بالعمل الجماعى ، فضلا عما نلاقه من معاملة انسانية من المأمور والضباط ، كل ذلك أبعد احتمالات تدبير **مؤامرة لاغتيالنا** . حتى لدغة « **الطريشة** » لم نعد نفكر فيها كثيرا . بل لقد كدنا ننسى خطرها تماما . حقا صوت الحياة هو الأقوى . وبقدر ما يرتفع صوت الحياة فى داخل الانسان بقدر ما يتوقد ذهنه وينشط حتى ولو كان جسمه مجهدا متعبا مكثودا .

أذكر أن عيني لم تغف أكثر من عشر دقائق ، قمت بعدها وقد دب النشاط فى جسمي الذى كان متعبا منذ أقل من ساعتين . نداء العمل . هذا هو أحد أشكال صوت الحياة التى قررنا ان ننبئها بسواعدنا الفنية . كان النداء .. دقائق رتيبة على جردل ماء تتوقف لحظة .. ثم تعود مرة أخرى ، . وما أن تنتوشت دقائق المرة الثالثة حتى تكون جميع الزملاء قد انتظموا فى طابور الزملاء ، الدماء على الشفاه ، والنحدى يفيض على الوجوه انسانية . كانت أرى كل الزملاء ، وأحس بهم ، من خلال ما أراه فى نفسي وأحسه . ما أنذا أراهم أكثر نشاطا وحيوية ، وأكثر احساسا بالأمان . أغلب الظن أن ما دار فى ذهني خلال فترة قيلولة الظهيرة هو نفس ما دار فى أذهانهم ، كانت هذه الوردية الثانية فى اليوم الثانى من وجودنا فى سجن الواحات التى تذهب من أجل جلب المياه . خلال سيرنا وجدنا الزميل الكهربائى ومعه

ملاحظ ماكينه الكيرباء ، و٤ مساجب يعملون فى مد أسلاك الكهرباء ، قال للزملاء الذين يحملون الكلوبات . .

– مفيس نقه فى كلامى والا أنه ؟ . .
ويرد ماسد المسدرة .

– أبدا . كلنا بقه . بس من باب الاحتياط . .

– على أى حال اطمئن . . راح تكملوا المشغل على نور الكهرباء . .
عندما تمتلىء نفس الانسان بالنفقه يصنع المعجزات ، النفقه فى النفس تمنح الانسان مدرة هائلة على العمل والخابق والابتكار . وهذا الذى أراه يجرى وأشارك فيه أكبر دليل على ذلك . لا أظن أن الذبن ألقوا بنسا فى هذا المكان من الصحراء البعيد عن الماء ، مصدر الحياه ، كانوا يحسبون أننا سوف نغلب على هذه المشكله وبهذه السرعة فى التفكير والتخطيط والتنفيذ .

الساعة تقترب من العاترة مساء والعمل لابزال مستمرا بسفس الحبوة والنشاط . . ونأهح من بعيد الوردية النالذه فى طريقها ابدا . نصبح صوت :

– الوردية النانبيه تسلم للوردية النالذه . .

وترتفع أصوات . .

– سنواصل العمل معهم . .

– لسه عندنا ما نعطيه . .

وتهتف أعماقى فى صمت : أبدا لن تتوقف عطاؤكم با إباء مصر البررة ومصريا أحنائى معطاءة ، أعطت للانسان مالم تعطه أى بلد آخر فو هذا الكوكب ، حكام مصر اليوم با أحنائى لا يعبرون عن وجهها ، فلا تكثرون لما يمعونه ضدكم . مصر الغد ، هى مصر الشعب وساطنه . هى مصر الكادحين والعارقين . انتم منلى ترونها فى الأفق ، البعيد القريب ، الحلم الأمل . ماهنقوا من الأعماق أن مصر قد أصبحت للشعب . لا أعرف كم مضى من الوقت حين توقف عن العمل وأخذت اتأمل وجوه زملائى وهم يعملون ولا أعرف أيضا كم من الوقت كانت تأملاتى ستستفرقه . . فقد جاعنى صوت ولیم اسحق الذى كان يقف الى جانبى دون أن أحس به . . بقول :

– اسمع يا درش أنا لازم أرسلك صورة بالزيت . .

– صبح يا ولیم . . ياربت ! لكن إبه المناسه ؟

– تقاطيع وجهك القوية المحددة تلهب فرشاتى . .

– دائما أسمع منك الحكاية دى . .

– لم أرها بمثل هذه القوة . . كما رأيتها منذ لحظة . .

– ليه بقى ؟ . .

– ما كان يدور فى أعماقك جسده تعبيرات وجهك .. تداخل فيها
هذا الضوء .. يا دين النبى .. يا عالم فرشاة وألوان .. راح أتجنن
وأجد ذراعى تحتضنه فى حنان .. والدموع تفر من عيني وأقول
له ..

– بس يسمحوا بالطرود .. وكل اللى أنت عاوزه راح ييجى .
وكالأطفال يصيح وليم :
– ده أنا أبقي ملك .

ومنذ ذلك اليوم ونحن نطلق على وليم اسحق اسم « ملك الصحراء »
صبحنا نناديه « ياهالك » وكثيرا ما كان يفضب اذا لم يناديه أحد
ذا الاسم الجديد . وكثيرون حتى بعد خروجه من السجن لا يعرفونه
باسم « الملك » .

ينتشر نور الفجر ونلمح الوردية الأولى فى اليوم الثالث قادمة إلى
قع العمل . أتربة كثيفة تثيرها أقدامهم السائرة فى نبات ، تغطى
سامهم وجوههم ولكنها لا تستطيع أخفاء تعبيرات اصرارها وتحديدها .
رتفع الصوت المألوف ..

– الوردية الأولى فى اليوم الثالث تستلم ..
وبصر بعض الزملاء فى الوردية الثانية والثالثة فى اليوم الثانى
فى الاستهزار ، لكن قائد العمل يرفض بشدة
– ان لأجسامكم عليكم حقا ..
– اسمعنى أنت .

– انا لا أبذل مجهودا جسمانيا مثلكم ..
– مهما يكن الأمر من حقا أن نستريح ..
– حسنا .. ساعدوكم ..

وبعد أن يسلم قيادة العمل الى أحد مساعديه . يسر الجميع نى
ب ومودة . وبدور حوار . يسأله أحد الزملاء :

– أبه رأيك .. راح نخلص فى الموعد المحدد ؟
– اذا سار العمل بالمعدل الحالى .. بناخر بومين .
– لكن .. لازم يخلص فى الموعد المحدد ..
– دى بقى مسألة ننومف ماي همكم
– سنضائف من نشاطنا ..
– لازم نبذل مجهود أكبر ..

ونصل الى خيامنا بعد حوالى ساعة من فجر اليوم الثالث لوجودنا
فى سجن جناح . نستلقى على الأسرة فى محاولة للنوم . ولكن يتوقف
ذهن عن العمل وهناك سؤال مطروح ، طرحته ظروف العمل فى الموقع .
يف يتم انجاز هذا العمل فى الموعد المحدد ؟

ويطرح هذا السؤال أسئلة أخرى : هل يكفي الحافز المعنوى ؟ وهل الوعى هو الشكل الوحيد للحافز المعنوى ، أم هناك أشكالاً أخرى ؟ وفى عمل مثل هذا الذى نقوم به ألا يمكن أن يكون الحافز المادى دافعا للعمل ؟

وفى مثل حالتنا هذه كيف نحدد الحافز المادى ، وما هى أشكاله ؟ وتستمر المنافسة أكثر من ساعتين لتنتهى الى صياغة محددة هى : الوعى بخطه العمل وأهدافها هو الأساس فى أى عمل جماعى ولصالح المجموع والعمل بروح الفريق ، لا تلغى المنافسة ، ويمكن أن يكون التنافس بين فريق وفريق ، والحافز المعنوى يمكن أن يتخذ أشكالا مختلفة ، مثلا : وسام للفريق الذى ينجز عملا أكبر ، أو شكر وتقدير يعلن شفاعة بعد انتهاء عمل الوردية ، ويمكن أن يكون أيضا وفى نفس الوقت حافزا ماديا ، مثلا : علبة سجائر للفريق المتفوق ، أو قطعة لحم زيادة لكل فرد منه .

وأحمل هذه الصياغة الى باقى الزملاء ، والى الأخوان المسلمين وبعد مناقشة يوافقون عليها بحماس ، وعند استلام الورديات من بعضها البعض فى نهاية كل يوم يعلن قائد العمل اسم الفريق المتفوق . أذكر أن أول فريق تفوق اقترح زميل أن يأخذ الفريق وسام مصطفى كامل . ووفق على الاقتراح عندما ارتفعت أصواتهم بنسبيد . . . بلادى . . . بلادى . لك حبي وفؤادى . وكان الحافز المادى هو علبة سجائر هوليود . أى أن نصيب كل زميل كان سيجارة واحدة حيث الفريق مؤلفا من عشرة ، وترتفع أصوات :

- راح تشرب سيجارة بحالها . .
- لا على ثلاث مرات . .
- برضه ما جاوبتنس على السؤال . .
- لا . . طبعاً . . معقول أشربها لوحدى ؟
- طب هات نفس . .

ويتجمع الزملاء حول حاملى السجائر . يختلسون بضعة دقائق ويجلسون جماعات . . جماعات . . ويخننون بلذة ومتمعة . . وتختلط الأصوات . .

- انت برضه راح تولع ثلث ؟
- أمال يعنى أولع السيجارة كلها . .
- يا أخى دحنا ستة .
- نصف سيجارة بس . .
- لا تكفى . . ولع السيجارة كلها . .
- وبكره أعمل آيه . . نفسى أشرب نفسين للصبح . .
- يا أخى اصرف ما فى الجيب . . يأتيك ما فى الغيب . .

- ده تفكير غير علمى يا زميل ..
 - يا أخى ماتزودهاش ..
 - يا الله ان شالله ما حد حوش ..
 - ويعودون الى العمل أكثر نشاطا وأكثر حيوية • وكل فريق يناضل
أجل الحصول على عتبة سجاير واحد الأوسمة • وتمر الأيام سريعا
ثم انجاز العمل فى موعده المحدد •
 - وكان مشهدا مثيرا • مشهد نزول الياء من الصنابير فى قلب الصحراء •
- أحكى لك عنه يا حبيبتي فى رسالتى المقبلة ،

٤ يوليو ١٩٧٧
القاهرة

الرسالة رقم (٢٧)

حبيبتي

كأنما كان الأمر اكسافا جيدا لم تعرفه البشرية من قبل • الماء يجري في مواسير أكثر من ٥ كيلو مترات وينزل من الصنابير • يا للسعادة ! نستطيع منذ هذه اللحظة أن نفتح الحنفية لينزل منها الماء ، نشرب ، ونستحم ، ونطبخ ونخبز منه ، بل ونستخدمه في رى قطعة أرض نزرعها • هل نزرع خضارا فقط أم نزرع بعض الأزهار والورود أيضا ؟

ويحور حوار طريف :

- طبعا خضار بس •• طماطم وخيار وجرجير وفجل وفول و •• و ••

- والفواكه ؟

- بطيخ وشمام ••

- وليه مش يرتقال كمان

ويضح الزملاء بالضحك •

- بتضحكوا ليه ؟

مرة أخرى يضحون بالضحك • ويرتبك الزميل ، وأخيرا يعرف سبب

الضحك :

- انت ناوى تقعد في السجن لغاية لما يطلع البرتقال ؟

ويرد الزميل في غضب •

- خلاص غلطت في البخارى ؟

كان هذا الزميل طيبا الى درجة تصل أحيانا الى حد البلاهة ، وكان

حسن النية الى درجة أنه يمكن أن يصدق أى كلام يقال له من زميل •

اليس زميلا ؟ وكانت له في نفس الوقت قدرات هائلة على خلق صداقات

مع أى انسان يلتقى به في الحى ، وفي الجامعة حيث كان طالبا ، وفي

الأندية المختلفة التى يتردد عليها ، وكان محبوبا من الجميع بنقون

به ثقة تامة ، ويعتمدون عليه في حل أى مشكلة تواجههم ••

وبحكى عنه الزملاء قصة طريفة ، حقيقية ، طلب منه مسئوله

يوما أن يجند بعض الفلاحين في بلدته ما دام يملك هذه القدرة على

خلق علاقات وصداقات • وجاءه في اليوم التالى مباشرة يزف اليه

خبر تجنيده أحد الفلاحين • واندعش مسئوله •• بهذه السرعة سافر

الزميل الى بلدته وعاد منها بعد أن جند فلاحا ؟ فسأله :

- أخفت تسافر البلد ونرجع ؟
- من مال اننى سافرت
- أمال الفلاح ده منين ..
- طالا بغي كليه الطب « جامعة نمؤاد »
- وضحك المسئول وقال :
- بأمول لك فلاح مش طالب ..
- فرد عليه ببراءة شديدة :
- طيب ما هو طالب فلاح ..
- والغريب أن هذا الزميل الذى يملك هذا الفدر من حسن النية ، والطيبة . يملك فى نفس الوقت دهاء يفنون دهاء الثعلب ، وذكاء حادا ، وذاكرة قادرة على حفظ أى شيء يمر بها ! كنا نكلمه بأخطر التكاليفات داخل السجن ، وإرسال واستلام الخطابات والتقارير المرسله ما والواردة الينا . كما كنا نسنعبن بذاكرته عندما يحتاج الى نص محدد مى مرجع محدد ! حتى بعض الإحصائيات التى تكون قد مرت عليه يعبد ذكرها بمدى اندده ، كذب أحبه كائن أكبر مما كنت أحبه كزميل . ليس فقط لصغر سنه فقد كان هناك زملاء فى مثل عمره . وكان هو أيضا بلجا الى لا بوصفى رملا له أو مستولا ، ولكن باحساس الابن .
- الحه مسنمرا مى الحوار ولكن لا أسمعه . بحرى نحوى وعلى وجهه غضب ، ويقول .
- أظ ده بى بيمى منتهى الرفاهية .
- أبه هو ؟
- يشير الى أحد الزملاء ، ويقول :
- عاوز بزرع ورد وزهور
- ورود وزهور بس ؟
- تزول بعض تعبيرات الغضب من وجهه :
- لا طبعاً . حضار كمان
- .. ريت أبه فضيلة ؟
- الما كنه ان احب نستفيد من الأرض والمـ راعئوس فى ررغ خضار
- علشان الأكل وبس ..
- طبعاً الأولوية للخضار ..
- ما كفاية الخضار .. آيه لزوم الورد ..
- برضه .. مفيد ..
- مفيد فى آيه .. بيتاكل ..
- لا له فوايد أخرى ؟ متعة جمالية مثل الموسيقى مثلا .
- بس بشرط ..

- مفهوم .. بشرط توفير كل احتياجاتنا من الخضار .. موافق ؟
 ويبتسم في هدوء .. ويعلن موافقته .. والطريف ان هذا الزميل كان
 أول من قام بزرع ورد وأزهار أمام الخيمة التي يسكن فيها . وكان
 يقف لحراسها طول وقت فراغه ، ويعهد بها الى زميل آخر عندما
 يكون مسغولاً في عمل بعيد عنها نظير ورده يعطيها له .
 الحركة لانهدأ عند صنابير المياه التي أتينا بها عبر الصحراء ،
 البعض بملاوون الجرادل وبذهبون بها الى المطبخ ، وآخرون الى المطبخ ،
 وبعضهم يسنح في الهواء الطلق ، فالعمل في الحمامات لم يبدأ بعد
 فما زلنا في انتظار الخزانات وطلبيات المياه التي وعدنا بها المأمور
 وقد سافر خصيصاً من أجل احضارها هي ولوازم أخرى . فجأة نسمع
 أصوات بعيدة تردد نسد : بلادي . بلادي . الصوت يقترب ، موكب
 من ست سيارات تتقدمهم سيارة المأمور البيك آب ، عربتان بهما زملاء
 يرددون النشيد ، و ٤ عربات لورى تحمل أشياء كثيرة لا ننبين منها
 سوى الصهاريج .

- ادن مدد نمد المأمور ما وعد به ..
 - ومن هؤلاء الزملاء .. ؟
 - أحكام حديدة بالأسغال النسامة ؟
 - ربما ولكن من .. ؟
 يصرخ أحد الزملاء ..
 - دول الزملاء اللي في سجن مصر ..
 - لكن دى أحكامهم سجن بس ..
 - لازم راح يلمونا كلنا على بعض .
 - دى تبقى مخالفه صريحة للقانون .
 - قانون أيه اللي أنت حاي نفول عليه ؟
 يقف العربات عند باب السجن . يجرى إليها الزملاء ، يستقبلون زملائهم
 بعد فراق سنوات . **مأمور السجن وضباطه وجنوده** يسلمونهم هذا
 المشهد الانساني في صمت .
 قوة اللحظة وعمق انسانياتها يمكن أن تحرك الجانب الانساني حتى
 عند أشرس البشر فما بالك ومعظم هؤلاء وعلى رأسهم المأمور قد أصبحوا
 شبه أصدقاء لنا .

بصوت ودود يقول المأمور :
 - انقو بقى مبسوطين بحضور زمايلكم .. والا بالصهاريج دى ..
 ويصيح الزملاء في وقت واحد :
 - الاتنين طبعاً ..
 - الخير على قدوم الواردين .. جيت لكم كميات هائلة من الطازود ..

وللتأكد يسألون :

- طرود أيه ..
- طرود من أهاليكم ..
- هایل « لازمة مجدى فهمى »
- عظيم « لازمة زكى مراد »
- مدهش « لازمة صلاح حافظ »
- آهو ده النسل « لازمة ملك الصحراء »
- رائح « لازمة محمد سطا »
- تمام « لازمة سعد ياسينى »

لم تهدأ حركة الاهالى منذ غادرنا ليمان طره الى سجن « جناح »
بالواحات الخارجة . كانوا يترددون يوميا على مصلحة السجون والمباحث
العامة برئاسة الجمهورية ودور الصحف والنقابات المهنية والعمالية ،
كتبوا مذكرات لكل المسئولين فى الدولة ، ووزعوا بشكل على بباينا على
الشعب عن ترحيلنا المفاجئ الى مكان ما فى الصحراء ، ورغم الوعود
التي أعطيت لهم بزيارتنا ، ورغم التصريح بالزيارة لروجة أحد المسجونين ،
فما زالوا ممنوعون من الزيارة . والطرود والخطابات لم يصرح بها .
وبحمل البيان فى حتامه مسئولية المؤامرة التي تدبر صدنا . ولما
وجد الاهالى بباطوا فى خندق مطالبهم دخل عدد منهم مصاحون السجون
وأعلنوا اعتصامهم واضرابهم عن الطعام حتى تجاب مطالبهم أو الموت مع
ذويهم الملقى بهم فى الصحراء . عرفنا هذا من الزملاء الذين أنوا الينا
من سجن مصر .

وحين نسكر ماهور السجن على جهوده التي كللت بالنجاح فى مصلحة
السجون ، نمول بنواصع .

- النسكر لأهاليكم .. دول حقيقي أبطال .. همه اللى حلوا المسئولين
يقتنعوا بمطالبكم . كل الى عملته أئى ومفت الى حادب هذه المطالب .
- وينجيه المأمور الى داخل السجن وبرى خنفيات الباب . فيصبح فرحا .
- والله أبطال

- والطلمبات .. تحت فى موء ..

- طيب بالله بقى علسان تستلموا الطرود

بعض الزملاء همسى فى بيات نحو مكتب المأمور ، فهم يتقون بأن
لهم طرودا .. والبعض الآخر يقدم رجلا وبؤخر رجلا ، ترى هل
عندهم فائض كى برسلاوا طرودا ؟ . وبافى الزملاء لم يكاف نفسه عناء
الذهاب ، ان أهله لا بملكون قوت يومهم فمن أين بانوا اليه باحتياجه ؟
ومع أن نظام « الحياة العامة » يصادر كل ما يأتى الى الزملاء من
طعام وسجائر ونقود ويوزعها على الجميع بالتساوى ، لا فرق بين الزميل

المقتدر وبين الزميل المعدم ، الا أن مجرد وصول أى شىء مهما صغرت قيمته للمسحون دافع معنوياته الى حد لا يمكن تصوّره . مرات كثيرة رأيت فيها زملاء لم تصلهم طرودا أو نقودا ، فى عيونهم حزن وأسى . لانستطيع ابتسامانهم المفتلة أن تخفيها . ربما كنت أكثر احساسا من غدرى بهؤلاء الزملاء . فقد كنت - فى أغلب الأحيان - واحدا منهم . كان الضابط ينادى على أسماء أصحاب الطرود ، بينما كنت أضع يدى على قلبى . خوفا على نفسى ، وعلى عدد من الزملاء أعرفهم جميعا . هذه أول مرة برسل لنا فيها الاهالى طرودا . والذى لا يصله طرد فى هذه المرة بالذات سوف يأخذ عقله ويعطى ، ترى هل أصابهم مكروه ؟ هل يئسوا من عودته فقرروا أن يقطعوا صلتهم به ؟ الى هذا الحد وصلت حالتهم التى لم نمكنهم من ارسال حنى عليه سجاير ؟ أوزان الطرود يبدأ أكبرها ما يزيد عن ٢٠ كيلو جرام ولا يزيد أصغرها عن ٢ كيلو جرام والمحذوبات أيضا مختلفة ، فى بعضها « مارون جلاسيه » وفى بعضها الآخر « حرنكش » ! و « الحرنكش » عبارة عن خلاوة مصنوعة من بقايا العسل الاسود ، و « المارون جلاسيه » - كما أظن - أبو فروه مكسوة بالشكولاته !

وأسمع اسمى ، ويسمع كل الزملاء دون استثناء اسماءهم . حمل كل زميل طرده وهو سعيد غاية السعادة . الجميع سعداء لكن الأكثر سعادة كانوا أصحاب الطرود الصغيرة فى حجمها وفى قيمتها ، ذهبوا جميعا بها الى مسئول « الحياة العامة » . ليتولى مصادرتها لصالح الجميع بالمساواة الكاملة . وكان يوما منسهودا ، كان موعد الغذاء قد حل . وحين سمع الزملاء نداء الغذاء المعتادة ذهبوا اليه متكاسلين ، متباطئين . يأخذون نصيبهم من الطبخ والارز واللحم . حين لا يسمع الزميل أحمد خضر التحيات والتقديرىات المعتادة لطبخه ، يصيح بصوته المسرّس :

- آيه يا زملا .. بطاطس ولحمة ورز .. مش عاجبكم ؟
- لا يسمع أى مديح . بل ولا ردا على سؤاله .
- أطبخ لكم بفتيك .. ميلبه .. لحم بارد ؟
- ثم يصرخ بغضب ..
- شىء بارد صحيح ..
- ويجزى حوار طريف :
- يا أحمد وأنت مالك بس
- آمال مين اللى ماله .. مش أنا مسئول الطبخ ؟
- وحد قالك حاجة
- آمال مالكو متيسين ليه ؟

- يا أخى أفهم بقى ..
- أفهم أيه ؟
- سفيه طرود وصلت النهاردة ..
- وأنا فى المطبخ .. ولا دارى .. وأنا جالى طرد
- طبعاً .. واستلمناه ..
- طيب أعرف فيه أيه ؟
- روح لمسئول الحياة العامة .
- ويجى أحده خضر الى مسئول الحياة العامة تاركاً جرادل الطبيب والأرز واللحمة ، والمغرفة ما زالت فى يده ليعرف ماذا أرسل اليه أهله !
- وترتفع أصوات دقات الملاءق على القروان .
- تك ، تك ، تك .. تك ، تك ، تك ..
- ويأتى اليهم صوت مسئول الحياة العامة .
- طيب يازملا .. طيب .. عارف طلباتكم .
- ويخرج من خيمته كالطاووس يتبعه ثلاث زملاء ، ويحمل الأربعة غطيان جرادل « وعليها ما لى وطاب مما أرسله الأهالى فى طرود اليوم
- بفتيك .. !
- فيليه ..
- فراخ ..
- ديك رومى مرة واحدة .
- والله عمرى ما كلته ..
- والفيليه دى لجه مشوية ولا محمرة ؟
- مشوية يا بنى آدم ..
- اتمدنوا بقى ..
- والبفتيك بالردة والا بالدقيق ..
- يا جدع بالبقسماط المجروش ..
- والله راحت عليك يا أحمد يا خضر ..
- ويصرخ أحمد خضر . ويلقى محاضرة :
- يازملا انتو بتفكروا بطريقة آنية . استراتيجيا بقى أنا اللي اكسب .
- ذكروا أن الطرود إن زلتهم كلاً منهم . وكمان مش راح تيجى كل محتوياتها دى .
- الأول مرة بيعت فيها الأهالى طرود بعد ما جينا هنا فى الأسر . وطبعاً أنه ..
- وتقاطعت دقات الملاءق على القروان :
- تك ، تك تك .. تك ، تك ، تك ..
- ويستطرد أحمد خضر :
- أنا بقى عمرى ما تهمنى المقاطعة .. أنا بقى فى النقابة لما كنت

أخطب .. ويقاطع مرة أخرى :

- تك ، تك ، تك .. تك ، تك ، تك ..

- النفازيون الصفر .. كانوا بيقاطعونى زيكو كده ..

ومرة ثالثة :

- تك ، تك ، تك .. تك ، تك ، تك ..

ويقول مسئول الحياة العامة :

- يا أحمد دول من بيقاطعوك ولا حاجة ..

ويحتج أحمد ويقول غاضبا :

- ازاي بقى من بيقاطعونى .. انا احجج .. آيه رأبكو يازملا ؟

ومرة رابعة :

- تك ، تك ، تك .. تك ، تك ، تك ..

ويخرج مسئول الحياة العامة . مرة ثانية ، يتبعه ثلاث زملاء ، يحملون المأكهة .

- تفاح

- منجى

برقوق ..

- والله الحبسه أحلوت

- نعمة يصونها من الزوال ..

- اللهم ما أجعله خير .. عبنى بتصرف ..

وترتفع أصوات بعض الزملاء .. عبنى بتصرف يا حبة عبنى ، باللى حرمت النجوم من عبنى . خير ان نساء الله . والله ما كان على بالى دا كله .

وبينما يتوجه الزملاء لغسل أيديهم وقرواناتهم لأول مرة من الحنفيات ودون مشاكل مع أحمد خضر مسئول الطببخ يعلو صوت يقول :

- خبر هام يا زملا .. كل واحد بستنى مكانه ..

ويعلن مسئول الحياة العامة .

- ابتداء من اليوم .. فيه نساى زيادة الساعة خمسة .

- فايف أو كلك تى .. يا عبنى ولسه .

وينصرف الجميع الى خبمهم لقضاء قيلولة الظهيرة . واستلقى على سريرى الخشبي . كنت حزينا رغم كل ما عشته من مرح خلال الساعات الأخيرة وكنت قلقا لسبب لا أدري مصدره على وجه التحديد ، رغم الانفراج الذى حدث فى السجن .

وكانت وقته تأمل مع النفس .. تستحق أن أخصص لها رسالتي المقبلة ، مالى اللقاء يا حبيبتي ..

٥ يوليو ١٩٧٧

القاهرة

الرسالة رقم (٢٨)

حبيبتي

مي بمص الاحيان يعلو في داخل الانسان صوب أموى من كل الأصوات،
بالاح ، ذف لحظه تأمل مع نفسك • ولقد شهدت سنوات عمرى منذ
شبابى عددا من هذه اللحظات النى أحدثت كلها انعطافا حاسما فى
حياتى على المستويين العام والخاص • قبل أن أدخل السجن ، وخلال ،
وبعد خروجى منه ، كانت اللحظة التى حدثت عنها فى رسالتى السابقة
واحده منها • « أرى فى عينيك الرغبة فى حديث عن كل تلك اللحظات •
أعدك فى رسائل مقبلة ، ودعيني أحدثك عن هذه اللحظة بالذات ، لحظة
دهابى لفضاء فيلولة ذلك اليوم الذى شهد استلامنا جميعا طرود طعام
وسجائر وحلوى وفاكهة من أهالينا •

قبل أن نستلقى على أسرتنا الخسبية ، وفى حركة تلقائية ، أخذنا
جميعا نأمل بفرح الملابس النى وصلتنا فى الطرود ، وتوالى التعليقات:
« مجدى فهمى - أمى هية اللى وصلت لى الببجامة دى •

- وعرفت ازاي يا مجدى ؟

- ودى محتاجة لذكاء ••

بضحك بحب وحنان ويستطرد :

- سوف واسعة ازاي ••

« سعد باسيلى » - سوف ببجامنى •• آخر تمام

- طبعا شغل معلمين ••

- ده تخصص با أستاذ ••

« فنزة أحت سعد باسيلى اضطرناها الظروف بعد سجن أخيها الى احتراف
الخياطة »

« مصطفى : بال خليل » - والله ساططه هراتى - عملية جدا •• سوف

•• امه •• « شة مجرى مجبور »

- أنا النى شسها ارأى تفصل الهدوم ••

- لك حق ما انت بناع كله •

ويستمر الحوار ، لم يكن حوارا بين الزملاء ، وإنما كان حوار بينهم
وبين أهاليهم • وأدرك سبب النداء الذى يلح فى داخلى • قف مع نفسك
لحظة تأمل • الحوار مع الحياة يجرى من خلال قنوات عديدة ومتنوعة.

عامّة وخاصة ، ومع أنّه لا انفصال بين العام والخاص .. الا اننى كنت فى حاجة ملحّة لحوار من خلال قناة خاصّة جدا . هذا الحوار الخاص الذى يحرى تلقائيا منذ لحظات بين الزملاء ، وبين أهاليهم يؤكد هذه الحُبّة لكننى أحاور من ؟ لو ان زوجتى « ميمى » هى التى أرسلت لى هذه البيجامة - وان كانت جاهزة - لخلفت بعض كلمات للحوار . أخى مسعد - رحمه الله - هو الذى أرسلها وليسب « ميمى » ، فهو لم يكتب لى سبباً عنها وعن أخبارها .. الحوار مع أخى مسعد متصل ولكنه حوار عام وأنا فى حاجة الى حوار خاص .. خاص جدا . لو كانت أمى ما زالت على قيد الحياة ، لظل حوارنا متصلا متجددا . ماتت فى النصف الثانى من الأربعينات بين ذراعى ، وكانت كلماتها الأخيرة لى . « خد بالك من مسعد » ما زلت أتذكر حوارا قصيرا معها بالكلمة والحرف ، كنت من وجهة نظرها أحسن أخوتى « حنين » مالوش مطالب . لا يحب المشاكل ، لكنها كانت تعجب لأمرى وهى ترانى أعرض نفسى للخطر . قالت لى فى حنان :

- هو انتو يا ابنى فد الحكومة والانجليز ؟
- فدها وأكثر كمان .
- ازاي يا ابنى .. دا انتو غلابة ؟
- ما هو سعد زغلول « باشا » بالغلابة دول عمل حاجات كبيرة للبلد
- يعنى انت يا ابنى راح تبفى زى سعد باشا ..
- أضمها بين ذراعى وأقول لها بابتسامة :
- ولييه لا .. ؟
- وبقبلنى بكل حنان الأم ، وتقول :
- ربنا ينصركم يا ابنى .
- وأخنى الوحيدة - رحمه الله - هى التى بترت بسكين حاد حوارا كان بيننا حين طلبت منى أن أخرج بأى ثمن حنى تشفى من مرضها . فقد قال لها الأطباء أن مرضها حدث نتيجة صدمة اعتقالى ، وخروجى سبحت لها صدمة أخرى تسفيتها من المرض .
- لا أستطيع أن أتصور با حبيبتي المدي العميق ، الغنى ، المتجدد لحوارنا المتصل لو أننا التقينا قبل ١٨ يوليو عام ١٩٥٢ ، ولو ببوم واحد . أو لحظه واحدة ، ربما كان لفاؤنا القصير هذا نواه لتجربة حب عظيمة ، وربما كان بداية لصداقه وطبده ، لكنك يا حبيبتي كنت ما تزالين « فى المهد صبية » !
- أحيانا .. وخلال مسيرة النضال الطويلة مع مجدى فهمى ، كنت أعجز أحيانا عن رؤية العالم بوضوح ، وكان مجدى يقول :
- أنت فى حاجة الى تجربة حب حقيقية .

- لماذا ؟

- قدراتك على الابداع والخلو تنضاعف عشرات المرات من خلال علاقة خاصة جدا .

لم أكن أدرك عمق هذه الكلمات التي سمعتها من مجدى فهمى مرات عديدة خلال أكثر من عشرين عاما . عرفت مفزاها وعمقها ، ودلالاتها خلال هذه الايام فقط . أنت فاسية يا حبيبتي .. لماذا لم ذات الى هذا العالم مبكرا ؟

كان السبب المباشر لحالتي النفسية فى تلك اللحظة البعيدة التى عشتها فى قلب الصحرى منذ ما يقرب من العشرين عاما . هو اننى لم نعد لى علاقة خاصة ، أمى ماتت ، واختى بقرت حوارنا ، وروجنى « ميمى » استسلمت لضغط ظروفها . هكذا فقدت حنان الأم ، والأخت ، والزوجة . وليس لى صديقة أو حبيبة . حتى أخوتى - عدا مسعد ولم يكن قد تزوج بعد - انصرفوا جميعا عنى . وكان يمكن أن أجسد عند زوجاتهم ، أو احداهن ، عطفًا برطب ملبلا من الجفاف الذى أعانيه .

لم بعد هناك أى مبرر لاستمرار علاقات وهمية بعد أن فقدت كل مفوماتها ، فالعلاقات الزوجية ، وحتى علاقات الدم ، لا يمكن أن تستمر ، وبالنسبة لى لا نصر عليها ، ما دامت قد فسد . ربات بقاءها ، واستمرارها . وأحسست بهوء نفسى بعد اتخاذ هذا القرار .

الأصدقاء الذين منى ، وكل من تربطنى بهم علاقة خاصة يرون ان تعديرات وجهى تكشف بوضوح عما يدور بداخلى ، ويبدو أن مجدى فهمى وكان مستلما على سريره بحوارى يتابع فى صمت انفعالاتى الداخلية التى يعكسها وجهى . فال وابتسامه ودودة تكسو وجهه :

- عاوزين نقعد فعده النهاردة

- انا محتاج قوى لهذه القعدة

- باريدك نكون ما اتخديش قرار

- خى لو حصل .. ممكن المراجع عنه بعد المناقشة .. انت مش

عارف الحكاية دى يا مجدى ؟

ولا يستغرفى حديثنا أكبر من نصف ساعة لننمى الى القرار نفسه . أكبر الحديث الك بغيرى ، حتى « كيع النعيم » الحوار المتصل هو جوهر كل الاوقات .. . المشاهدة .. . وسوفنا الحديث الى تقييم انسامه مشنركه صدر ما نسمو وسطور ، وبسوفنا الحديث الى تقييم تجربة علاقتنا التى لم يكن قد مضى عليها أكثر من أربع سنوات . وننتق على أن هذه العلاقة وان بدأت مجرد علاقة نضال ، الا انها تطورت بسرعة هائلة الى علاقة صداقة قوية ، حيث يجمع بيننا التكوين الانسانى المشترك .

واليوم - بعد أكثر من ٢٦ عاما - منذ التقيت بمجدي فهمي نصل صداقتنا الى أروع وأعظم ما يمكن أن تصل اليه صداقة . انها تجربة عظيمة تستحق أن تسجل في عمل كبير ، فأبعادها العميقة في نفسينا التي اكتسبناها ليس فقط من خلال الاتفاق الفكري والوجداني ، والنظرة الانسانية المشتركة ، ولكن أيضا من خلال صمودها لمحاولات لم تتوقف - وللأسف من زملاء - لضربها أو النيل منها . محاولات وصل بعضها الى درجة من النحني تفنسر لها الابدان . وعينا راحت كل محاولات الأصحاء ، والأعداء لقتال من صداقتنا الوطيدة . ما أروع العلاقة الانسانية حين تتحول الى تجربة حية ، من خلالها يستطيع الانسان ، ان يفكر بذهن صاف ، وأن يخلق ويبدع ويبنكر .

ونفصرف سويا وقد تشابكت ايدينا نردد في صمت قسم المحافظة على تجربتنا الفريدة كما نحافظ على حبات عبوننا . وفي الصباح ففاجأ بجلسة انسانية رائعة مع أم مجدي فهمي وأخت سعد باسيلي ، أحكى لك عنها في الرسالة المقبلة . باحبيتي

٨ يوليو ١٩٧٧
القاهرة

الرسالة رقم (٢٩)

حبيبتي

كان لوفقتي مع نفسي بم حوارى مع **مجدى فهمى** أترعما المصطفى
وجدانى . لقد نفقت عن نفسي أو هام علاقات زوجية وعائلة كنت متعلفا
بها سنوات طويلة منذ دخلت السجن . وبدأت مرحلة جديدة من رحلة
علاقاتي الانسانية خلال سنوات سجنى . حقا لقد كانت علاماتي بكل
من التقيت به من الزملاء ، وعدد كبير من الاخوان المسلمين ومن المسجونين
العاديين تنسم بطابعها الانسانى ، لكنها كانت لا يمكن أن تكون البديل
للعلاقات الانسانية الخاصة مع الأم . أو الأخت ، أو الزوجة ، ربما كانت
العلاقات الزوجية أو علاقة الدم مع المرأة هي أكثر العلامات الانسانية
التي يجد فيها الرجل ، وبصفة خاصة المسجون لسات الحنان . ولكن
إذا نوسرت كل الظروف التي نوفرها مثل هذه العلاقات عند أم صديق ،
أو زوجته ، أو أخيه . ألا يمكن أن نكون بديلا لعلامه الزواج أو الدم ؟
كان هذا السؤال بلح على ، يطلب اجابة تطبيقية للاجابة النظرية التي
تقول : نعم . . يمكن . فما العلامات الانسانية بجوانبها المختلفة الا
توافق عاطفى ووجدانى . جسده الظروف الموضوعية المناسبة .

وتنساء الصدقه - وكثيره هي الصدق التي لعبت في حياتي دورا هاما -
أن تعطيني الاجابه العملية المؤسده للفكرة النظرية .

كانت الساعة لانجاوز المائنة عسر ظهر يوم بعد في **سجن «جناح»**
بالواحات الخارجة . عربية تقف على باب السجن الخارجى . ومن بعيد
نلمح **ثلاث سيدات ينزلن من العربيه** . نساء في قلب الصحراء ؟ من هن ؟
وكيف وصلن الى هنا ، ويحرى الزملاء الى هناك . جرب بعدهم بقليل ،
لاجد نفسي بين أحضان **أم مجدى فهمى** ، نميلنى بحنان بالغ . حنان
الأم الذى فقدته منذ سنوات بعيدة . ثم تقبلنى زوجة أخ مجدى فهمى
ثم شقيقة **سعد باسيلي** . ويصبح مجدى فهمى . .

- هايلى با أمى ازاي عرفتى تبجى ؟

ونقول بنبات وثقة :

- وانت ازاي جيت ؟

وبلقت مجدى الى زوجة اخيه :

- مدعشة يا «بدرية» وصلنوا ازاي ؟

وتحتضنه (بدربه) بخنان كبير ..
 - زى ما وصلت انت ..
 والفت الى فتنه - أخت سعد باسيلي -
 - حمد الله على السلامة يا « فتنة » .. ازى سكرى .. (سقيى سعد باسيلي)
 وأرى دموعا فى عينيها وتقول :
 - سكرى مى سجن مصر •
 - من امتى ؟
 - بقاله تهرين ..
 لم يكن لسكرى أى علاقة بالتنظيم • وكان من العناصر التى يطلق عليها لفظ « باطجى » وكثيرا ما كان يسبب مشاكل لأخيه سعد باسيلي قبل دخوله السجن • فما الذى حدث له ؟ متى ؟ وكيف ؟ ويفتح صوت « فتنة » تأملاتى :
 - سكرى موجود فى مستشفى السجن •
 - ليه ؟
 - حاول الهرب ، قفز من الدور الثالث لما جه البوليس ، انكسرت رجله ..
 - ومسكوه فى الحال طبعا ؟
 - أبداً فضل يجرى وهمه وراه ومسكوه •
 - ولا بهمك يا فتنة ..

وتلفتت حولها .. تبحث عن أخيها .. كل من تعرفهم حولها ، يسلمون عليها ويتحدثون معها وأصبح بأعلى صوتى وبغضب :
 - فين سعد يازملا هو ما عرفش والا آيه ؟

والحـه من بعيد يأتى الينا على مهل • كان سعد باسيلي يمثل لنا مشكلة بالغة التعقيد • من رأيـه أنه لا مكان للمواطن الإنسانية فى نفس المناضل ، فهى تقيض الصفات الأساسية التى يجب أن تتوفر عند كل المناضلين والغريب أنه هو نفسه يحمل فى داخله كل كنوز الإنسان العاطفية والوجدانية ، ولكنه كان يكبتها بقسوة وعنف عند كل محاولة لإبرازها • عندما كان وجهه - الناصع البياض - يجرى فيه الدم ويصبح شديد الحمرة ، نعرف أن معركة ضارية تجرى فى أعماقه • كانت عواطفه تنتصر دائما ، ولكنه لا يعترف أبدا بلسانه • كان لسانه يقول شيئا ، وكان وجهه يقول شيئا آخر • وجسد لقائمه باخته التى عانت من مسقة طريق قطعنه فى ٤٨ ساعة ، والتى بذلت جهدا خرافيا من أجل الحصول على اذن لزيارة أخوها الذى ألفوا به فى الصحراء منذ أكثر من شهر - جسد صورته بشكل واضح • رآته من بعيد يسير نحوها فى خطوات منتظمة - لم تنتظر وصوله وجرت اليه لتلتقى به داخل السجن •

- أهلا بافتنه حمدله على السلامة ..
يده ممدوده للسلام عليها بطريقة تقليدية تماما . وعسا تروح كل
محاولات سفيقته للحصول على قبله منه . كانت حمرة وجهه برداد عند كل
محاوله تقوم بها المسكينة لاحتصانه وتقبله . صاح الرملا، الدن كانوا
يراعبون هذا المشهد . وهم بصفتون بأيديهم ..
- سعد باسيلي .. سعد باسيلي .. أعينى معاك وأطلع من دينى ..
يا سعد باسيلي .. يا سعد باسيلي ..
كان نتيدا كتب كلماته الساخرة عبد الرحمن الخميسى ، ولهدا النسييد
فصة طريفة .
ذات يوم عام ١٩٥٣ في سجن مصر كان عبد الرحمن الخميسى ينتظر
زيارة زوجته له - لا أذكر ترتيبها في قائمه زواجه - لكنها لم تحضر .
وكان حزن الخميسى - ربما لطبيعته كفنان - بالغ الى الحد الذى جعلنى
افترج عليه أن يقضى الليلة في زانزانتي وهدنا بلاله من الزملاء
ببهم سعد باسيلي والزميلان الآخران كانا سعد زهران ووجدى فهمى .
وعندما أغلق السجن باب الزنزانة ، وعندما بدأنا فى الاعداد لعشاء سهى
من السمك واللحم والحسى الذى جاءت به أم مجدى فهمى وزوجة سعد زهران،
عال الخميسى بحسرة وألم :
- كان نفسى فى السمك الذى بتعمله مراتى ..
ويبتسم سعد زهران بانسانية ونفول ..
- معلش يا عبد الرحمن .. ده سمك كودس بتعمله سمعه ..
ويرد الخميسى :
- لاده كان السمك الذى جابلى من بور سعيد .. طازج ..
ويندخل سعد باسيلي :
- أبه معنى الفرق بين سمك القاهرة وسمك بور سعيد
- لا فيه مروق طبعاً يا سعد ..
وبقول سعد باسيلي بامنعاض ..
- أهه! .. كل الحكاية ان التهمى عاوز ناكل من سمك مرانه ..
ويصبح الخميسى بصونه الجيورى ..
- أيوه يا سعد .. السمك الذى بتعمله مراتى له طعم خاص .
ويرد عليه سعد بثبات :
- طعم خاص عندك انت بس .
ويعلو صوت الخميسى :
- طبعاً عندى بس .. أمال عند الجماهير كلها !
ويشعر سعد باسيلي بان « الجماهير » قد أهينت ميهب للدماغ عنها !
- بس ماليكش دعوة بالجماهير ..

ويحتد صوت الخميسي :

- هو أنت يا أخى وصى عليها ..

كنت أنا وسعد زهران ومجدى فهمى ، نرقب الحوار فى صمت ونبتسم
بين الحين والحين . التفت الينا الخميسى وصاح فينا :

- الله اثنوا واقمى على الحباد .. استركوا معانا فى المناقشة .

أوجه حدينى لسعد زهران .

- آيه يا سعد ما نقول رأبك

يرد ضاحكا ..

- لا يا عم قول أنت .. أنا خايف ..

وأقول لمجدى فهمى ..

- طيب انكلم انت يا مجدى ..

ويضحك نائلا ..

- انت عارف .. أنا مس فداى ..

ويلتفت الى الخميسى وينسأل ..

- آيه الحكاية .. طيب قول أنت ..

وأقول ضاحكا ..

- وهل يجدى القول ؟

ونضحك جميعا ، ويساركنا سعد بأسبلى الضحك لكن نظراته تنطق
بأننا جميعا ، ناس « خرعين » ! يستجيبون لعواطفهم . ونبدأ فى
تناول العشاء أربعة زملاء يريدون « المفضضة » حول أكلة شهية صنعتها
أم أو زوجة أو أخت ! لكن خامسهم يفرض عليهم اربعاه ، بين الحين
والحين تقرض روح المقاومة والتحدى نفسها :

- آيه رأيك بادرش فى السمك ده ..

- سميلة ساطرة فى عمل السمك ..

- بذهتك مس أحسن من سمك اسكندرية ؟

ويصبح سعد بأسبلى ..

- أبوه كده اكشفوا عن نفسكم .. كنتم بتروحوا اسكندرية عاشان
تاكلوا سمك .

بمسكنة بقول سعد زهران :

- وفيها آيه يا سعد ؟

ويرد سعد بأسبلى ..

- طبعا فى أبو فبر .. مس كده ؟

وأقول :

- أبدا والله يا سعد .. عند الزميل « خالد »

ويلقى بسخرية :

– بيا عيني يا عيني على القيادة ..
يسقط في ايدينا ، ولا نعلو . وننهي من تناول العشاء وقد فتحنا
جزءا أساسيا من لفته ، لدة الحديث عن الذين صنعوه . ثم جاءوا به
الينا في السجن .

بقوم سعد باسيلي باعداد الساي ببما بنصرف عبدالرحمن الخميسي
للكتابة ، وأنصرف أنا وسعد زهران ومجدي لحديث هامس عن الزيارة حتى
لا يسمعا سعد باسيلي فيكرر اتهاماته لنا . وبينما نحن نتناول
الشاي يجدا عبد الرحمن الخميسي في قراءه قصيدة مطلعها :
انسي انتظرت صبيحة الاثنين
أن تخضري أزهارتي باعيني

لكن مضي يومي ولم يخرجني
من قبضة الزنزانة السجن
سادنا الصمت احتراماً للمعاني الإنسانية في قصيدة الخميسي وهو يتنزل
في زوجته ، بينما يتلمظ سعد باسيلي غيظا ، بقاوم بعنف كلمات
على لسانه ، وما أن ينتهي الخميسي من القاء قصيدته حتى ينفجر
سعد باسيلي .

– بقي دي .. روح مناضل ..
ولا نملك سوى الضحك بصوت عال وزرد وراء الخميسي كلماته الطريفة ..
– سعد باسيلي .. سعد باسيلي أعيس معاك وأطلع من ديني يا سعد
باسيلي ياسعد باسيلي .
وينظر عو الينا في اسفاق وحسرة على « مناصلين آخر الزمن ،
ولاد الكاب المفقين » !!
ولقد كانت شخصيه سعد باسيلي محل حوار ومنامسة بيننا في
مناسبات مختلفه ، وكنا دائما نقف حائرين امامها . أنت لا تستطيع
الا أن تحذرم بكل الاكبار والاعزاز روح النضال عنده واستعداده للتضحية بحياته
من أجل ما يؤمن به . لكنه بفوم بكل هذا البكترونا ، على الرغم من
تكوينه الداخلي الانساني .

ربما كانت في حياته تجربه عاطفيه فاشلة ؟
هذا ما كان يرجحه الدكتور فؤاد مرسى عندما كنا نناقش هذه المشكله
عند سعد باسيلي ، فهو لا يعترف بأى علاقة عاطفيه أو حسية . وموقفه
من المراه يصل الى أقصى درجات التخلف . وكان السؤال المطروح دائما ،
كيف يستطيع انسان أن يجمع بين فكر سياسي تقدمي وبين رأى رجعي
في المرأة ؟ ولقد فشلت كل محاولتنا لمعرفة سر هذا الموقف ، ومازال هذا
السر ملكا لصاحبه حتى الآن .

وأعود بك يا حبيبتي الى أول زيارة لنا في الواحات الخارجية .
والدة مجدى فهمى وبدرية زوجة أخيه مصطفى ، وفتنة أخت سعد
باسيلي يحيط بهما الزملاء . كل زميل يريد أن يعرف أخبار أهله
ونديه ، وكانت الزائرات يملكن حصله هائلة من أخبار العائلات ، فهذه
خطابات ، وهذه طرود جئت بها . وهذه مشاكل مطلوب حلها كلمت والدة
مجدى فهمى بمنافستها مع أصحابها . نقول لمجدى :

- يا مجدى عاوزة ملان وفلان و ..

- ليه يا والدتي ؟

- وأنت مالك .. عاوزة اتكلم معاها .

- آيه يعنى يا أمى . أسرار .

- أيوه أسرار .

وينادى مجدى فهمى على الزملاء المطلوبين ، وننحى الأم جانباً بكل
زميل ويتهاوسان ، حتى كاد انهيار أن بصرم . ويقول مجدى صاحكا ..
- وأنا يا أمى متراح ييجى على الدور ؟
- بكره كله علسانك ..

اليوم ، وبكره ، يومان بطولهما زيارة سجن . وكيف كان ذلك ؟ فى
السجون الأخرى تنم الزيارة بطريقتين . الأولى يطلق عليها اسم
الزيارة العادية ، وهى تتم من خلال حائطين من الأسلاك يفصل بينهما
مقران على الأمل . يقف الزوار فى جانب ، والمسجون على الجانب الآخر .
وحين يفتح باب الزوار ، تنطلق الأصوات عالية وتختلط الى حد كنا
نعجز معه عن معرفة أى شئ ، ازيك كويس ، شدد حيلك ، مع السلامة ،
أربع كلمات لا يستطيع المسجون أو الزائر أن يلتقطها . والطريقة
الأخرى وهى ما يطلق عليها زيادة خاصة وهى عادة لا تزيد
عن نصف ساعة يجلس خلالها المسجون على كرسي والزوار على كراسى
أخرى فى حجرة الضابط النوبتجى وبحضور أحد السجانة . لكن هذه
الزيارة كانت شبتاً غير عادى . فهى ليست فقط زيارة خاصة حدودها
لا تزيد عن نصف ساعة بين المسجون وأهله ، وإنما هى زيارة أى
فرد من أهلبنا لنا كلنا وعلى امتداد يومين كاملين . والواقع
أن الفضل يعود الى مأمور السجن « ٠٠٠ » ، ذلك فوجى ، الرجل كما
فوجئنا بحضور الزائرات وهن يحملن اذن زيارة خاصة . وكان من
المستحيل أن تجرى هذه الزيارة الخاصة بالطريقة التقليدية ، فليس من
المعقول أن يقطن آلاف الأميال من أجل قضاء نصف ساعة فى غرفة
مغلقة فى قلب الصحراء ، وفى حراسة ضابط وسجان ! لقد أدرك الرجل
منذ أول لحظة استحالة أن تتم الزيارة بالطريقة التقليدية . ومنذ
البدائية سلم بذلك عندما تناقشنا معه ، ليس فقط نتيجة لاقتناعه

الشخصي ، وانما تسليما بالأمر الواقع • فكل الزملاء - الذين لا يمكن حبسهم في خيام - قد خرجوا جميعا للزيارة التي بدأت بالفعل منذ أكثر من ساعة • وكان الحوار مع المأمور حول إقامة خيمه خارج الأسلاك الشائكة كي يجلس فيها الزوار ، وحول مدة الزيارة • وافق على المطلب الأول وشرع الزملاء في إقامة خيمة كبيرة تتم فيها الزيارة • وبدأت المساومة على المطلب الثاني - مدة الزيارة - قال المأمور :

- ليست عندي أوامر بمدة الزيارة • •
- اذن من حقا تحديد مدتها • •
- التصريح بزيارة خاصة ولكنه عادي •
- وهل يعقل أن تكون مدة الزيارة نصف ساعة كما يجري في السجن الأخرى •

- غير معقول طبعاً • ما رأيكم أن تستمر حتى الغروب ؟
- لكن الظفار لن يغادر الواحات إلا بعد غد •
- ينامون في الاستراحة •
- ولماذا لا ينامون في خيمة الزيارة • •
- مسئولية !
- أنت فادر على حملها • •
- وما الذي بدعوني الى ذلك ؟
- انسانيك !

ونلاحظ دموعا خفيفة تجري في مآفى عيني الرجل الانسان ، بقوله - وابتسامة ودود تكسو وجهه .

- موافق بسروط •
- نقبلها مقدما •
- يضحك من قلبه ويقول :
- انتم مفاوضن سطار •

وننقل كل شروطه • بعد غروب شمس اليوم ذهب الجميع الى خيامهم ، ولا يجري أي اتصال بالزوار عبر الأسلاك الشائكة أثناء الليل ، الصباح

- موافقون •
- وفي صباح الغد تجري الزيارة ولكن بشكل أكثر نظاما •
- موافقون •
- يبقى بعد ذلك أن تقسموا بشركم أن لا ترسلوا معهم أي خطابات غير رسمية •
- ويستطرد :

(م - ١٢ رسالة)

- ر أو حاجات من اللي انتو عارفينها •
- وينتحي الزملاء المفاضون جانبا وبتهمسون ، من المستحيل أن
- نقسم ثم نحدث بالقسم • الرجل معه حق ، فمن المؤكد أن رجال
- المباحث** ينتظرون رجوع الزوار وسوف يقومون بعمل اللازم •
- نقسم بشرفنا •
- وأنا واثق انكم رجال •
- فقط لنا مطلب صغير ؟
- أرجو أن يكون كذلك •
- خطابات رسمية لاهالنا • • كالتي ترسل بالبريد •
- موافق - ولن اقراها وساترك ذلك لضمائركم •
- ويكلف أحد الزملاء بمراجعة كل الخطابات التي سيكتبها الزملاء •
- وعند غروب شمس اليوم الاول ، يطلب مأمور السجن مجدى مهمى وسعد
- باسيلي والزملاء الذين اتفقوا معه على شروط الزيارة ليؤكدوها من جديد •
- يقول مجدى فهمى محمد •
- نىء هايل جدا • • بس مطلوب استثناء بسيط •
- يقول المأمور وهو بضحك :
- تانى • • أبه هو الاستثناء ؟
- طبعاً غير معقول أن الزوار يناموا • • والا احنا راح ننام • • والسامة
- بيننا بضعة أمتار • ويفصلنا عنهم أسلاك شائكة • •
- طبعاً مش ممكن تنام معاهم يا مجدى • •
- بالطبع لا • • فقط نجلس داخل السجن ، وهم خارجة ، ونحدث
- عبر الأسلاك الشائكة ، أو على الأقل نراهم ويرونا • •
- ونفاجأ بقبول المأمور فبقول :
- موافق وبشروط •
- أن لا يجلس معى أنا وسعد واحد آخر •
- بالضبط • •
- ويتم تنفيذ الاتفاق بمنتهى الدقة • مجدى وسعد يفترشان
- بطانية على بعد ٥٠ متراً من الأسلاك الشائكة ، داخل السجن - ، والزائرات
- يجلس داخل خيمتهن المفتوحة على بعد ٥٠ متراً فى الجهة الأخرى ،
- خارج السجن** • وعدد كبير من الزملاء يشكلون مجموعات صغيرة
- منتشرة على أرض السجن ، البعض يتسامر ، والبعض الآخر ترتفع
- أصواته بالغناء • • أى غناء • وبين الحين والحين تسمع أصواتا •
- يا مجدى ازبك يا ابنى •
- الله يسلمك يا أمى •
- مش علوز حاجة ؟

- سلامتك يا أمي •
نم يسود الصمت ويظل الحوار متصلا بالأسارات والضحكات
المتبادلة تم بكلمات متناثرة معدرة • حتى مطلع الفجر •
ومع أشعة الشمس الأولى يبدأ اليوم الثاني لنك الرbare التاريخية •
أحكى لك عنها في الرسالة المقبلة يا حبيبتي •

١٣ يوليو ١٩٧٧
القاهرة

الرسالة رقم (٣٠)

حبیبی

و يبدأ اليوم النائي للزيارة مع شروق الشمس ، عدد من الزملاء
يحمل جرادل مملوءة بالمياه وصابون وجرى بها نحو الارتفاع كى
يغتسلان وعدد آخر يحمل « برادا » كبيراً للنساء وأكوابا وبسكويت
للأم والشقيقة وزوجة الأخ . بعدها بقليل يفود مسئول الحياة العامة
« صلاح هاشم » فرفه من الزملاء يحملون صواني عليها ما لذ وطاب
للمطار . الجميع يرندون أحسن ما لديهم من ملابس وصلت اليهم فى
طرود ، ثقتهم ناعمة ، وشعورهم مصففة ، وبعضهم وضع كولونيا
(٥٥٥) أو بارفان ، وصلته مع طرود أمس أيضاً . كان لمعى يوسف
« مسئول المطبخ » من بين الزملاء الجدد الذين وصلوا إلينا من سجن
مصر . منذ حضوره قام بالعمل فى المطبخ وكان التناقض بينه وبين
أحمد خضر شديداً .

وذات يوم فوحى الزملاء بلعمى يوسف يعمل لهم « محشى » ففرروا
انتخابه مسئولاً عن المطبخ :

يقول للزائرات :

- قول مدمس عظيم .. ولا قول التابعى -

وترد أم مجدى :

- تسلم أيدبك يا ابنى .. انت اللي عملته ؟

- وطعمية كمان .. مدهشة .

كانت الطعمية مفاجأة لكل الزملاء يقدمها لهم لمعى يوسف . انهم
لا يبرونها منذ سنوات وكثيراً ما دارت مناقشات مع
لمعى يوسف حول امكانية صنعها لكنه كان دائماً يعدهم بذلك لكن بعد
« تذليل الصعوبات الاساسية » قال بفخر :

- أنا قعدت امبارح طول الليل أفكر ازاى أوفر الظروف المناسبة

لعمل الطعمية . .

ويضحك مصطفى كمال - صبيه فى المطبخ .

- الذاتية والموضوعية كمان . .

ويتمتم زكى مراد . . ذاتية موضوعية . . طعمية . .

ويصيح الزملاء . .

- هائل .. مولد فصيحة شعر حديدية لزكى مراد .
- نسمعها الليلة بقى ..
- فصبذه وتفتوت ما حد يموت .
- بعد ان تتناول الزائرات الامطار مع عدد من زملاء بصيح مسئول
- « الحياء العامة » :
- يا لله يا زملا .. كل واحد على شغله .. محدى وسعد بس اننى
- مستقنوا هنا مع أهلهم ..
- برمع سعد باسيلي يده طالبا الكلمة .. ويعطيه مسئول الحياة
- العامة الكلمة وهو يضحك :
- آيه يا سعد .. طلباتك .. عاوز حاجة ؟
- وبمنتهى الجدية يقول سعد :
- أنا عندى شغل اليوم .. عليه الدور فى غسيل قروان الخيمة ..
- معلقتى ممكن زميل آخر يفوم بعملك اليوم .
- ليه بقى ؟
- لأن عندك زيارة .
- بحسم يرد :
- أنا لا أوافق على أى استثناء .
- دى ظروف خاصة يا سعد .
- ولو .. وأنا لا أقبل أن يقوم أحد غيرى بعملى .
- ممكن يحصل تبادل .. الى عليه الشغل بكرة يعمله النهاردة
- بدالك .. وانت تعمله بكرة ..
- وتدور مناقشة تستغرق أكثر من ١٥ دقيقة يقتنع بعدها سعد
- باستمراره فى الزيارة وتأجيل شغله الى الغد ، ولكن بعد أن تشتت
- الزائرات فى المناقشة ، وبعد ان اسخدمت أخته « فتنه » كل ما تملك
- من أسلحة عاطفية .
- ينصرف الزملاء الى أعمالهم ، ويخصص مسئول الحياء العامة ثلاثة
- زملاء لخدمة الزائرات وتقديم الشاي والقهوة والمرطبات المصنوعة
- محليا كعصير البرتقال واللبمون ، من خبرات الزائرة أمس ، ويعقد
- المعى بوس .. « مسئول الطبخ » امتدانة .. أما ما أعرضه لحثهم على بذل
- كل جهودهم من أجل اعداد « لمة عشاء » ..
- عاوزين نذهب للساعات دول انتم بغير .. طببخ لا يعمل عن
- طبخهم ..
- أهوه كله طببخ بالمعى .
- لا بقى .. طببخ عن طببخ يفرق .
- الحكاية حكاه نفس .

- وابنه رأيكو مى محشى ؟

- خطير . .

ويبدأ لمى يوسف فى اصدار التعليمات لمساعديه :

- مش عاوز ولا حصوة واحدة فى الرز . . عيب . بنفسل كويس ويترك علشان بنسف فى الشمس . الكوسه دى كبيرة ، فنزنها تخبنة ، لازم تنفسر كويس ، واللى مبها بذر كبير نرميه . ونأخذ سوية بامية من بناءة بكرة . . نعمل طبقين علشان الزوار . . أمه اللحمة فسيبوها لى انا بقى . .

- راح تسلقها . .

- راح نسلق سوية . . ونحمر شوية .

- وحنعمل سلطة .

- يقوم **حليم طوسون** يجيب لنا سوية جرجير من مزرعته الخاصة . . وكمان سوية طماطم وبصل أخضر . .

ويرد **حليم طوسون** :

- ده كل اللى فى المزرعة ما يجيئس حزميتين جرجير وحزميتين بصل و١/٢ كيلو طماطم . .

- كويس نعملهم سلطة للزوار . .

ويجربى العمل بهمة ونشاط ، انهم رجال أغلبهم لم يفهم يعمل مثل هذه الأعمال ، فمنهم **الطبيب ، والمهندس ، واستاذ الجامعة ، والطالب ، وهم مسجونون فى قلب الصحراء ، فى منطقة لم تعرف الخضرة من قبل ، وهم يستضيفون ضيوفاً أعزاء . وهذه الوليمة الفاخرة التى يعدون لها ترمز الى معان عميقة . ان يطمئن الاهالى الى أننا قادرون على مواصلة الحياة تحت أى ظرف من الظروف ، واننا معا ، يدا واحدة ، نتعاون ونتكاتف من أجل أفضل حياة نستطيع عقولنا ان تدبر ظروفها ، ونستطيع سواعدنا أن تبنيها ، نحن بناء الحباة وصناعها ، سلاحنا الكلمة وسبيلنا الديمقراطية ، وأداتنا الوحدة الوطنية . لن يقهرنا أعداء الحياة مهما تنوعت أسلحتهم . لن نسمح لهم ان يغتالوا ارواحنا ، أو يقتلوا حباة للحياة ، وسوف نحيا تحت أى ظرف من الظروف ، وفى أى مكان يزوجون بنا فيه .**

يحل موعد الغداء ، الزملاء لا يسمعون الدقات التى تناديهم لاستلام طعامهم . عصفير بطنهم تترقق وتعلو أصواتها مع كل دقيقة تمر ولا يسمعون فيها « دقات » الطعام .

- أية الحكاية ؟

- جعنا . .

- فحين الأكل يا لمى .

ويرد لمى يوسف بغضب :

- مش عيب برضه . .
- أيه هو اللى عيب ؟ عاوزين ناكل . .
- مس برضه الضيوف يأكلوا الأول .
- معاك حق . . متأسفين .
- ويصيح لمى يوسف . .
- دى نقاليد سعينا يا عالم . . سعينا المضيف .

ان يقدم الضيف على أهل البيت شئ رائع ، احدى القيم الكثيرة التى يتميز بها شعب مصر العظيم . عطاؤه لا ينضب ، يعطى للضيف قبل ان يعطى لنفسه . يعطيه أغلى ما عنده وهو راض ، حتى وان لم يكن يمتلك غيره . لكن ليس كل من يدخلون بيته ضيوفا ، هم فى بعض الأحيان دخلاء ، وهو يملك حاسة لا تخطئ ، يميز بها الضيوف عن الدخلاء . الضيوف اصدفائه ، والدخلاء اعداؤه وهو قادر على تمييز أنفعتهم مهما تنوعت أتسكالها . ويتسابق الزملاء فى خدمة الضيوف . هذا يحمل صينية عليها أطباق الأرز ، وآخر يحمل صينية الكوسة ، وثالث البامية ورابع يحمل السلطة ، وخامس يحمل الفاكهة ، وسادس يحمل اللحم المحمر ، وسابع يحمل اللحم المسلوق والتسوية التى بها لسان العصور . .

- تصبح أم مجدى .
- أياه ده كله . . دى وليمة . .
- ويتقدم مسئول الحياه العامة ، ينحنى فى احترام ، كما يفعل المتر مى المنافى الكبرى . .
- كله من خيركم يا ست أم مجدى .
- وتسال « فتنه » .
- وكل يوم بناكلوا كده . .
- طبعا . . طبعا . .
- وتعاق « بدره » روجه مصطفى شقيق مجدى .
- « أنا كان كده آجى اسخن معاكو بقى .
- « مهمى . .
- لا أهلى معروف . . أحوال مصطفى بزعل . .
- ييجى معايا . .
- أيوه . . تبقى كلمت !
- بعد الغذاء باتى حاملو جرادل المياه والصابون والقوط ، وينسل الضيوف أيديهم ، حتى يكون الشاى جاهزا أمامهم .
- يا سلام لو فنجان قهوة . .
- حاضر يا ست أم مجدى . .

البن من بين الاصناف التى لا تصادر كلها مثل معجون الاسنان
والادوية الخاصة للاستعمال الشخصى ، ويقع مسئول الخباء العامة
فى « حبص ببص » • من أبى يأتى بالبن ؟ يصبح بأعلى صونه .

- مين عنده بن يا زملا ؟

- الضيوف عاوزين بشربوا قهوة • •

- • • •

وسددم « كبيفه » الموهه المعروفين ، شريف حناته ، حليم طوسون ، وليم
اسحق ، زكى مراد ، صلاح حافظ يتسابقون لعمل موهه •

ويعانى مسئول الحياة العامة :

- يعنى المستخبى طلع • • من المصبح دايج على فتجان « قهوة » • •

- هوه أنت ضيف ؟

ويمضى اليوم بسرعة لم نعهدها فى السجن من قبل ، فرص الشمس
الأحمر يبدو بعيدا فى الأفق ، يرسل أنسخته الأخير ، الطلام يزحف
بسرعه ببدد ضوء الشمس ويعلن موعد الافتراق • ما أمسى لحظة
الافتراق ! قد يخفف أمل اللقاء مره أخرى من آلام لحظة الافتراق •
أحبائنا يفترقون عنا ، ولا نملك تحديد موعد اللقاء مرة ثانية • حتى
هذا اللقاء الناذ لا نعرف له موعدا آخر • الحزن يزحف على الوجوه ،
والآلم يعتصر القلوب ، ونبضات تسمعها الآذان فى لحظه واحده
قبل الافتراق •

وفى قلب « اللحظة » تتبلور دموع بعض العيون ، وهؤلاء أسعد
حظا من أولئك الذين جفت عيونهم من الدموع • النوار أنفى انقياء ،
البشر • فلوبهم طاهره مثل فلوب الأطفال ، واراداتهم أقوى من الصلب •
هم أسرى الكلمة الطيبة ، وشهداء هدف يؤمنون به • عيونهم
لا تعرف الدموع ، عندما يتحكون ويقاومون ، وتنهمر أمام موزف إنسانى
يهز عواطفهم ووجدانهم •

ما أبعد الفروق بين قبلات وأحضان اللقاء بعد غيبه ، وبين
قبلات وأحضان الافتراق الى زمن غير معلوم !

وتتحرك السياره تحمل الذين ادخلوا البهجة فى دنوسنا خلال
ساعات مضت كالبرق • أيادينا ترتفع عالية ملوحة ، وفلوبنا
تسقط الى أقدامنا ، والدموع فى مآقى العيون تبدو فى ظلام الليل
كنجوم السماء • تغيب السيارة عن أنظارنا ، ونعود الى السجن ، الصمت
بأف الجميع • دماء العشاء الرتيبة تنادى الزملاء ، نذهب بتناقل الى
« المس » • • يبدل مسئول الحياء العامة جهدا كبيرا ليخرجنا من صمتنا ،
يعلن أن العشاء اليوم مبه مالد وطاب ، تعلق هنافات الاعجاب لكن تحس
بفقدان حرارتها المعروفة •

يعلن مرة أخرى أن حفلة يوزع فيها الشاى والحلوى سوف تقام

بعد العشاء • بقابل الخبر بالتصفيق والتهلل الخاليين من روح المرح
المهودة عند الزملاء •

بعد العشاء ، وخلال سرب الساي وبنالولى الطوى يرتفع صوت
صلاح حافظ يغنى لام كلثوم ، ثم لعبد الوهاب ، وفاروق عبد السلام
يغنى منلوجات نسكوكو ، وأغنيات اسكندرانىة ، لكن الجميع ، المغنون
والمستمعون معا ، فى واد وما يدور فى أعماقهم فى واد آخر •

ما أنبل الثوار ، فى اللحظات التى بعصر الألم قلوبهم ، يحرصون
على أن لا تنتقل عدوى آلامهم الى زملائهم وعم يعرفون أنهم يتألمون
منلهم • تنتهى الحملة • ونمضى الى الخيام • نستلقى على الأسرة الخشبية
لا يغمض لنا جفن • العيون مفتوحة ، واللسنة لا تتكلم ، عواء
الذئاب ونباح الكلاب يعكر هدوء الصحراء وسكونها ، لكن قلوبنا
أكبر من الصحراء ، ونفوسنا أكثر منها هدوءا ، لم تنل منها كل
عواءات ونباحات أعداء الانسانية من البشر • وعم أسرس من كل
الحيوانات المفترسة •

فبيل بزوغ الفجر بفليل يهمس مجدى فهمى :

- ما نمقش ليه يا درش ؟

- سرحان •

- فى أيه ؟

- فى السى انت سرحان فيه •

- نبدو مى الأفق مؤشرات لمركة حاسمة ضد الاستعمار •

- تحطيم حلف بغداد ، وباندونج ، وصفة الأسلحة •

- لا يمكن أن يكون كل ذلك من باب التضليل •

- وقضية الديمقراطية •

- بكسبها الشعب من خلال المركة صد الاستعمار •

- ما رادك مى ممال عبد الرحمن الشرقاوى ؟

- موافق عليه •

- وأنا أيضا ؟

- اد • بعد من مؤفة جديد •

- نغير • اتصال بالخارج •

- بنافس الأمر من كل جوانبه

- هایل • • تصبح على خير •

وتشرق شمس يوم جديد من أيام النصف الدانى من يوليو عام ١٩٥٦ •
شبتنا ما غير عادى يجرى مى احدى الخيام منذ الصباح • أنا ومجدى
فهمى وزكى مراد ومحمد شطا نجلس فى احدى الخيام وتطول الجلسة
فى مناقشات حول المركة ضد الاستعمار التى تتجمع بوادرها فى

الاتق • يجب أن يكون موقفنا واضح من السياسة الوطنية ، المعركة الوطنية ضد الاستعمار نطلب وحدة كل الصفوف • الديمقراطية للسعب في المعركة ضد الاستعمار عى ضمان النصر • ونتفق على كتابة بيان نحدد فيه موقفنا بوضوح ونوقع عليها كل الزملاء •

ونجتمع مرة أخرى بعد الغداء ونوافق على البيان ويختم كل الزملاء كى بنلى عليهم البيان ويوقعون عليه • لم يكن مفاجاه لهم فقد كانوا يتوقعون هذا الموقف الجديد من الحكم الوطنى ، بدأت المناقشات بينهم بعد المواقف الوطنية من حلف بغداد • وزادت حراراتها بعد مؤتمر باندويج ، ثم كانت صفقة الأسلحة تحولا واضحا فى الموقف • لكن **مأمور السجن وضباطه** هم الذين فوجئوا بهذا الموقف ، لم يكن فى تصوراتهم ، أن مسجونين يمكن أن يرسلوا لسجانيهم نأبيدا ومساندة **وبلا أى شروط** • بتحمس **المأمور** لهذا الموقف الوطنى ، يعلن أنه سيسافر بنفسه الى القاهرة ويوصل هذا البيان الى رئاسة الجمهورية والى مدير مصلحة السجون •

- والصحف والنقابات العمالية والمهنية ؟
- سأحصل على اذن من مصلحة السجون لارسالها •
- ثم يستطرد :
- ومين عارف ممكن اجيب لكم معايا خبر كويس •
- لاله بدرى •
- ليه بقى ؟ • موقف وطنى واضح • ومساندة وتأييد للحكومة •
- نأمل هذا • •
- ويصيح **المأمور بحماس** ؟
- وبأسرع ما يمكن نكانكم مش هنا ، برة • فى السارح ، ده شىء منطقى •

- وأعلق بابتسامة :
- ربما يكون لهم منطق آخر ؟
- ويرد **المأمور** :
- عهى بك انك لست متشائما • •
- فى هذه المسألة بالذات متشائم • •
- ويوضح أحد الزملاء • •
- أصل له ظروفه الخاصة جدا •
- ليست هى السبب المباشر ، وأنا انظر اليها بموضوعية •
- ويبدو على **المأمور** انه لا يفهم الحكاية • ويتولى زميل شرحها له •
- أصله كان المفروض يفرج عنه بعد الثورة مباشرة •
- ليه ؟

– لأنه القى القبض عليه قبل الثورة بسبعة أيام •
ونلمح علامات الدهشة والانسحاق على وجه المأمور • ونحس بمسور
حماسه في نبرات صوته وهو يقول :
– أظن الموقف مختلف دلوقت •
يسافر المأمور الى القاهرة يحمل موقفنا الجديد الى الحكام ، ويعود
في صباح يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٦ • ومعه أخبارا سارة لنا ، وكان
يوما مشهودا أحكى لك تفاصيل أحداثه في الرسالة المقبلة باحبيبتى •

١٦ يوليو ١٩٧٧
القاهرة

الرسالة رقم (٣١)

حبيبتي

قضينا الأيام العشرة بعد سفر الأمور الى القاهرة في ١٦ يوليو ١٩٥٦ وعودته في ٢٦ يوليو ١٩٥٦ ، في منافسات واسعة مع **الاخوان المسلمين** حول ما جاء في مجلة « **الوطن** » وهي مجلة أسبوعية خصصناها لمناقشتهم على صفحات المجلة . وكنا نصدر جريدة يومية من صفحات كراس بها آخر الاخبار وتعلق سريع . كما كنا نصدر مجلة « **الفكر** » وهي مجلة ثقافية تصدر كل شهر ، وكانت مقالاتها تعبر عن رأى أصحابها وكنا يناقش كل ما يختار بها في جلساتنا معاً أو مع الاخوان المسلمين الذين تكونت معهم علاقات قوية ، بدأت في لمان طره انسانية ، وانتهت سياسية في « **جناح** » ثم في « **الحاريق** » . منهم على سبيل المثال البكباشي **فؤاد جاسر** ، الصاغ **جمال ربيع** ، الصاغ **حسين حموده** ، سدد الرئيس وغيرهم ولم توف الخلفات مع الاخوان الآخرين دون استمرار المناقشة معهم أذكر منهم **صالح ابو رقيق** ، **ومحمد ابو النصر** ، **ومهدي عاكف وحسن دوح** وغيرهم . من بين هذه المناقشات اختار مناقشه بسى وبين البكباشي أركان حرب **فؤاد جاسر** ، وهو من « **الاخوان المؤيدين** » . ذات يوم من تلك الأيام العشرة في يوليو ١٩٥٦ ، وبعد أقل من ساعة من صدور مجله « **الوطن** » جاءني البكباشي **فؤاد جاسر** وهو يحمل المجلة وكنت ساعتها « **نوبتجي** » الخيمة وأقوم بغسبل أواني الأكل ، وأملأ مياه الشرب ، وأرتس الخبث المفلوف حولها بالماء كلما جفت ، وبعد وضعها في مكان ظليل ، كى تحتفظ ببرودتها . ثم أرش المياه أمام الخيمة كلما جفت ، وأروى الزرع أمام الخيمة ، هذا العمل كان يستغرق اليوم بطوله ، لكن كان يمكن اختلاس بعض الوقت بين الحين والآخر للقراءة ، أو لمناقشة سريعة . وحين طلب منى **فؤاد جاسر** أن نجرى مناقشة في خيمته على فنجان شاي قلت له ضاحكا :

- ما أنت شايف يا فؤاد أنا مشغول .
- وبعدين ضرورى أناقشك دلوقت .
- طيب أكمل غسيل الفروان ده ونعقد هنا .
- عندك شاي . .
- ما عنديش طبعاً - لكن نطلب من مسئول الحياة العامة .

نظام الحياة العامة يصادر النساى والسكر ، ولكنه يسمح بحالات استثنائية مثل وجود ضيوف أو حافز ماذى لتنجيع الزملاء للقيام بأعمال خاصة .. الخ .

وتبدأ المناقشة فى ظل الخيمة حتى يمكن أن أرى خرس جرادل مياه الشرب حين نجف مأسى عليها الماء وأملأ التى تفرغ منها . وبعد فترة ارتفعت حرارة المناقشة حول قضية الديمقراطية ، بقول فؤاد : - قضية الديمقراطية ، وتشمل حربة تكوين الأحزاب ، والحريات السياسية والافراج عن المسجونين السياسيين شرط لهذا التأييد .

- ليست هناك شروط فى السياسة يا فؤاد . .

- ازاى بقى تفضل فى السجن ونؤيد الحكم الوطنى . .

- الافراج عنا ليس شرطاً للتأييد . .

- ولكننا فصيالة وطنية مع الحكومة الوطنية فى معركتها ضد الاستعمار .

- ولكنك فى نظرها لست كذلك .

- وهل تتغير وجهة نظرها حين أعلن تأييدها . .

- موافك الوطنية الواضحة المستمرة ، والمعلنه للشعب ، تجبرها على تغيير موقفها منك .

- من جانبى موافق .. ماذا تقترح ؟

- أقترح أن تحرى منافسة مع أكبر عدد من زملائك وتكتب بياناً للحكومة والصحف وال نقابات العمالة والمهنية .

- مهمة صعبة .. سأبدأ بنفسى .

- لا يا مؤاد والا مسر موقفك نفسيرا خاطئاً . .

- جمال عبدالناصر يعرفنى شخصياً .. وسوف بنى فى موفقى .

- حتى ولو حذب ذلك وعو احتمال ضئيل جدا .. مسوف يكون مادة لآى تفسير خاطئ .

- وماذا بهمنى ما دمت مقتنعا بموقفى .

- أظن أن دورك الوطنى فى بعض عند خروجك من السجن .. فى الخارج

- مع من ؟

- مع الحكومة .

- أيهما أكثر ضماناً - حتى من الناحية الشخصية - أن يعمل وحيدك

أو تعمل مع مجموعة من الإخوان المسلمين .

- لن أجد منهم من يقتنع .

- هل حاولت وفشلت ؟

- لا .. ولكنى أعرف مقدا .

- الناس بنفغير با فؤاد ٠٠ انت نفسك تغيرت •

- موافق ٠٠ ولكن بشرط •

وأضحك قائلاً :

- أنت هاوى سروط ٠٠ أنه سروطك •

- ان تشترك معي في المناقشة •

- موافق •

يبتسم فؤاد جاسر ويقول

- وأدى سيجارة بيلمونت بحالها ٠٠ تشربها لوحده • اشعل السيجارة ، وبشعل فؤاد غيرها ، ونصمت حتى لا تشغلنا المناقشة عن الشعور بلذذ ندخين سيجارة كامله •

كان عدد من الزملاء يرقبوننا من بعيد لا يستطيعون الاقتراب منا أثناء المناقشة وتدخين ٣/٤ سيجارة مشاركة • وما أن لحوا السيجارتين مشتعلتين حتى هجموا علينا دون استئذان • أقول ضاحكا :

- يا زملا احنا مشغولين • •

- يعني ٠٠ فقره اسنراحة • •

- نشترك معكما في التدخين •

ويخرج فؤاد جاسر عليه سجاثره البلمونت الصغيرة ، ويوزع الخمسة المتبقين فيها على الزملاء ، بعد أن يأخذ أحد الزملاء سيجارة يقول لى :

- هات نفس بقى •

- يا أخى ما معاك سيجاره بحالها •

- نشربها بعد العشاء ٠٠ لوحدها • •

- والله فكرة ٠٠ خذ ٣ أنفاس يا عم •

دقات ساعة الغذاء المعتادة تنادى علينا • يهم البكباشى فؤاد جاسر بالانصراف ، يسرع الينا مسئول الحياة العامة ويقول لى بغضب :

- ايه بفى ، يمشى في وقت الغذاء • •

- والله فكرت ٠٠ لكن ترددت •

- ابعث حد يقول لى ٠٠ على العموم أنا عامل حساب الاستاذ فؤاد •

واحتفاءا بضيفنا يجلس معنا مسئول الحياة العامة • واتناء تناولنا الغذاء أهمس فى أذنه :

- ما تنساش ٠٠ كام سيجارة كده نشربها مع الضيف • •

- يا زميل أنا عامل حسابى •

وبعد الغذاء تستعل ٣ سجاثر ويهجم علينا بعض الزملاء « ليرحبوا ، بالضيف ، ومنعنا لاجراجه ، يتصرف مسئول الحياة العامة فيوزع على

كل ثلاث زملاء سبجارة • ويقترح مؤاد أن يذهب لاحضار غلبة سجاير
من خيمته • ويرفض الزملاء ويعتقون تعليقات طريفة :

- نسفتوا بفي الملكية الخاصة • • مفيدة !

- عملب لنا أيه الملكية العامة !

ويضحك فؤاد جاسر ، قائلًا :

- أيه الحكاية • • باين علينا راح نتبادل المواضع •

وينصرف على موعد آخر بعد صلاة المغرب ، حيث التقى معه مرة أخرى
ومعه مشروع بيان تأييد الحكومة من مواقفها الوطنية كتبه هو
والصاغ جمال وبيع والصاغ حسين حموده ، وسوف يناقشونه مع أكثر
عدد من الاخوان للتوقيع عليه وارساله • أفول لفؤاد جاسر :

- سفت ازاى يا فؤاد ، الناس تقتنع بالموقف الوطنى السليم • •

- وده راح يلعب على مسئوليته كبيرة •

- وأنت جدير بها •

- تسجبعك بزيدينى ثقة بنفسى • •

وبعد العشاء كنت على موعد مع الأستاذ صالح أبو رقيق • علاقتنا
قديمة بدأت فى ليمان طره انسانية ثم سياسية • جمعتنا معارضة
السلطة من خلال قضية الديمقراطية والحريات السياسية • كان
يؤكد حقنا فى مباشرة نسلطانا السياسى بحرية • وكنت أتركك فى
هذه الأكاداب ، غير أننا كنا ننهى دائما الى أننا متفقون على الأقل فى
المرحلة الراهنة ، بعدها تدور المعركة ، وكنت أعلق ضاحكا : فقط
لا تنسوا أن الدين لله والوطن للجميع • فى هذا الاجتماع بدى لى
غاضبا ووصف ما قرأه فى مجلة « الوطن » بأنه ارتداد عن الموقف الصحيح •
وما هو الموقف الصحيح ؟

- الغاء فرار حل الاخوان المسلمين ، والافراج عن المسجونين منهم

فورا •

- بما فيها حرية تكوين الأحزاب السياسية والافراج عنا أيضا ؟

- طبعًا • •

- وحفنا من مشروعنة نسلطانا السياسى •

- هذا ما تملكه الحكومة •

- ليس هذا ملكا لأحد • • الحق •

- ومن الذى يعطيه • • ؟

- الحقوق لا تعطى وإنما تؤخذ • •

- كيف ؟

- الشعب بواسطة أدواته ، جبهة وطنية تقسم مختلف القوى
الوطنية ، المثلة فى أحزابها السياسية ، ووفق برنامج وطنى محدد
هو القادر على أخذ حقوقه •

- من خلال اسقاط الحكومة ؟
- الحكم الوطنى داخل هذا التحالف الوطنى .
- هذا ما نختلف عليه . .
- ويستطرد . .
- أعجب لكم . قلتكم بالأمس انها فاشية ، وتقولون اليوم انها
- حكم وطنى . . كيف هذا ؟**
- المواقف ليست نابته . . الناس تتغير .
- من الذى تغير . . أنتم أم هم ؟
- ربما كنا مخطئين فى الحكم عليهم .
- وبماذا تفسر موقفهم من الحريات ؟
- **تناقض لا شك . . ولا بد من حله .**
- شعار الاسقاط هو طريق حل هذا التناقض .
- وانما التحالف الوطنى معهم هو الحل الوحيد .
- أعجب لكم . . ربما كنتم خباليين . . وربما كان وراء موقفكم هذا
- شيئا آخر .**
- لا هذا ولا ذاك . . بل هو موقف موضوعى .
- لكنه لن يؤدى الى الافراج عنكم . .
- ويكمل :**
- على الأقل فى المدى القريب . .
- نعرف هذا ولا ننتظره لسنوات قادمة . فالمعركة طويلة صعبة ومعقدة .
- ونفترق على خلاف . لكن نظل أصدقاء ، وما زلنا حتى الآن .
- وفى كل مرة نلتقى فيها حتى بعد خروجنا من السجن يمزح معى
- ويقول :**
- أنت لازم تكون جندى من جنود الاخوان ، وارد عليه ، كلنا جنود
- لمصر ، فلننتظم فى جيش واحد .**
- وأعود الى الخيمة ويوصلنى الاستاذ صالح ابو رقيق الى منتصف
- الطريق ويقول ضاحكا :**
- الحدود هنا . . مع السلامة .
- ليس بين الوطنيين حدود .
- اذن انضموا بنا . .
- ربما كان التحالف الوطنى افضل .
- لكنه لا يلغى الحدود . .
- نعم لا يلغىها . . وانما يضعفها .
- ولماذا لا نلغىها بضربة واحدة . .
- منطق الحياة لا يسمح .

ميربت على كتنفى فى ود ونفترق على موعد آخر قريب .
 فى الخيمة وجدت الزملاء ينتظرون عودتى لمناقشة ما تم خلال هاتين
 المقابلتين . وقررنا الاستمرار فى اجراء مناقشات مع الاخوان
 المسلمين بجناحيهما مع التركيز على الاخوان « المؤيدين » . وأن تصدر
 « مجلة الوطن » عددا خاصا ، ينشر به البيان الذى كتبه « الاخوان
 المؤيدون » . وعمل تحليل سياسى لوقف الحكم الوطنى ومن خلاله
 تناقش الحجج التى يسوقها « الاخوان المعارضون » تبريرا لموقفهم
 المعارض للحكم الوطنى . وما أن نعلن هذه القرارات للزملاء حتى
 يصيح الفنان سعيد عبد الوهاب وهو المسئول عن توضيب ورسم
 صفحات المجلة التى توزع أربعة أعداد !

- وإن شاء الله يبقى العدده يصدر امتى ؟
- كلك نظريا سعيد الصبح طبعاً . .
- وفين المواد ؟
- حالا تجهز . .
- والحوافز ؟
- المعنوية زى ما أنت عاوز .
- لا يا سيدى . . شبعت حوافز معنوية .
- والمادية غلبة سجائر هوليود « لارج » وأربعة شاي .
- ويصيح صلاح هاشم « مسئول الحياة العامة » :
- وأجيب ده كله مفين . .
- اتصرف يا أبو الصلح . .
- مفيش سجائر الا للتوزيع يومين على الزملاء . .
- ربنا يرزق بعد يومين . .
- لا يا عم مش موافق .
- أبو الصلح . . لا تكن حرفيا ضيق الامق . .
- أنا مش مسئول . .
- وأقول له فى صوت له نبرة خاصة يعرفها :
- وبعدين . . يا أبو الصلح !
- طيب . . طيب . . أدى غلبة السجائر . . وأدى السكر والشاي . .
- وأنا بقى رايح أنام
- ويقول فاروق عبد السلام :

- وأنا كمان أنام شوية علشان أقدر على الأشغال الشاقة دى .
 يصحب مجدى فهمى ورقا وقلم ، ليكتب ما كلف به . وأجلس إلى
 جانبه أكتب أنا الآخر . وعند منتصف الليل أمز فاروق عبد السلام
 كى يستيقظ لننفع اليه بمواد العدد الخاص من مجلة « الوطن » . ومع

شروق شمس اليوم التالي يعيد الينا المواد منسوخة في نسختين :

- مايل يا فاروق .. امتى الباقي ؟
- قبل الغدا يكونوا جاهزين .
- الجانب الايجابى الحرفى فيك عظيم ..
- بس نظير أجر ..
- مفهوم ..
- ويصبح مسئول الحياة العلمية
- لا .. مش ممكن .. مفيش سجاير ..
- وبعدين ! ..
- ظيب .. طيب .. علبة صغيرة آهى ..
- ويبتسم فاروق ويقول :
- لكن انا عندى « نوبتجية » اليوم ..
- ويتقدم الزميل سعد باسيلي متطوعا للقيام بالنوبتجية بدلا من فاروق .
- وتمضى الايام سريعة . فى مناقشات مع الاخوان المسلمين ، وفى صدور أعداد خاصة من مجلة « الوطن » وجريدة « الاتباء » التى تحمل آخر الاخبار والتعليقات المحلية والعالمية ، حتى يحل يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٦ ، وتتلاحق الاخبار والأحداث والمناقشات بشكل مثير ، أحكى لك عنها فى الرسالة المقبلة يا حبيبتى .

١٧ يوليو ١٩٧٧
القاهرة

الرسالة رقم (٣٢)

حبيبتي

- كما قلت لك في رسالتي السابقة كان يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٦ يحمل
لنا مع المأمور الذي وصل من القاهرة في ذلك اليوم أنباء سارة .
قال لنا وعلى وجه ابتسامة عريضة :
- مش قلت لكم .. الافراج عنكم أقرب مما تتصورون .
- هل هناك وعود ؟
- لم اسمع وعودا ولكن الجو العام في الصفحة ، والمباحث العامة ،
في صالحكم تماما . لقد وافقوا على كل مطالبكم وأكثر منها . الكتب
والصحف والزيارة والخطابات والطرود واقامة كائنتين هنا وسوف تصل
غدا ٣ زيارات فاستعدوا . وبالنسبة للطعام فقد اتفقت مع متهمسد
في اسبوط على الخضار واللحمة بشرط أن تصل طازة بطازة . . . واحضرت
معي ثلاثة كبيرة . . . و . . . و . . .
ويقول أحد الزملاء ضاحكا :
- دي الحبسة أحلوت قوى . .
ويعلق آخر :
- دي تبقى بشاثر حبس طويلة مش افراج قريب . .
ويعلق المأمور :
- أنا مش فاهم ليه التشاؤم ؟
- أصل الافراج لا يحتاج سوى لقرار . .
- وكل قرار له مقدمات .
- المقدمات ضرورى تكون سياسية .
ويرد المأمور :
- زى أيه مثلا ؟
- رأى الحكومة في البيان اللي أرسلناه .
ويبتسم المأمور ، ويقول . .
- واذا جبت لكم رأى رئيس الجمهورية .
ويخرج من جيبه برقية من رئاسة الجمهورية موجهة الى مأمور سجن
« جناح » بالواحات لتوجيهه الشكر الى كل الزملاء الذين وقعوا على
البيان .

- ويسرى الخبر بسرعة بين الزملاء • موجة من التفاؤل تنتشر بينهم •
 الإفراج القريب مؤكد ، مسألة منطقية • الحكم الوطنى يحتاج
 الى مساندة من كل الوطنيين فى معركته القادمة ضد الاستعمار • تجارب
 الثورات المعاصرة تؤكد ضرورة الجبهة الوطنية للانتصار على الاستعمار •
 والخلافات الفكرية لا تنسك عائقا فى طريق الجبهة الوطنية •
 وأضع يدى على قلبى ، ربما كان كل هذا صحيحا من الناحية النظرية •
 ولكن النظرية سيء والتطبيق شئ آخر • وفى طريقى الى **مجدى فهمى**
 أراه قادما يبحث عنى ، يبتسم ابتسامته المعهودة :
 - محتاجين لجلسة سريعة • •
 نجلس بعيدا وسط الصحراء لنناقش الموقف
 يقول مجدى :
 - من البداية ، وإيا كان تحليلنا للموقف يجب أن نوقف بحسم هذه
 الموجة من التفاؤل •
 - تمام • • والأفضل أن تؤخذ الأمور بحذر حرصا على معنويات
 الزملاء •
 ونجد صلاح هاشم على رأسنا ومعه عدد من الزملاء • • يقول :
 - أى خدمة • • سجاير • • شاي • • قهوة ؟
 - وأيه المناسبة يا أبو صلاح ؟
 - انتو برضه بتناقشوا ومحتاجين تعدلوا دماغكم • •
 - ما أحنأ طول عمرنا بنتناقس • • وأنت عمرك ما عرضت خدماتك
 بالشكل ده •
 - ما هو مناقشة عن مناقشة تفرق !
 - اذن هات ما عندك • • وورينا عرض اكتافك •
 ويعطينا غلبة سخاير هولبود « لارج » • ويضع أماننا ترمس مملوء
 بالشاي • ثم يقول :
 - وبعد شوية عمل لكم قهوة • •
 - أيه الكرم المفاجيء ده ؟
 - بس شخو حيلكوا كده وأعملوا لنا تحليل يطلعنا افراج •
 لم أشعر يوما بفداحة المسئولية كما شعرت بها فى ذلك اليوم ،
 قبل السجن وخلال السنوات الأربع الماضية فيه • ربما كانت هذه أول
 تجربة يواجهها **مسجونون سياسيون** يقفون الى جانب السلطة ،
يؤيدونها ويساندونها ، دون أن يفرج عنهم • وربما كانت هذه أول مرة
 تتلقى سلطة وطنية تأييدا أو مساندة من أشد معارضيهما حتى
 الأمس القريب • هل يفهم الحكام موقفنا الحقيقى الموضوعى منهم ؟
 وهل يتسع ادراك الزملاء لاحتمال بقائهم فى السجن ، مع استمرار تأييدهم

الحكم الوطنى ما دام هذا هو الموقف السليم ، فى كل الأحوال
يجب وقف هذه الموجة من التفاؤل . كيف ؟

ويقول **مجدى فهمى** : من خلال اعادة قراءة وشرح بعض الكتب
النظرية ، وتأكيد عدد من مفوماتها . الطبيعة المزدوجة للبورجوازية
الوطنية ، تجربة الثورة الصينية ، قضية الديمقراطية كما تفهمها
وتمارسها الطبقات الخلفة . دور الطبقة العاملة فى الثورة الوطنية
وشرط قيادتها للثورة . .

وفى مساء نفس اليوم بعد محاضرة القاها **مجدى فهمى** عن تجربة
الثورة الصينية ، وبعد مناقشات استمرت أكثر من ساعة ، جاء من
يقول : المأمور جاب راديو كبير علشان نسمع فيه خطاب **جمال عبدالناصر** .
ونجلس على البطاطين فى قلب الصحراء لنسمع من الميكروفون صوت
الذيع يعلن وصول جمال عبد الناصر . . ونسمع هتافات عالية وتصفيق
حاد ثم يسود الصمت حين يبدأ جمال خطابه . وحين أعلن جمال
تأميم قناة السويس ، امتزج هدير تصفيق الجماهير فى ميدان المنشية
بالاسكندرية ، مع هدير تصفيقنا ، نشارك الملايين فى كل مكان
فى مصر والعالم العربى وكل القوى التقدمية فى العالم .

وكانت هذه أول مرة تشهد فيها **صحراء الواحات الخارجة** متافا
يشق عنان سمائها بحياة ناصر وثورة ٢٣ يوليو . وبعد الخطاب
انتظمت جموعنا مع **جموع المؤيدين من الإخوان المسلمين** فى مظاهرة صاخبة
ظلت تجوب المعسكر أكثر من نصف ساعة . وبلغ تأثير **المأمور والضباط
والجنود** درجة كبيرة جعلتهم ينضمون إلينا ويهتفون معنا ، ثم يعانقوننا
فى ود وإنسانية . وبعد المظاهرة عقدنا اجتماعا عاما حضره كل من
فى السجن من مسجونين عاديين وجنود وضباط والمأمور والإخوان
المؤبدن . ألقى فيه الكلمات المناسبة ، والسعر . الشاعر **فؤاد حداد**
انسحب بهدوء بعد أن سمع جمال وهو يعلن قرار التأميم ومكث فى خيمته
ليكتب قصيدة .

يا حمام البر سقف ، طير وهفوف ، على كتف الحر وقف ، والقط الغله . .
وقصيدة أخرى كتبها **صلاح حافظ** .

بكره النور فى بلادنا بلالى لما نقبم السد العالى .
قصائد كتبت أثناء **خطاب ناصر التاربخى** ، وأخرى خلال احتمالنا .
فى ساعات قليلة ولدت قصائد فى **قلب الصحراء** انشدها مسجونون محكوم
عليهم بالأشغال الشاقة فى تلك الصحراء ، ثم أنشدتها مصر كلها
ومعها كل أقطار الأمة العربية .

كان استقبالننا لتأميم القناة يفوق فى إيجابيته كل القوى
الوطنية الأخرى . فمنذ الأربعينات وهذا الهدف واحد من أهداف

برنامجنا • وخلال معركة الكفاح المسلح في القناة ضد قوات الاحتلال البريطانية ، كان تأميم القناة في مقدمة المطالب التي طالبنا بها حكومة الوفد.

كانت كل كلمات الزملاء تبرز أهمية هذا القرار ، وتضع احتمالات معركة ضارية ضد الاستعمار الذي سيلجأ الى شتى المؤامرات لضرب الثورة الوطنية ، حتى قد نصل مؤامرتة الى الغزو المسلح • وانه لا سبيل الى تحطيم مؤامرات الاستعمار بكل أسكالها الا بتعبئة الشعب واطلاق حرياته السياسية والافراج عن كل المسجونين الوطنيين • وتضمنت البرقية التي أرسلناها الى الرئيس جمال عبد الناصر في نفس الليلة هذه المعاني : لقد تحمس المأمور حين قرأ تلك البرقية وركب عربته على الفور واتجه الى المحافظة كي يرسلها بالاسلكي ، قال وهو يركب عربته التي كنا نحيط بها من كل جانب :

- أظن بقي لا مجال للتشاؤم
- وهل نهوى التشاؤم ؟
- نحن أكثر الناس تفاؤلا • • ولكن :
- ونسمع نبرات صوت المأمور الودودة :
- كلها يومين وأجيب لكم أحسن خبر •

موجة التفاؤل تصعد بسرعة عند الزملاء • لا نستطيع أن نقف في وجهها ، وفي نفس الوقت يجب أن نسير معها • الموقف هو أن نهيب أنفسنا لأحسن الاحتمالات ، ولأسوأها في نفس الوقت • الأمر المؤكد ان معركة ضد الاستعمار قد بدأت بعد التناهي • والانتصار في هذه المعركة يتوقف بالدرجة الأولى على قيادة المعركة • فهل تدرك هذه القيادة كل أبعاد المعركة وهل تعي ضرورتها • وما تفرضه من اطلاق الحريات السياسية للشعب ومنظوماته وهيئاته الوطنية ، وقيام جبهة وطنية والافراج عن المسجونين السياسيين الوطنيين ؟ انها حقاً قيادة وطنية ، ولكنها بوجوازية ذات طبيعة مزدوجة • الموقف اذن يفرض حملة تعبئة سياسية وفكرية • محاضرات يومية ، سياسية وفكرية ، والنشرة الداخلية « الوعي » تركز على الدروس المستخلصة من تجارب الثورات الوطنية الديمقراطية المعاصرة ، وعلى التحليل السياسي اليومي لما يرد اليها من أخبار في الصحف والراديو • كان الزملاء يعون بعقولهم المقولات النظرية ، لكن عواظهم معلقة بالأمل المستحيل • وتنهال خطابات الاهالي تبشرنا بالافراج القريب جدا ، بعد ان يلوون عنق أي كلمة أو تصريح لسئول • ولم يكن هذا غريباً منهم فالحق كل الحق معهم حين يتعلقون بقشه كالغريق ، ولكن الغريب حقاً أن تصلنا تحليلات سياسية لزملائنا في الخارج تتوقع الافراج عنا بين يوم وآخر • أكثر من ذلك ،

يصلنا مقال نظري بعنوان « نحن حزب في السلطة » ! ويدلل على ذلك بأن معظم ما وضعناه في البرنامج قد تحقق ، وبالتالي فإن القيادة السياسية قد أصبحت له !

وأصبح وضعنا شاذًا حين وصلنا هذا التقرير ، مثل هذا الكلام لا نوافق عليه من الناحية النظرية . وهذه التحليلات السياسية المتفائلة على غير أساس ، نرفضها ، غما العمل ؟ وجه التفاؤل سوف تصل الى قمته لو عرف الزملاء ما جاء بها ، فمن البديهي أن يكون الزملاء في الخارج هم الذين على صواب لأسباب مختلفة ، ليس فقط بحكم وضعهم ، وإنما أيضا لأنهم أقرب الى الواقع . بل المفروض انهم جزء منه . كان من الأفضل أن لا يرسل لنا زملاء الخارج هذه التحليلات والمقولات النظرية على الأقل من باب الحرص على معنويات زملائهم المسجونين اذا لم يتحقق الافراج عنهم . لقد وصلوا الى يقين بحقيقة الافراج عنا ، هذا ما تقوله تحليلاتهم . وهو خطأ نظري ومنهجي في نفس الوقت . ان التزامنا ليس التزاما أعمى وإنما هو التزام واعى . والظروف لا تسمح بمناقشتهم وامكان تعديل رأيهم في نفس الوقت تفرض علينا مسئوليتنا ازاء الزملاء المسجونين أول ما تفرض الحرص على معنوياتهم بعدم تعريضهم لأي هزة نفسية . ورأينا أن نكتب الى الزملاء في الخارج وجهة نظرنا في هذه التحليلات السياسية والمقولات النظرية ، ومررنا اعلانها على زملائنا ، في نفس الوقت الذي تعلن فيه تحليلاتهم . وتجري الأيام الباقية من يوليو ، وأغسطس ، وسبتمبر ، وعثمانية وعشرين يوما من أكتوبر ١٩٥٦ ، وموجة التفاؤل بين الزملاء بين مد وجزر . خطابات الأهالي ترفع الموجة أحيانا ، وأحيانا أخرى تهبط بها . وتحليلات زملائنا في الخارج كانت تتجاوزها أيضا موجة التفاؤل في مدها وجزرها . كانت كل الدلائل تشير الى مؤامرة كبرى بدبرها الاستعمار ضد الثورة . ولم تكن موافق القيادة السياسية تدل على ادراكها الكامل بأبعاد هذه المؤامرة . لقد ركزت كل ثقلها على العمل السياسي الدبلوماسي الخارجي في الهيئات الدولية . ولم تهتم بأعداد الشعب سياسيا وعسكريا للمعركة ، وبالتالي لم تكن قضية الحريات السياسية والافراج عن المسجونين السياسيين في جدول أعمالها . وكان من الطبيعي أن نفل بين الزملاء نغمة الحديث عن الافراج ، وأن نهدب موجة التفاؤل الى أدنى مستوى . وبرزت مشكلة خطيرة . مسئوليتنا كسياسيين وطنيين تفرض علينا تأييد ومساندة المواقف الوطنية للسلطة في مواجهة المؤامرات الاستعمارية ، والتحذير من اشكالاتها المتعددة . وفي كل بيان أو برقية كنا نضع مطلب الحريات السياسية والافراج عن المسجونين السياسيين ، حتى تحول الى أكليشيه تقتاوله السنة بعض الزملاء بالسخرية ! وفي نفس الوقت تفرض علينا

مسئوليتنا ازاء الزملاء تفسير سياسى ونظرى لاستمرار وجودهم فى السجن ، أن تسجن لانك تعارضى النظام شىء مفهوم ومقبول • ولكن أن تسجن وأنب تؤيد وتساند هذا النظام مسألة لا تقبلها الا اذا كنت نملك قدرة نظرية كبيرة ورؤية سياسية واضحة مستمدة منها • ولقد أثبتت التجربة صحة موقفنا الفكرى والسياسى وظل الزملاء صامدين متماسكين • غير أن موقف الاخوان المسلمين، « المؤيدين » كان ضعيفا ، فبعد أن كان عددهم بزداد ، أخذ بضيق ، فتركهم عدد كبير وعادوا الى الاخوان المسلمين « المعارضين » • وبعد أن كان « المعارضون » والمؤيدون يعيشون معا أصر المعارضون على عزل المؤيدين فى خيام خاصة • ومع الساعات الأولى لصباح يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ سمعنا خبر العدوان الثلاثى على مصر ، واشتعلت مشاعرنا وجرت أحداث أحكى لك تفاصيلها فى الرسالة المقبلة يا حبيبتي

١٨ يوليو ١٩٧٧
القاهرة

ملحوظات لابد منها • وسؤال •

الملاحظة الأولى : يوافق اليوم - ١٨ يوليو ١٩٧٧ - الذكرى الخامسة

والعشرين للقبض على فى ١٨ يوليو ١٩٥٢ •

الملاحظة الثانية : بعد أربعة أيام من اعتقالى قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢

وبقيت فى السجن حتى ٤ ابريل ١٩٦٤ •

الملاحظة الثالثة : بعد أربعة أعوام وأربعة أيام قضيتها فى السجن

صدر قرار تأميم قناة السويس •

الملاحظة الرابعة : تستعد الصحف والاذاعة والتليفزيون للاحتفال باليوبيل

الفضى لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ •

السؤال : كم كان عمرك يا حبيبتي يوم صدر قرار تأميم

القناة • وهل كان جيلك يعرف عن وجودنا وراء الاسوار ؟

الرسالة رقم (٣٣)

حبيبتى

فى مساء يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ ، كنا مثل بعض أبناء البيت الذين قيديهم أبناء آخرين من نفس البيت حتى لا يقاوموا اللصوص الذين اقتحموه لسرقته والاعتداء على حرماته ! لمصلحة من ينسلون مقاومتنا لهؤلاء اللصوص ؟

اللصوص والسفاحون يسرقون ويقتلون كل أبناء البيت وهم لا يتعاونون الا مع أولئك الذين يخونون حرمة البيت الذى آواهم . واخوننا الذين يقيديهم يتعرضون لنفس ما يتعرض له أبناء البيت البررة .

وانسرك لك يا حبيبتى تصور حالة الزملاء الملقى بهم فى قلب الصحراء ، وبلادهم الحبيبة يعتدى عليها الغزاة الاستعماريون والصهاينة . كانوا أسودا وضعوا فى أقفاص . ومن الذى وضعهم ؟ أخوتهم الذين بجمع بينهم شرف الانتماء للبيت الواحد . لكن حالتى فاقت كل تصور فى تلك اللحظة . الملك يقبض على ، وحكام ثورة ٢٣ يوليو يحكمون على بالأشغال الشاقة ثم يحرموننى من شرف الدفاع عن بلادى !

الزملاء جميعا يتجمعون فى حلقات حول عدد من أجهزة الراديو «البرانزستور» مع جميع اذاعات العالم ، ويرتفع صوت من بين احدى الحلقات:

— الجبوس الاسعماريه .. اجتازت ممر مثلا ..

— أى اذاعه ؟

— لنسكن .

— كذب لا تصدموها .

وبرنفع صوت آخر ..

— اسرائيل اداعت نفس الخبر ..

ونصيح أصوات غاضبة:

— كذب .. كذب ..

ويأتى صوت مالك حزين .. حزين ..

— الخبر صحيح يا زملا ..

وتصيح كل الأصوات ..

— لا .. لا .. مش ممكن ..

— الخبر من راديو القاهرة ..

وبسود صمت رهيب . راحت سبنا . ربما يكونون غدا في مدن القنساء . هل يحتلونها ؟ هل يحمل الشعب السلاح ليدافع عن أرضه ووطنه؟ الموقف العسكري خطير جدا ؟ لماذا ؟

البكبانسي أركان حرب فؤاد جاسر من الاخوان المؤيدين - ينرح لنا الموقف العسكري على سبورة ، أن يمر الغزاة من ممر متلا معناه احتلال كل سيناء . الا تستطيع جيوشنا أن توقف تقدم الغزاة ؟ لا . مستحيل ؟ ما العمل اذن ؟

وباتي البنا صوت فؤاد جاسر حزينا ، ممزقا ، مكسورا :
- لابد من انسحاب جيوشنا الى ضفة القنساء .

وفي صباح يوم ٣٠ أكتوبر نسمع خبر صدور الأوامر بالانسحاب من سيناء ! لم تعد الحرب نظامية بين جيوش فقط . انها حرب شعبية . وهل يملك الشعب السلاح ؟ ويأتينا صوت جهال عبد القاصر من الجامع الأزهر ..

سنقاتل .. سنقاتل ..

وتصل أخبار حمل الشعب للسلاح في مدن القنساء وفي القاهرة . ليقاوم الغزاة !

دماؤنا تغلى . وأعصابنا لم تعد تحتل . هذه أرضنا ونحن أخلص أبناءها . ايدينا التي يكبلها الحكام يجب ان تحمل السلاح مع الشعب في وجه المعتدين الغزاة . وأصبح زكي مراد في صباح اليوم التالي للعدوان على بلادنا ونذهب الى المأهور ، في الطريق الى مكتبه نتفق على كل شيء . دون أي مقدمات يقول زكي مراد :

- نرجو أن تبلغ القاهرة ما يأتي : ' اذا لم يصدر قرار الافراج عنا في ظرف ٤٨ ساعة هن الآن نعلمهم أن يتحملوا مسئولية ما يحدث هنا .
- ويلاحظ المأهور الانفعالات على وجهنا فيقول بصوت ودود :
- يا جماعة أصبروا الحكومة عارفة موقفكم الوطني العظيم .. وأقول بغضب ..

- لم يعد شرف معرفتها لموقنا له أي أهمية ..
- ويحاول المأهور تلطيف الموقف ..

- ده برضه بساعدي في مسألة الافراج ..
- لا أحد يملك منع مواطن من شرف الدفاع عن أرضه .
- أنتو عارفين - الرئيس مشغول في المعركة .
- ونحن .. السنا جزءا من هذه المعركة ؟
- يعني .. المسألة تحتاج لبعض الاجراءات
ويقول زكي مراد بغضب :
- اجراءات أيه ؟ دي كلمة يقولها ..

- وأكمل
- ولا بد أن يقولها •• والا ••
- ويقول المأمور ••
- طيب أدوني فرصة كافية ••
- ونقول بحسم :
- ٤٨ ساعة من الآن •• ليس أكثر ••
- وأنا في أيدي أيه ؟
- في أيديك أن تتصل باللاسلكي بالقاهرة •• الآن ••
- سأفعل ••
- وإذا مضت ٤٨ ساعة ولم نخرج من السجن فسيكون هناك تصرف آخر ••
- زى أيه مثلا ؟
- ويقول زكى مراد :
- سننظم جميعا أمام بوابة السجن ونطلب من سيادتكم السماح لنا بالخروج والذهاب الى القاهرة لحمل السلاح ضد الغزاة المستعمرين ••
- ويقاطعه المأمور :
- وأنت عارف اننى لا أملك هذا ••
- طبعاً نعرف هذا ••
- اخن ما الذى تنتظره منى ؟
- وارد عليه :
- أن تقوم بتنفيذ ما يملكه عليك واجبك
- ويسأل المأمور :
- واجبى الوظيفة •• أو الوطنى ••
- نتمنى أن يكون الواجب الوطنى
- وأكل عيشى ؟
- هذه ظروف استثنائية
- لكننى موظف أولاً ••
- فى مثل هذه الظروف أنت وطنى أولاً ••
- ونلمح الدموع تتجمع فى عيون الرجل الوطنى
- لا أستطيع الا أن انحنى احتراما لكم •• لكن أرجو أن تقدرنا موقفى ••
- ويقول زكى مراد :
- نحن نقدر موقفك تماما حتى ولو تغلب واجبك الوظيفة على الواجب الوطنى ••
- وهل تعرفون نتائج القيام بواجب الوظيفة ••
- وأقول :

- نعرفه جيدا .. ستطلقون علينا الرصاص عند خروجنا من السجن ..
- وهل أنتم مستعدون لذلك ؟
- ويرد زكي مراد بحسم :
- كل الاستعداد ..
- وترسم علامات الدهشة ممزوجة بالاعجاب والتقدير على وجه المأمور :
- سيسقط منكم ضحايا .. والباقي لن يخرج ..
- لا سنخرج جميعا من بوابة السجن .. أحياء أو أمواتا ..
- ويتصاعل المأمور :
- وما الذى تجنونه من وراء ذلك ؟
- واقول ساخرا :
- حتى تصل المأساة الى ذروتها ..
- لحظة صمت تمر كأنها دهر .. نلاحظ خلالها وجه المأمور يجسد ما فى داخله .. هؤلاء الناس اذا قالوا شيئا فعلوه .. خروجهم من باب السجن ليس له سوى معنى واحد .. هو محاولة الهروب .. والقانون صارم ، اطلاق الرصاص على المسجون الذى يحاول الهروب .. هؤلاء أول مسجونين يعلنون عن عزمهم للهروب ويحددون له موعدا .. وهم لا يهربون من أجل ارتكاب جرائم ، وانما كي يهوتوا فى ساحة الشرف .. عجبنا لهم من بشر .. يهربون للموت وليس للحياة ..
- وفجأة يسأل المأمور :
- هل انتم مستعدون لتسجيل موقفكم هذا والتوقيع عليه ،
- ونقول فى نفس واحد .
- وفورا ..
- ويتناول زكي مراد الورقة والقلم من المأمور ويسجل عليها مطلبنا ..
- الامراج عنا كي نموت فى ساحة القتال برصاص الفزة خلال ٤٨ ساعة أو استمرار سجننا والموت برصاص الحكومة الوطنية على باب السجن .. ويوقع وأوقع بعده ..
- واضح أن الحكاية جد خالص ..
- عهدك بنا لا نقول الا الجد ..
- اذا أعطونى فرصة للتصرف ..
- نرجو أن يكون بسرعة ..
- سأذهب فورا الى المحافظ وأطلعته على ما دار بيننا وعلى هذه الوثيقة ..
- وأطلب منه ان يبلغ رئاسة الجمهورية بمضمونها ..
- نأمل أن نعرف النتيجة على وجه السرعة
- ويقول ضاحكا :
- ربما يحتاج الامر اطالة مدة الانذار ٢٤ ساعة ..

ويقول زكي مراد بحماس شديد :

- ولا ساعة واحدة ..

واكمل :

- وهو ليس انذار ..

- ما هو اذن ؟

- هو موقف .. والانسان موقف .

ويضمنى زكي مراد بحب ، ويقول :

- عنوان محاضرة نسمعها اليوم منك .

- ومطلع قصيدة تنشدها لنا اليوم أيضا .

ويطلب المأمور ان لا تبدأ المحاضرة قبل عودته من عند المحاضرة .

فهو يريد أن يسمعها مع الزملاء ، كما يسعه أن يسمع القصيدة . ربما لم يشهد أى سجن فى العالم ما شهده سجن جناح بالوحدات الخارجة فى ذلك اليوم . اجتماع يضم المسجونون الشيوعيون والاخوان المسلمين المؤيدون للحكم الوطنى ، والمسجونون العاديون ، وكل السجانة وكل الضباط ومعهم مأمور السجن يستمعون لأكثر من ثلاث ساعات محاضرة عنوانها « الانسان موقف » ، وقصيدة مطلعها هاتين الكلمتين . كان الرانيو يذيع نشرة أخبار كل ساعة وكنا حريصين على أن لا تعطل المحاضرة سماع نشرة القاهرة ، وكل اداعات العالم . وجلس الزملاء الذين يحملون الراديوهات « النرارسنور » يسمعون الاخبار بواسطة السماعة ، بأذن ، ويسمعون المحاضرة بالأذن الأخرى .

بعد حوالى ساعه من بدء المحاضرة ، رفع زميل يحمل راديو يده أشار الى خبر هام ..

- الرئيس جمال عبد الناصر يوجه نداء للمعسكر الاشتراكى ولكل القوى التقدمية فى العالم الوقوف الى جانب مصر فى معركتها ضد الاستعماربين والصهابنة والغراء .

وتلتهب الاكف بالتصفيق دقائق . واعدو الى المحاضرة :

تمضى أقل من نصف ساعة .. وترتفع يد زميل آخر من حملة الراديوهات .

- الاذاعة توقفت عن الارسال .

أتوقف ، وتكاد قلوبنا تتوقف عن ضخ الدماء الى أجسامنا .

لهفة عليك يا أرضنا الحبيبة ، حرمونا من شرف يذل دماؤنا فوق

قرباك المقدس ، لا ، لن تجمد دماؤنا فى عروقنا ، اليقين فى أعماقنا

يحمى قلوبنا ولن تتوقف أبدا عن ضخ دماء الحياة لأجسامنا ، حتى

تبدلها فداء لك يا مصر يا حبيبتي .

ويبدد الصمت أصوات ترتفع :

- تمكن المهندسون (١) المصريون من تجهيز عربة اذاعة حتى يتم اصلاح محطة الاذاعة التي تعطلت .
 أكف الحاضرين تلهب من التصفيق وتعلو الهتافات بحياة الشعب الذى لا يقهر . وأعود الى محاضرة « الانسان موقف » بعدما ينشد زكى مراد قصيدته . ثم نردد مع أم كلثوم . . . والله زمان يا سلاحي اشتقت لك فى كفاحي ، أنطق وقول أنا صاحبي يا شعب والله زمان . ومع فائدة كامل . دع سمائي فسمائي محرقة ، دع مياهي مياهي مفرقة . . الخ .
 ونستقبل نور فجر اليوم الجديد بنفس هائلة ، وقلوب مطمئنة ، وروح شفافة متصوفة ، كانت لنا مواقف كثيرة ، قبل السجن وخلال ، لكن موقفنا هذا جسد الانسان فى سموه وعظمته ، الانسان الذى لا يقهره شيء . . حتى الموت ذاته .
 وفى الصباح تحمل لنا زيارة من أهلنا انباء هامة ، تجعلنا أكثر اصرارا على الموقف الذى اخترناه ، أحكيها لك يا حبيبتي فى الرسالة المقبلة .

٢١ يوليو ١٩٧٧
 القاهرة

(١) كان على رأس هؤلاء المهتمسين المهندس الدكتور فائق فريد . الفائز بالاول مجلس للأمة عن دائرة روض الفرج . اعتقل فى عام ١٩٥٨ ، ولم ترقع عنه الحصانة البرلمانية .

الرسالة رقم (٣٤)

حبيبتي

ذات يوم من الأيام الأولى في شهر نوفمبر ١٩٥٦ حملت اليينا
زيارة من أهاليها انباء هامة أعطتنا أمل الاشتراك في معركة مصر
المقصة . وازدادد أملنا حين سمعنا اخبارا أخرى من مأمور السجن .
الحكومة توزع السلاح على الشعب . زملاؤنا في الخارج بالاتفاق مع
الحكومة يقومون بتعبئة الجماهير في المعركة ، وينظمون المقاومة الشعبية
في بور سعيد . الجبهة الوطنية تتحقق من خلال المعركة ، والحريات
السياسية تعم كل مناحي الحياة في مصر . فقط لم يبق سوى
الافراج عن المسجونين السياسيين الوطنيين ، وهي مسألة قد أصبحت
أقرب اليينا من حبل الوريد !

- ولماذا لم يصدر قرار الافراج مع قرار التعاون معكم ؟
وجهننا هذا السؤال الى الزميل الذي جاء مع الزيارة وحمل لنا هذه
الأخبار .

- لانه يحتاج الى قانون .
- ربما كان الأفضل أن يصدر عفو سياسي .
- بالعكس القانون أفضل .
- حتى يكتسب نشاطنا مشروعية ؟
- بالضبط . .
- ونشاطكم . . اليس مشروعاً ؟
- بالطبع . .
- من أي شيء يستمد مشروعيته ؟
- من صلتنا بالدولة وعملنا مع أجهزتها .
- وهل ننتظر حتى يصدر القانون ؟
- ويصبح الزميل وكل نبراة صوتته توحى بالتفاؤل الشديد . .
- مشروع القانون أعد بالفعل وسينظر أمام مجلس الأمة .
- وهل تضمنون وقوف أغلبية مجلس الأمة الى جانبنا . . ؟
- وترتفع رنة التفاؤل في كلمات الزميل :
- عدد من مجلس الأمة طالبوا بهذا في مقدماتهم ابو الفضل الجيزاوي

و . . .

ويهمس :

- اطمئنوا ما دام الرئيس عاوز كده .. لازم مجلس الأمة يوافق ..
- وأتسأل بسخرية ..
- وهوه الرئيس عاوز يفرج عنا ؟
- ليس فى ذلك أدنى شك .
- اذن فلبيصدر قانون يعرضه بعد ذلك على مجلس الأمة .
- قانون يصدر من مجلس الأمة أقوى من قانون يصدره رئيس الجمهورية .
- وهل احتاج قرار توزيع السلاح على الشعب الى قانون يوافق عليه مجلس الأمة ؟
- توزيع السلاح ده قرار سياسى .
- لكنه يستند الى قانون .
- وهذا ما حدث .. وبسرعة ..
- الا تستحق قضية الافراج مثل هذه السرعة ؟
- ويستنكر الزميل هذا الكلام .
- ده بقى موقف ذاتى . !
- وأقول بغضب :
- الافراج عن الوطنيين فى ظروف غزو استعماري يبقى موقف ذاتى ؟
- الاحاج عليه يتحول الى موقف ذاتى .
- وهل اطلاق الحريات السياسية موقف ذاتى ؟
- طبعا لا ..
- لماذا اذن هذا الفصل التصفي بين الحريات السياسية والافراج عن المسجونين السياسيين ؟
- ربما لخوفنا من أن يفهموا أننا نضع شروطا ؟
- أخشى أن تكون هناك أسبابا أخرى !
- وينقطع الحوار فترة حول هذا الموضوع ، ثم يعود مرة أخرى .
- حين يأتي المأمور ومعه أنباء أخرى ، يقول :
- جاءت برقية من رئاسة الجمهورية صباح اليوم .
- خيرا ..
- شكر وتقدير لموقفكم الوطنى المشرف .
- تانى !
- ويشاركنا المأمور بتعبيرات وجهه وليتسامته ، سخریتنا :
- على العموم لازم تعطوهم فرصة ..
- تانى !
- يا جماعة ليه بس التشاؤم ده ..

- على العموم • باقى من الزمن ٢٤ ساعة • •
- ده ببقى ببقى انذار • • مش موقف • •
- ليه بقى • • ؟
- ممكن نعدّل الموقف • •
- هذا اذا استجّدت ظروف نستدعى تعديله • •
- بى توزع السلاح على السعّب ، واستراك زملائكم فى المعركة مع
الحكومة دى مس ظروف جديده ؟
- هى بالفعل ظروف جديدة • • تجعلنا أكثر اصراراً على موقفنا •
- وبكاد المأمور أن بتوسّل لنا • ويقول :
- أرجوكم لا تضعونى فى موقف حرج •
- ولماذا تضع نفسك فى موقف حرج ؟
- سأكون مضطراً الى القبام بواجبى الوظيفى •
- لا نضمّ سهّ وحّدك •
- كسّف •
- اطلب حضور المحافظ واترك له الأمر •
- عداً يصرّ على أنه تفصير فى تأديته وظيفتى • •
- أمّون من أن يكون وظيفتك هى اطلاق الرصاص علينا •
- يسرد سره من الصف • كان الحوار مع المأمور يدور معنا على
مسمع من أعلى ومن الرّملاء الذين جاؤا لزيارتنا ، لكنهم لم يفهموا شيئاً
من الحوار حتى أحرّ كلمه منه • لم يعكّر كل ما شهدناه من
خوف وطمع وسؤال فى وحوه الزوار من هدوء أنفسنا الذى يعكسه
برسّ الاصرار فى عبوننا • ويبدأ المأمور محاولة كسب الزوار الى
حاسبه • ولم يعبر الدموع الى جرت من عبون الأم والزوجة والأخت ، من
موقفنا ، وبقى الزميل آخر ما فى جعبته •
- ده موقف استغزى •
- لمن ؟
- للسلطة •
- لماذا ؟
- لأنهم سبفسرونها على أنها حرفة للمركبة
لكن ما تفسيّر أكست ؟
- الى حد كبير هو كذلك • •
- ونقولى تعليقات الرّملاء :
- البعض يستفزون • •
- والبعض بطبطبون • •

- اللي ايده فى الميه •
 - مش زى اللي ايده فى النار •
 - البعض يقاومون •
 - والبعض مسجونون •
 - يد تطلق الرصاص على الاعداء •
 - واليد الأخرى تطلقه على الأصدقاء •
 - أحسن جبهة وطنية •
 - وآخر صيحة نظرية •
- سخرية لاذعة تجسد كل ما فى داخلنا ، اصرار على الموقف الذى اخترناه ، رضى لكل الأوهام التى نسجها زملاؤنا فى الخارج ارضاء لذواتهم ، واحساس مريير بالأسى من موقفهم الذاتى •
- ويتوجه الأمور الى عربته وقبل أن تتحرك به ، يقول لنا :
- أنا رابع اتفاهم تانى مع الحافظ • • ونصل بالقاهرة •
- راديو القاهرة لا يتوقف صوته الذى يسمعه كل من فى السجن ، يذيع الأغاني الثورية والانشيد الوطنية • وآذان بعض الزملاء على كل اذاعات العالم يتابعون أخبار الحرب العدوانية على بلادنا •
- يفتح المذيع الاناشيد والأغاني الوطنية ويعلن :
- قوات العدو تغزو بورسعيد • • المعارك تدور فى منطقة الجميل •
- ويعود الراديو لمواصلة اذاعة الاناشيد الوطنية • وتغلى الدماء فى عروقنا •
- ويعلن المذيع •
- المقاومة الشعبية تطارد قوات الاحتلال ، بورسعيد يا مدينة البواسل وقلعة الاحرار • قاومى الاحتلال • •
- وتعود الاناشيد • • وترتفع صيحات الزملاء ، نستنكر هذا الموقف من جانب الحكومة الوطنية • انها حمانقود الشعب فى معركة المصير ، فلماذا يحرموننا من شرف المعركة ولصلحة من ؟ ونحور منافسات حادة بين الزملاء والاخوان المسلمين المؤيدين من جانب والاخوان المسلمين المعارضين من الجانب الآخر :
- ماذا حنبتكم من تأييدكم للحكومة ؟
 - هو موقف سباسبى لا ننتظر من ورائه سبنا •
 - ومطلب الافراج عنكم ؟
 - جزء من الحركات السباسبية •
 - ومتى يفرج عنكم ؟
 - هذا ما تقرره المعركة •
 - قد تطول ولا يفرج عنكم ؟

- لن يغير هذا من موقفنا •
- ويعلو صوت مذياع راديو القاهرة :
- الاتحاد السوفيتي يوجه انذارا للمعنديين الغزاة •
- يصفق الزملاء والاخوان « المؤيدون » ، وبعلى بعض الاخوان المعارضين
- لمصلحة من هذا الانذار ؟
- لمصلحة المعركة المنتركة ضد الاستعمار •
- سيكون النمن باهظا •
- منلا •
- احلال استعمار محل استعمار آخر ••
- وما رأيك فى الآخر ؟
- أهون الشرين •
- كذا •
- نعم •• وما رأيك ؟
- مصر الحرة المستقلة •
- وتحاول بعض العناصر من الاخوان المعارضين اسفزاز الاخوان المؤيديين •
- سرسر الأتصاف وعلو الأصوات ، تبادل السائم ، والابدى
- ببسادك • وبكاد معركة ننسب بين الطرفين • لكن صوت العفل يعلو ،
- وبعود الهدوء • بوقف المناصبات والاستمزازات المتبادلة ، وينمق على
- عدم اساره اى مناصبات جماعه والنمسك باحرام كل لماسعر وفكر
- الآخر •
- صوب « البروجى » بعلو بنغمة خاصة بعرف معناها المسجونون
- مى سجونهم ، ورجال الحنس فى كتابهم . رباره أحد لواءات الجيش
- أو البوليس •
- أى نوع من اللواءات يا نرى ؟
- الحامط لواء •• ومدير مصلحة السجون لواء •• ومدير المباحث
- العامة لواء •
- العربة السوداء فى مقدمتها علم « اللواء » تجرى بسرعة نحو
- باب السجن ، وصوت « البروجى » لا يكف عن الصباح ، وراديو
- القاهرة بواصل اذاعه الاناسيد والاعانى الوطنية ، ونمس الظهيرة
- اللافحة فى الصحراء ، لا تحول دون وفوق الزملاء ، باب السجن ،
- وفوق الرمال المتهبة ، فى انتظار ما يحدث ويرفع صوت حاسم •
- موقفنا كما هو لم يتغير •
- أذهب أنا وزكى مراد لاستقبال اللواء القادم الينا •
- ينقدم الينا اللواء المحافظ وعلى وجهه ابنسامة عريضة ويسلم
- علينا باليد بود ملحوظ ، ويقول :

- أحمل أخبارا هامة اليكم .
- خيرا .
- برقيه من رئاسة الجمهورية تعدد بالافراج العاجل .
- كنا نود أن يحمل البرقية قرار الافراج .
- مجلس الأمة سيناقش الامر عدا .
- ربما نطول المناقشة .
- لا اعتقد . . مطلوب منه اصدار قانون بسرعة .
- وهل تتحمل أعصابنا الانتظار وجزء من أرضنا تدنسها قوات الاحتلال ؟

- أعرف عنكم القدرة على التحمل .
- نحن غير مفتنعين بهذا .
- أجدر بكم أن تثقوا بقيادة المعركة .
- كل الثقة بجديتها في المعركة .
- من المنطقي ادن أن نتقوا بوعودها لكم .
- تجربة الأيام الماضية - منذ فرار تأميم القناة - علمتنا الحذر .
- ربما كان من الأفضل لكم أن تراجعوا موقفكم .
- نرجو أن لا يكون ذلك نهديدا .
- بل هو واجب الوظيفة . .
- نحن لا نعترض . .
- وتعرفون النتائج . .
- نعرفها جيدا . .
- أنتم ننتحرون .
- لا . . . وانما نسجل موقفنا .
- ويضحك المأمور ، ويقول :
- الانسان موقف .

ويبدو على المحافظ عدم الفهم . ويشرح له المأمور ما سمعه في المحاضرة ، وتكسو وجهه تعبيرات الدهشة ممزوجة بتعابير الاعجاب والتقدير . يقول :

- لم أكن اتصور الامر بهذه الدرجة .
 - ألم ينقل اليكم المأمور حوارنا معه ؟
 - ليس من سمع كمن رأى .
 - وما أنت قد سمعت ورأيت .
 - وتضاعف حرج موقفى .
 - نأسف . . ونرجو أن تتقدروا موقفنا .
- وتتوالى رجاءات المحافظ والمأمور وعدد من ضباط السجن وبعض الاخوان

المسلمين الذين كانوا يناهون الحوار :

- انتظار كام يوم لن يفل من قيمه موقفكم .
- انتم في منزلة أولادى .
- فى الثانى السلامة .
- البس لكم أولاد ؟
- وزوجات وأمهات ؟
- ويذهب المامور الى خيمة الزوار ويصطحبهم اليها :
- يا ولادى .. حرام شبابكم .
- أولادكم مين يربيهم ؟
- وزوجاتكم .. ليه يتربلوا بدرى .
- وامهاتكم .. رح تبقى حالتهم آيه ..

- و . و . و . و بنتحى بنا اليكباسى فؤاد جاسر جانبنا ويهمس :
- أنا رايبى كصدى ننظروا كام يوم ..
- انتظرنا طويلا ..
- انتظار كام يوم كمان لن يقلل من موقفكم .
- ولن يغير أيضا من موقفهم .
- وقتئذ يكون الحق معكم تماما .
- اوليس الحق معنا منذ زمن ؟
- اقصد حى مسئوليتكم عن أرواح زملائكم ..

مسئوليتنا عن أرواح زملائنا قبل مسئوليتنا عن أرواحنا نحن .
 لكن الزملاء ممثلون حماسا . انهم مفتنعون تماما بهذا الموقف . القرار
 ليس قرارنا . انه قرار كل الزملاء وبالاجماع . هل اهتز اقتناعنا أمام
 كل ما سمعناه . من توسلات ، وما رأيناه من دموع فى العيون ؟
 هل يكون تأجيل الموقف ضعفا منا ؟ وهل الاصرار عليه بعد
 كل ما سمعناه ورأيناه يعتبر موقفا جامدا ؟ . موقفنا واضح ومحدد
 يعرفه كل المسئولين وكل اهالىنا وبالتالى قطاع هام من الجماهير ،
 وقد رتبنا على تنفيذه ليست محل تساؤل ، الانتظار عدة أيام أخرى
 سيكون فى صالحنا . اذا صدر القانون من مجلس
 الأمة ، فقد كسبنا الافراج ، واذا لم يصدر واتضحت نواياهم بعدم
 الافراج نكسب نطف اوسع قطاعات من الجماهير رمز بسقط يخلد فى سجل
 الشهداء .

- كان ما بدور فى داخلى هو نفس ما يدور بداخل زكى مراد :
- آيه رأيك يا زكى ؟
- نعود الى الزملاء .. نناقشهم .

- أفضل أن نعود برأى واحد .
- وما رأيك ؟
- المساومة .
- كم يوما ؟
- أربعة أيام أخرى .
- موافق .

وفبل أن يعود الحوار مع المحافظ والمأمور نشترط .
- ما سنتوصل اليه يتوقف تنفيذه على موافقة كل الزملاء .

- ويبتسم المحافظ . .
- يعنى الرجوع لمجلس الامة .
- تقريبا .
- ماذا تقترحون ؟
- التاجيل أربعة أيام . .
- خلوها سبعة أيام . .
- ولماذا سبعة ؟
- اذهب خلالها الى القاهرة لعرض الامر بنفسى .
- وستتأرد المأمور .
- وينتهى مجلس الامة من المناقشة . .
- نقسم البلد نصفين .
- وبضحك المأمور :
- يبقى خمسة أيام ونصف . . بلاش كسور .
- اذن خمسة أيام . .
- لا ستة . .
- اذن اتفقنا . .
- ليس قبل موافقة الزملاء ☹

ويذهب معنا الى الزملاء ، فؤاد جاسر وحسين حموده وعدد من أصدقائنا من الاخوان المسلمين المؤيدين . وبعد اجتماع يستمر أكثر من ساعة نبذل خلاله جهدا مكثفا لاقتناعهم ، تارة بشرح مستفيض لموقفنا خلال الحوار مع المحافظ والمأمور ، وتارة أخرى بشرح الظروف الموضوعية الآن ، وبعد التاجيل ، وانها سوف تكون فى صالح موقفنا فى كل الاحتمالات فنصل الى موقف الاجماع الكامل .

وحين يسمع المحافظ والمأمور والضباط قرار الزملاء جميعا بالموافقة ، تتهلل وجوههم فرحا ، ويعدون ببذل كل الجهود حتى يفرج عنا .

وتجرى الاحداث بسرعة مذهلة ، مع كل حدث ترتفع موجة التفاؤل.
وتتوقع افراجا سريعا ، لكن حدثا بعينه يدمع بقصبة الافراج غمسا
الى الخلف ، ويدفع في نفس الوقت المعركة الى بداية النهاية .
احكى لك عنه في الرسالة المقبلة يا حبيبتي .

٢٣ يوليو ١٩٧٧

القاهرة

الرسالة رقم (٣٥)

حبيبتي

فى نفس اللحظة التى توفى فيها القتال يوم ٦ نوفمبر ، الغينا
 غراربا الذى حدثك عنه فى رسالتي السابقين . أحس بسيفك نتحرك
 لتسالى سؤالاً أعرفه ، وتعرفين أنت اجابته ، لكن بريق عينيك يطلب
 المزيد .

فرارنا السابق الذى ألغيناه كانت حبياته تتلخص فى كلمات :
 ان ننهى جسدا برصاص الحكومة الوطنية ، خبر من أن نموت من
 الداخل حين نرى أرضنا المقدسة تدنسها أقدام الاستعماريين الصهاينة ،
 ونحس هنا فى السجن مكبلون . ولم تكن فرارنا هذا بسبب الرغبة
 فى الاستمتاع بحياة آمنة مستقرة بين الأهل والأصدقاء ، وإنما كان
 لهدف محدد هو أن نخرج من السجن الى ساحة القتال مباشرة . وكنا
 على استعداد للعودة الى السجن مرة أخرى اذا لم نل شرف الاستشهاد
 فى ميدان القتال ، اذا ما استرط الحكام ذلك ! كان موقفنا يا حبيبتي
 صادقا كل الصديق ، غايته محددة ووسيلته جزء من هذه الغاية ،
 فالوسيلة عند الثوريين ليست مبررا لها ، كما بفعل الانتهازيون
 والوصوليون . ان كانت عابثك شريفة فجب أن تكون وسيلتك الى هذه
 الغاية شريفة حتى ولو كان نعمها الموت .

هذه المعاني كانت محور حديثنا مع مامور السجن بعد انتهاء
 المدة الممنوحة لها كي نعلن تمردنا ونخرج من باب السجن اذا لم يفرج
 عنا وبالتالي نعرض للرصاص ، قال :

- اقترح أن تنتظروا لبعض الوقت ولا تقلقوا ..
 - سننتظر طويلا .. ربما حتى انتهاء مدة عقوبة السجن وربما
 - سنوات أخرى بعدها ..

قال بدهشة :

- وموقفكم السابق .. هل عدلتم عنه ؟

- لم يعد له ما يبرره .. والغينا .

- هل يمكن أن أعرف السبب ؟

- ليس خوفاً أوجبننا .
- لم يسدر هذا بخاطري ..
- وإنما لأن الظروف قد تغيرت بعد وقف القتال .
- ظننت انكم وجدتم فيها فرصة للضغط ..
- عفوا .. وبعض الظن أتم .
- ربما لأنى لا أفهم العلاقة بين موقفكم الحالى وبين وقف القتال .
- كانت غايئنا أن نخرج من هنا الى ميدان القتال مباشرة ، ويعود الى السجن من بقى حيا منا ، اذا استمر ذلك الحكام !
- دقات نداء العشاء تدعونا ، ويفعل المأمور والضباط دعوتنا لتناول الطعام معنا . ويستمر التواصل الانسانى بين المسجونين ورجال ادارة السجن ، أثناء تناول العشاء ، وخلال الحفلة الساهرة ، التى أحيها الزملاء لمناسبة وقف القتال .
- كانت هذه أول حفلة نقيمها منذ بدأ العدوان على بلادنا .
- وبعد انتهاء الحفلة وقبل أن ينصرف المأمور ، عائدا الى منزله يقول :
- كل يوم اكتشف فيكم جديدا
- نرجو ان يكون محل تقديركم
- كل التقدير
- وما آخر جديد اكتشفته ؟
- قدرتكم على العطاء كبيرة
- ولكنهم بحسبوننا هنا في قلب الصحراء .
- ورغم ذلك فمطاؤكم لا بنوقف .. حتى في الصحراء !
- كان المأمور يشير الى نشاطنا الثقافى والتعليمى فى سجن « جناح »
- **بالواحات الخارجة** . كما قلت لك يا حبيبتي فى رسالة سابقة ، اننا وصلنا الواحات ولم نكن بها الامكانيات التى تسمح بالحد الأدنى للحياة .
- وكان أول ما فطنا به هو توصيل المباء الى السجن ، واعداد مطبخ لطهى الطعام ، ومخبز لخبز العيش ، ومستشفى . بعد ذلك قمنا باعداد « كافتيريا » ننناول فيها وجبات الطعام . ونستخدمها فى القاء المحاضرات ، كما كنا نستخدمها كمدرسة . أكثر من ٢٠ مسجوناً من المسجونين العاديين الذين جاؤا معنا كانوا أميين ، تعلموا القراءة والكتابة وبعضهم درس حتى الاعدادية . وبعضهم حتى الثانوية العامة . واثنان التحق بالجامعة ، وأكثر من ١٠ سجاناً وأصلحوا دراستهم ومنهم من التحق بالجامعة . فى نفس الوقت فتحتنا فصول دراسية للزملاء الذين لم يتموا تعليمهم ، وفصول للغات المختلفة ، والرياضة ، والرسم .
- كثير من الزملاء تعلم الرسم على يد وليم اسحق وسعيد عبد الوهاب وكان « لك الصحراء » خيمة خاصة يستخدمها كمدرسة بعد أن تمام هو بنفسه بصنع الحامل والبراويز التى يشد عليها القماش . ان عدد

اللوحات التي رسمها ولم اسحق للزملاء . وللزوار من أهاليينا ، وللسجامة والضباط نكفي لأكثر من ثلاثة معارض كبيرة . كان أملا « ملك الصحراء » بعد أن توقف عن الرسم ما يقرب من أربع سنوات ، أن يرسم . وتكاتف الزملاء جميعا كي يحققوا له هذا الأمل ، بمساعدة المأمور والضباط والاصدقاء توفر له كل ما يلزمه من مماس واللوان زيت وجواش وورق وخلافه .

ما زالت صورته وليم في ذاكرتي حين وصله أول طرد به القماش والالوان والفرس . احتصنهم بحب وأخذ يجري في انحاء السجن يصيح :

- راح ابتدى ارسـم تانى .. أنا ملك .. أنا ملك .
- ملك ايه يا وليم .. ما خلاص منيش ملوك ..
- لا فيه .. أنا ملك .. أنا ملك الصحراء
- لكن أنت ما تنفعش ملك يا وليم .
- مش الملك يملك ..
- وبيقولوا أنه لا يحكم
- أنا أملك الآن ما استطيع أن أعبر به بالفن
- تبقى ملك الفن ..
- لا .. ملك الصحراء .. لأن في هذه الصحراء الجرداء راح أخلق فيها فن .

- يعنى مش راح تحكم
- لا .. سايب لكم الحكم ..
- ويكمل ضاحكا ..
- فى المشمش طبعاً !
- أذكر أنه ظل يعمل طوال النهار فى صنع الحامل وبعض البراويـز الخشب ليشد عليها قماش الرسم . وظل طول الليل يصنع كرسي خاص ليجلس عليه أثناء الرسم وبعد « الطبيعة الصامتة » التي سيرسمها فى الصباح، كنت معه كل تلك الساعات أقوم بعمل صبي النجار حيناً ، وصبي الفنان حيناً آخر ، وبين الحدن والآخر نعمل فهوة « بن غامى » .
- يا درش البن ده قنططه اليمن طول عمرى أشتريه من الراجل الخواجة اليونانى فى شارع سبرا ، عارفه ؟

- مش واخذ بالى يا ملك ..
- يا أخى اللى جنب الملة « ملة سبرا » المنسورة ..
- أيوه .. أبوه .. افكرت .. لكن يعنى لازم البن ده ؟
- مش ممكن أشرب الا « قشطة اليمن » .
- وكان يرفض باستمرار أن يقوم أحد بعمل القهوة .
- أصل عمل القهوة فن

- طيب أولع لك الوابور .
- وابور أيه بس .. هيه برضه القهوة نعمل على وابور
- أمال تقعمل على أبيه ؟
- على نار هادية جدا
- ويوم بعمل كومه صغيرة من الرمل ، وبصع عليها قطعاً من ثصون
الاشجار الجافة بعد أن يقطعها قطعاً صغيره . نم يسعل فيها النار
وينزكها حتى نحول الى جمرات :
- طبب أحط الميه والبن والسكر ..
- أيه هوه .. كده مره واحدة .
- بأتى بالكنكة ويبدأ بوضع البن ، نم السكر ، نم الميه .
- ولازم بهذا الترتيب ..
- طبعا .. دى بقى اسمها كيمياء .. ملعقة صغيرة من البن لكل
فنجان و ¼ ملعقة صغيرة من السكر ، نم تصع الميه ، ودى برضه
بالمقاس . المة ببقى أقل شوية من سعة الفنجان .
- وبعدين نملب بالملعقة ..
- شوية قبل وضعها على النار .. وبعدين أثناء وضعها على النار
الهادية .
- ونقعد قد أبيه بفى على نارك الهادية دى ؟
- أنا برضه نارى هادية با درس .. ؟
- مس قصدى ..
- ده أنا مولع من جوه ..
- نار القهوة « الهادية » دى عاوزه ييجى ساعة علشان تغلى .
- وماله مش لازم المسائل تنضج ..
- طبعا .. بس مش على الهادى قوى كده ..
- بالضبط .. يعنى على النار المناسبة .
- وأنت متأكد ان هيه دى النار المناسبة ؟
- النجربة الذاتية .. فضلا عن نجربة الملايين تؤكد هذا ..
- طب الذاتية وفهمناها .. امما حكاية الملايين دى تبفى أيه ؟
- ملايمز الفلاحين ، يا درس .. القهوة .. والنساء .. والأكل .. كله
على السار الهادية دى !
- معاك حق .. اقتنعت .
- نشرب القهوة .. هات الفنجان البنى .. يدى للقهوة طعم .
- آهى دى بقى مش فاهمها .
- أولا . أنا أحب اللون البنى ، لانه لون مصرى اصيل . وثانيا :
القهوة البنى ، أغرق من الفنجان ، ودرجتى اللون تريحنى .

- حبيبي .. اسرار ومنان ..

- أنه ده .. اكتشف حدود ..

- أبدا .. اما ناكسد حقيقة ..

من يملك بكويبا انسانيا حقيقيا لا يملك فقط القفزة على التعامل
الانسانى مع البشر ، وانما على التعامل أيضا مع الأشياء - ويبدأ « ملك
الصحراء » فى اعداد ماده اللوحة التى سيفوم برسمها فى الصباح « حنظل »
جمعه من الصحراء ، و (دوم) كان قد أوصى أحد السجانة بشركته من
« جناح » زهور عباد الشمس وبعض الورد ، وبعض فروع شجر
الخروع . يضعها بطريقة نرم يتأملها من بعيد ، ويعود الى ترتيبها مرة
ثانية بطريقة أخرى .. وثالثة ورابعة .. و .. و .. وأروح فى نوم
عميق . وفى الصباح الباكر أرى وليم وقد جلس أمام الحامل والفرشاة
فى يده . وعلى اللوحة خطوطا وألوانا . جلست أتأمل هذا المشهد
الانسانى . ما الذى يجرى داخل هذا الفنان وهو بمسك بفرشاته لأول
مرة منذ أربع سنوات ، منذ انتزعوها منه ؟ ما الذى سيخرج من
أعماق هذا الفنان ، بعد كل ما لاقاه فى سجون مصر ، وأبى زعبل
وليهمان طره ، والواحات طوال أربع سنوات ؟ ما الذى يريد أن يقوله ،
حين وضع « الحنظل » المرو « الدوم » الشديد الجفاف ، مع زهور عباد
الشمس ، والورد التى زرعناها هنا فى الصحراء ؟

تجرى بده بسرعة على اللوحة ، خطوط . ، ألوان ، أتأمل اللوحة تارة ،
وتارة أخرى أتأمل ما يجرى على وجه هذا الفنان من انفعالات . وفجأة -
رأيت على وجهه ما لم أره أبدا من قبل خلال سنوات السجن . هل يمكنك
يا حبيبتي تصور تعبيرات وجه أم وهى ترى طفلها يذبح أمامها ، وهى
لا تستطيع انفاذه ؟ بالهول ما رأيته على وجه الفنان الصادق الذى يريد
أن يعبر عما فى داخله ولا يستطيع . كان يقف على حافة السكين بكل
كيانه ووجدانه ، ويرفض الهزيمة . وظل صراعه العنيف ضد احساسه
بالهزيمة أكثر من ساعة . القى بالفرشاة وخسبة الألوان جانبا ، والتفت
الى وعلى وجهه ابتسامة تحد :

- مش هو ده اللي أنا عاوز أقوله ..

وأنظر الى اللوحة بالوانها الجميلة وأقول مشجعا :

- مش من أول مرة يا وليم ..

ويخرج من أعماقه تنهيدة طويلة ويقول :

- ودى أول مرة ارسم فيها يا درش ؟

- قصدى معنى منذ أربع سنوات ..

- طيب وانت أيه رأيك فى اللوحة دى ؟

- المهم رأيك أنت الأول ..

- لو شفت اللوحة دى فى معرض نلقت نظرك ؟
- ما كنت عارف يا وليم أنا معلوماتى فى الفن النشكىلى لاتزيد عن معلوماتى عن اللغة الهيروغليفية .
- ويمسك بحجر ويلقى به وبخرق اللوحة ويمزق القماش . ثم يقول :
- ما تعمل لنا فنجان قهوة .
- واقتبول ما زحاً :
- هو انا برضه أعرف أعمل مهوة .
- ويببتسم ابتسامة باهتة :
- زى بعضه أعملها بقى بطريقة « المثقفين » .
- بقدر صدق الانسان مع نفسه بقدر ما يكون احساسه بالهزيمة كبييرا .
- وحين ينتصر على الهزيمة فى نفسه يصبح كالطفل فى طهارته وبراقته وتلقائيته ، حبيبة جسدها لى وليم اسحق الفنان ، حين ظل لمدة شهر كامل ، رسم خلاله أكثر من عشر لوحيات وبمزقها . وفى كل مرة كان يعاني آلاما تفوق طاقة البشر ، حتى أننا دون أن نشعر - فهو يرفض بشراسة أى مجاملة أو عطف - كلفنا الزملاء الذين يتجاوب معهم انسانيا ، بالا بتركوه وحده أبدا وكنت أنا الازمه طول الوقت غيما عدا الأوقات التى أكون مشغولا فيها . وكثيرا ما كان بعض الزملاء يقومون بعمل « النوبتجية » بدلا منى حتى لا أترك وليم .
- وذات يوم لازمته منذ الصباح وهو يكمل لوحة كان قد بدأها .
- وكنت وأنا أتأمله أحس من تعبيرات وجهه بأنه سوف ينتصر على الهزيمة التى ظل يعاني منها طوال شهر كامل . فى الحقائق الأخيرة كان يضع اللمسلات الأخيرة على اللوحة ، وابتسامة هادئة تكسو وجهه ، ووضع الفرشاة جانبا وقال :
- نعمل بقى فنجان قهوة .
- بطريقة الفلاحين والا المثقفين ؟
- يضحك من اعماقه ويقول :
- لا . . . بطريقة الفلاحين طبعاً .
- وجلس يتأمل اللوحة ، وقد استغرقه عالمه الخاص . وجلست الى جانبه أتأمل اللوحة ، لكن شيئا آخر لم يستغرقنى سوى فرحى وسعادتى بانسان احبه انتصر على الهزيمة بعد ان عانى منها طويلا . بعد أن رشف بلذة كبيرة رشفة قهوة مصنوعة من بن « قسطة اليمن » سألنى :
- أيه رأيك بقى يا درش ؟
- قلت ما زحاً :
- فى اللوحة والا فى القهوة ؟
- ويبادلنى المزاح :

- فى المهبوة طبعاً •
- لا • دى مهبوة منغمين •
- طيب وفى اللوحة ؟
- فيها ما نرمد أن تقوله •
- لكن رأيك انت أيه ؟
- ما تقوله رائع وعظم •
- بلسانى أم بفرسانى •
- وهل يمكن الفصل ؟
- كبيرون يفعلون ذلك •
- ليسوا فنانيين • هم آفاقون •
- لكنهم فى الصورة •
- مزيغون داخل اطار صورة مشوّه •
- ويستمر حوارنا منصلاً ، نتحدث ، ونسرب قهوة بطريقة الفلاحين ، ونسمع موسيقى ديهون وناخ وشوبان ، ونأمل الصوره ، ونمشى وسط الصحراء خارج الخيمة بم نعود اليها ، ونعاود التأمل فى الصورة ، وتمتزج أسعه الفجر ، مع صوت الموسيقى مع حوارنا الانسائى ، مع نظراتنا الحائيه الى اللوحة ، ونعنتس لحظات فى عالم خاص ، وننمنى أن يكون هذا هو عالم الناس كلها •
- فجر يوم جديد •
- هو آت لاريب فيه •
- أحلم أن يكون كما أراه فى هذه اللحظة •
- وأفئق من حلمى على صوت ينادى على :
- يا زميل منتظربذك فى «الفرن»
- كنت أذهب الى «الفرن» ثلاث مرات فى الاسبوع مع طلوع الفجر ، كى أقوم بعملى هناك ، وكان تخصصى «فرد عجينة الخبز بالنشابة» • وعن نظام العمل فى الفرن ، والمطبخ ، والمنشآت الأخرى ، سأحكى لك عنها فى رسالتى المقبلة يا حبيبتى •

٢٤ يوليو ١٩٧٧

القاهرة

الرسالة (٣٦)

حبيبتي

قبل أن أدخل السجن قرأت وكتبت كثيرا عن الكاحين وعزمهم وآلامهم ،
غير انى لم أحس بهم تماما الا عندما أصبحت كادحا ما يفر من
ثلاث سنوات فى سجن « جناح » بالواحات الخارجية •
منذ اللحظة الأولى التى وصلنا فيها الصحراء ، لم يكن أمامنا كى
نعيش سوى أن نتحول الى كاحين حقيقيين ، نأكل من عرقنا وكحنا •
كنا ثلاثين كادحا فقط حين وصلنا الى أرض الصحراء الجرداء من كل
مقومات الحياة الضرورية • وفرضت هذه الظروف القاسية أن يقوم كل
واحد منا بعمل يومية عام فى المعسكر ، وعمل آخر خاص فى خيمة
المسكن • فى نفس الوقت خلق تخصص فى الأعمال العامة ، خبازين ،
وطباخين ، وممرضين ، ونجارين ، وحدادين ، وفلاحين ، وأخبرت أن أكون
خبازا وكان تخصصي «فرد» رغيف العيش وهو عجينة « بالنسابة » •
والعمل فى الفرن يبدأ مع غروب شمس كل يوم حتى ظهر اليوم
التالى • المتخصصون فى العجن واللث يذهبون مع غروب الشمس يمزجون
، لدقيق بالماء والخميرة والملح ، ثم يعجنون ويلتونه حتى يصبح للعجينة
« عرق » ، فيغطونها باجولة من الخيش ، وينتظر فى هؤلاء الكاحين
أن تكون صحتهم جيدة ، وعضلاتهم قوية ، وأجسامهم طويلة • وقبل
الفجر بقليل يذهب الى الفرن منخصص آخر • يمسك بطرف أصابعه
قطعة من العجين ليرى قوة « العرق » فيها ، ثم يفوقها بلسانه
لبنأكد من « حذقها » • اذا وجد كل شئ على ما يرام نادى على فريق
العمل ويقسم الى اثنين يفك كل منهما على « عين » الفرن ، واثنين
يضعان الخشب والحطب تحت « صاجة » الفرن ويراقبان اشتعال النار ،
كلما خمد لهبها يعطونها المزيد من الحطب ، واثنين يقفان على
« ماجور » العجين ويتتربط فبهما أن تكون عضلاتهما قوية ، حيث
مهمتهما أن يخرجوا من « الماجور » كمية من العجين لا يقل وزنها عن
١٥ كيلو ، ويضعها على « الطاولة » حيث يتلقاها اثنان آخران أحدهما
يقطع بيده هذه الكومة الكبيرة الى قطع صغيرة ، يزنها الثانى ، ثم يدفع
بها الى أربعة من حاملي « النسابة » الذين عليهم أن « يفرحوا » القطع
الصغيرة « المكورة » من العجين الى ما يشبه العيش « الاسكندرانى » الرقيق
والمنفوخ • وطبعا هناك فرق بين النوعين وهو أحد الفروق التى لاحصر

لها بين المدينة والريف . وبعد مُرد قطع العجين لتأخذ شكل الرغبة بحملها بمهارة من يضعها على « الكريك » ليدمجها آخر إلى عين الفرن . وبعد خبز العجين والتأكد من أنه « استوى » يستقبل العيش المخبوز وهو سخن « ملهلب » ثلاثة آخرون في يد كل منهم سفنحه مبلولة بالماء يمسح بها بسرعة « وجه » الرغيف حتى « يلمع » . ويقوم آخرون برص الخبز على ألواح من الحديد ، ثم يقوم الموزعون بتوزيع الخبز على « الخيام » . كل خبمه حسب عدد افرادها ، ولكل فرد ثلاثة أرغفة في اليوم ، مع وجود استثناءات للبعض الذين لا تكفيهم ثلاثة أرغفة فقط ، مثل محمود زينهم من الأخوان المسلمين وهو بطل مصارعة حرة .

في أيام الشتاء خاصة ، كنت أخرج في الفجر من تحت أربع بطاطين إلى سرد الصحراء القارص ، وأسبر في الخلاء حوالي ٢ كيلو متر حتى أصل إلى الفرن . وقبل خروجي البس ملابس داخلية « كستور » ثم بدلة السجن « العبك » ويلوفر « صوف » وفوق كل هذا التفح ببطانييتين . وفي كل مرة كنت أحسب أني قمت بعمل التحصينات اللازمة ضد البرد ، كان « سرسوبا » أو « سرسويين » أو عدد من « السراسيب » تخترق جلدي ، ولحمي لتستقر في عظامي باردة كالثلج ! . وكنت أجرى بسرعة إلى حيث الدفء في الفرن ، وعند عودتي من العمل في عز الظهر والشمس عمودية على رأسي مباشرة كنت أضع بطانية عليها حتى لا أصاب بضربة شمس ، وأحمل البطانية الأخرى والبلوفر الصوف . وبدخلها ٣ أرغفة عيش « سخنين » و « نقاوة » ، وكانت هذه الأرغفة الثلاثة علاوة استثنائية لكل العاملين في الفرن الذين يبدأ عملهم في الفجر فقط .

وفي أيام الصيف يبدأ الجو الرطب بعد منتصف الليل حتى بعد الفجر بقليل ، ومع أشعة الشمس الأولى يبدأ الجو في السخونة التي تمتصها الواح الصاج فوق رؤسنا في الفرن ، ترسلها إلى أجسامنا بلا رحمة ، وكلما زادت حرارة الشمس ، كلما ازدادت كميات العرق التي تخرج من أجسامنا . ولا يأتي الظهر الا وتكون أجسامنا عارية تماما ، الا من « الشورت » طبعاً !

ودون مبالغة ، كان « خبزنا » أفضل من « خبز » القاهرة ، ولا يقل حودة عن « خبز » الاسكندرية ، وهذه شهادة « امور السجن وضباطه » الذين كفوا عن أكل « خبز » جناح وكانوا يأكلون من « خبزنا » ! وشهد الاهالي الذين حضروا البضا في زيارات ما شهدت به ادارة السجن . وكنا نعطي لكل زائر ٣ أرغفة يأخذها معه عند عودته ، بالإضافة الى ما كان يأكله خلال الزبارة التي كانت تستمر يومين متتاليين .

ودون مبالغة - مرة ناذية - تمكنا من صنع كحك العيد وبسكوييت وغريبة بمناسبة الأعياد . كما صنعنا « جاتوه » و « تورته » في

المناسبات المختلفة خاصة في اعياد ميلاد الزملاء . لكن ذلك لم يحدث الا بعد فترة أدخلنا خلالها التحسينات الضرورية . فقد بدأنا « بتكنولوجيا » محلية . ثم استوردنا تكنولوجيا مناسبة للبيئة . مثلا بدأنا « تحميه » الفرن بنيران الحطب ، وابتدأنا الى استخدام « السولار » . كذلك المطبخ بعد أن كنا نطبخ على « الكانون » . ومى صفائح ، أصبحنا نطبخ فى « خل » كبيرة وعلى « بواصر » كثيرة يستعمل بالسولار ، كذلك التى نراها فى المطاعم الشعبية وعند « بتوخ الطعمية » . وكثيرا ما كان يدور نقاش طريف بين المنسكبين بالقديم وبرون ان الانساب البدائية تعطى « نكهة » خاصة « للطبخ » وللحيز . وبسر المتناهي بالجديد وأساليبه الحديثة التى توفر الجهد والوقت . وكان انصار القديم يضعون الجهد الاكثر نظير الطعم الألف والافضل . ويرد عليهم دعاء الجديد بأن الجهد الأقل نظير الوقت الأطول للثقافة والتسزود بالمعرفة ، وحلال المناقشة يطرح أحد الخبء سؤالا : أيهما أكثر متمع . الطعام اللذيذ ، أو قراءة كتاب ، أو سماع قطعه موسيقية ، وانظر ان بعض الزملاء وقعوا فى « حية » السؤال الخبيث مراحوا يتبشرون

— أنا شخصيا أفضل قراءة كتاب عن أكلة دسمة .

— أمال عامل زى عجائز الفرخ ليه مش عاجبك الأكل ؟

— أنا لم أنقد الأكل الا فى الأيام الأخيره .

— يعنى بعد استيراد « التكنولوجيا » .

ويضحك الجميع ويصفقون مهللين ..

— تبقى من أنصار القديم ..

ويدرك « المطب » الذى استدرج اليه ويشاركهم ضحك والتصفيق . والحقيقة أن ادخال التحسينات باستمرار على المنشآت العامة فى المسجن وفر لنا كثيرا من الجهد والوقت . وساعد ذلك على زيادة نشاطنا الثقافي والفكرى والفنى .

فقد استطعنا تنظيم وقتنا بصورة دقيقة ساعدت الجميع على التحصيل الفكرى والثقافى بشكل كبير . فقد كتب المرحوم « خليل غاسم » روايته الشهيرة « الشمنحورة » وكتب صلاح حامط مسرحية « الخمر » وكتب مجدى فهمى كتابا عن « التفسير المادى للتاريخ » . وترجم حلم طوسون ، مبادئ الفلسفة « وشريف حتاتة » مبادئ الاقتصاد السياسي ومعظم أشعار فؤاد حداد وزكى مراد وكمال عمار كتبت خلال فترة سجن جناح ، وتعلم عدد من الزملاء لغات جديدة ، انجليزية ، وفرنسية ، وروسية . هذا الى جانب النشاط المسرحى فقد قدمت مسرحيات من تأليف صلاح حافظ ورؤوف نظمي وعبد المنعم سعودى .

هكذا بدأنا من الصفر بدائيات نحو الصحراء الى امكانيات تقرب .

(م ١٥ - الرسائل)

من مثيلاتها في المدينة • وأقمنا على أرض الصحراء القاحله نوادى سياسيه وبمافيه ومرسم ومسرح • ونحولنا نحن من كادحين فى بلاد شديدة النخلف يعملون أكثر من ١٨ ساعة فى اليوم ، الى كادحين فى بلاد متقدمة يعملون ٧ ساعات فى اليوم ! لقد نمكنا من تحويل هذه البقعه من **الصحراء الجرداء الى أرض تنبض بالحياة** ، ومجتمع صغير نسوده المساواة التامه . لكل فرد فيه حقوق وعليه واجبات ، الجميع يعمل عملا يدوبا لا مرق بين رمدل وآخر • وكل ما يصل الزملاء من نمود وطرود **لصالح الجميع** فيما عدا استثناءات قليلة كخوافز مادية • وشهد كل من زار هذا المجتمع من الاخوان المؤيدين والمسجونين العادين والضباط والجنود بمنايلينه من حيث العلامات الاجتماعية السائدة ، والمساواة المطلقة فى الحقوق والواجبات ، وتوفير أفضل الظروف للترود بالمعرفة والثقافة • ومثلما كنت أحس بالكادحين قبل دخولى السجن بشكل نظرى ، كذلك كان تصورى للمجتمع الاستراكى وسعاره « من لايعمل لاياكل » مجرد تصور نظرى • وحين طبننا هذا السعار فى تلك **الأرض الجرداء** أصبح هذا التصور حقيقة • لمد دلت تجربتنا خلال السنوات الثلاث التى مضيناها فى **سجن « جناح »** ، على أن تخطيط أقل الامكانيات القائم على وحدة الفكر والعمل هو الطريق الوحيد لبناء مجتمع المساواة فى الحقوق والواجبات للجميع • واذا كان الانسان هو أداة خطة البناء وهدفها لبناء مجتمع متقدم ، فقد نحننا أيضا فى تحويل هذه المقولة الى حقيقة • ففى ظل أصعب الظروف لم نتوقف لحظة واحدة عن تنقيف أنفسنا • وكما قال لنا يوما أحد الضباط الاصدقاء أن تسود هذه الروح بين عاملين أحرار وفى مجتمع حر ، أمر يستحق التقدير أما أن ينجح **مسجونون** فى ظروف بالغة الصعوبة ، ولا يعرفون متى يخرجون للحربة فهو **أسطورة** ••

ذات يوم من أيام سجن جناح ، دار حوار طريف بين عدد من الزملاء بدأ بنكته من أحد الزملاء العمال :

- أنا شخصيا مبسوط جدا هنا •
- وتلقى النكتة زميل عامل آخر
- نعمة يحفظها من الزوال •
- باستنكار يقول زميل متقف :
- مبسوط أيه •• ونعمة أيه •• يا زملاء •• الحرية هى كل شىء •
- ليس بالحرية وحدها يحيا الانسان •
- ويرد المتقف :
- دى نظرة ضيقة الأفق •
- ليه بقى ؟
- أن تفضل الاكل على الحرية •

وبضحك زميل ثالث من العمال :

- وقع فى « المطب » .. وهل هناك تنافس بين الأكل والحرب ؟

- أصل له مفهومه الخاص عن الحرب .

- ويغضب الزميل المثقف ..

- أنهم من كده أنكوا تفضلوا السجن « هنا » عن حرية .

- ويقول الزميل الأول الذى بدأ الحوار بئس

- ببساطة .. نتمنى الخروج من السجن .. ونرجو أن نتوفر لنا فى

ببوننا ما نأكله هنا ..

وتبدو « الدهشة » على وجه الزميل المثقف :

- للدرجة دى ؟

- وأكثر يا زميل !

- ازاي ؟

ويصيح زملاء العمال :

- لا بفى .. ده مس معقول .

ويحرك الزميل المثقف - متأخرا - أنه نسي ما عرّاه وسعه من حياة

العمال والكادحين .

هذا الحوار يا حبيبتي لم يحدث بالطبع . وإنما هو صورة فنية

أردت بها أن أجسد لك حقيقة عاربه . انقصم من فكر

والممارسة . كثير من أبناء الطبقات المتدربة النش حنوا لفكر

التقدمي لم يستطيعوا حل التناقض بين ما يحملونه من فكر . وبين

ممارستهم للحياة ، لسبب محدد هو أنهم ذاكور . وسبب شاسي

مجال الحدث عن الاضرار التي أصابت الحركة النورية حز نوني بعضهم

مراكز قيادية ، وإنما أريد أن أصور لك سلوكهم فى السجن « جناح »

فى نظام حياتنا وكيف استطنعنا من حائل امتداد بسيم . أن نصير

الى المجتمع النموذجي الذى كتبت لك عنه فى هذه الرسالة . لقد

كانوا خارج السجن « يشتركون فى المعركة مع الحكم الوطني » أثناء

العدوان الثلاثي وبعده بشهور . وألقى الفص عليهم . وضربت أحكامهم

ضد بعضهم ، وافرغ عن البعض الآخر لبراه . ثم أرسلهم لى

فى الواحلت فى أوائل عام ١٩٥٧ . وكان أول من نال السامع هو

نظام « الحياة العامة » لدينا الذى يقوم على أنه ..

الجميع ، مع استثناءات قليلة جدا . لقد كانوا انتموا لسلطان

العظيمة التى استطعنا أن نغرسها على نفوس برملاء المسجونين

القدامي - منذ عام ١٩٥٢ - لكننا عالما الأمر بتروث وحكمة

واستطنعنا أن نحمل مجتمعنا النموذجي وسوف تكون رسالتى المبنية

عن هذا الموضوع يا حبيبتي .

٢٥ يوليو ١٩٧٧

القاهرة

الرسالة (٣٧)

حبيبتي

مع كل دفينه تمر منذ التقيت بك يزداد يقبني بلحظة الصدق التي أعيشها ، ويزداد اصراري على التمسك بها حتى آخر دقيقة من عمري . ربما لا يجد واحد من زملاء المسيرة ما يغضبه في رسائلي السابقة ، لكني أرجح أن هناك من سيجد في رسائلي المقبلة ، ما سوف بغضبه . وربما يلقى في وجهي بعدد من الاتهامات ، لكنها لن تصل بأى حال الى تلك التي الصقوها بعدد من الثوريين . ومتى ؟ في ديسمبر عام ١٩٥٦ . وكان المدانون وبعض الذين أدانهم صدرت ضدهم أحكام بالسجن والأشغال الشاقة . على أن هذا ومثله ليس مجال حديثي في هذه الرسائل ، وسبكون لها مكان آخر . وحديثي هنا ينصب في الأساس على نموذج من السلوكيات الشخصية داخل السجن حيث يكون الانسان عاريا تماما لا يستطيع ستر عورة من عوراته ، تحت أى فناع أو ستار . لقد دلت تجربتي الخاصة على أن السلوك الشخصي هو محك صدق الثوري . فالتوريون يا ابنة الستينات من طينة خاصة . وبقدر ما يكون التكوين الانساني للنائر سويا ، بقدر ما ينبت الفكر ، وينمو ويزدهر ، تم يجنى ثمارا يانعة له وللآخرين . وفي قاع النفس اللا انسانية تضيق كل جرعات الفكر التقدمي الانساني ، اذا وصلته ، أو تقف عند مخه التي لا يرسلها الا الى لسانه فقط ، ليلوكها في حديث بهر ، أو مقال رشيق يحتوى على « بهارات » ثورية جدا ! . واليك تجربتنا معهم في نظام الحياة العامة :

منذ بدأ تواجدنا في السجون بالعشرات منذ الخمسينات ونحن نطبق نظاما للحياة العامة يقوم على أساس مصادرة كل الامكانيات التي ترد اليها واعادة توزيعها على الجميع يتساوى في ذلك من تصله امكانيات مهما بلغت قيمتها ، ومن لا يصله شيء على الإطلاق . طبقنا هذا النظام في سجن مصر وفي ابى زعبل وفي ليمان طره وفي سجن « جناح » بالواحات . وخلال تلك السنوات - ٥٢ الى ٥٧ - لم يثر أصحاب الامكانيات - على قلتهم - أقل معارضة لهذا النظام وبلغت حماسهم له انهم كانوا يعملون باستمرار على مضاعفة

امكانياتهم كلما اشرقنا على الافلاس الذي يهددنا بان نعيش على ما يقدمه لنا السجن فقط وهو دون الكفاف .

وكانت المفاجأة في أوائل عام ١٩٥٧ حين وصل اليينا من سجن القناطر الخيرية عدد من اصحاب الامكانيات ومعهم عدد من المدميين ويحملون معهم نظاما للحياة العامة يقوم على أساس مصادرة ٥٠ ٪ فقط من الامكانيات لصالح الجميع ، وال ٥٠ ٪ الباقية لصالح اصحاب الامكانيات .

ويصور نقاش بين الزملاء القادمين من سجن القناطر الحرة وبين مسئول الحياة العامة في سجن « جراح » بالوحدات الخارجية ويتوقف حتى اتخاذ قرار .

وجائني مسئول الحياة العامة ، فقد كنت في ذلك الوقت املك اتخاذ القرار ، قال :

- اليك استقالتى .
- وهل املك قبولها ؟
- ولماذا لا تملك ؟
- انت منتخب ولست معيناً .
- أفدتها للجمعية العمومية .
- ربما أمكن علاج الموقف .
- لا أظن .
- كيف ؟ انهم زملاء ١٠٠
- أسك في ذلك .
- كلامك خطير .
- وأتحمل مسئوليته .
- الى هذا الحد ؟
- وأكثر
- انتظر ٠٠ سنرى كيف نمالج الموقف .
- وأبدأ نقاشاً مع الزملاء :

- المسألة في غاية الحساسية وأرجو أن توافقوا على نظامنا ٠٠
- وهل تصدر الامكانيات خارج السجن لصالح كمل الزملاء ؟
- أفضل أن ترتفع بمستوى المناقشة .
- لكنك لم تجب على السؤال ؟
- ما زلت أحترم ذكاعكم ٠٠ أنتم تفهمون ما أعنيه .
- اليس لكل انسان احتياجاته الخاصة ؟
- بالتأكيد ٠٠ ولكن زيدوني ايضاحاً .
- المريض الذى يحتاج الى طعام معين .

- يوفره له نظامنا سواء كان من ذوى الامكانيات أو من عديمها .
- المدخن الذى يشرب ٤٠ سيجاره فى اليوم مثلا .
- ربما يجد ظروف لا يجد فيها سيجارة واحدة .
- وفنئذ نكون المسألة مفروضة .
- اليس من الأفضل أن يكون الأمر بارادتكُم ؟

كان **مجدى فهمى وسعد باسبلى** بساركائى فى هذا الحوار ، بداولنا فى الأمر مره أخرى وانفقنا على نفل حوارنا معهم الى كل الزملاء ، وهو يتضمن ادانة لموقفهم ، فى ذات الوقت يتضمن اصرارا على نظامنا للحياه العامه والذى ارضيناه ما يقرب من **خمس سنوات** . فى ذات الوقت بفتح نظامنا آخر مرنا جوهره المصادرة ولكن مع استثناء بعض الانسياء والتنازل عن ١٥٪ من قيمة ما يرد اذا زادت القيمة عن ٥ جنيهات ولن يرغب . وكان من المستحيل أن نتجاهل انانية من يملكون الامكانيات والتي يمكن أن تدفعهم بعد تغليفها « **بموقف** مبدئى » الى تحليل ما بدمونه أو حتى الى الامتناع عن تقديم شئ بالمره . وعند مناقشة هذا النظام الجديد معهم وافقوا بشرط ان تزيد نسبه الاستثناء الى ٢٠٪ اذا زادت قيمة ما برد من امكانيات عن ١٠ جنيهات ولم نعتزى . فالذين نقل ميمه امكانياتهم عن ٥ جنيهات لن يطالبوا بنسبه لانهم مع المصادرة الكامله ، واولئك الذين تزيد قيمه امكانياتهم عن ٥ جنيهات فهم الذين يصرون على حقهم فى جزء لهم .

ومع أننا بذلنا جهودا مكثفه لامناع زملائنا القدامى للموافقة على هذا النظام الجديد ، ولكى تكون نظرتهم الى ذوى الامكانيات واقعيه . فان العلاقات الانسانيه بينهم لم ترتق أبدا الى مثل ما هى عليه بين الزملاء القدامى .

ربما طال حدبني مايبلا عن الموقف من نظام الحباء العامه داخل السجن ، وانما أردت بذلك أن أطرح جانبا من جوانب السلوكيات السخسبه للمناضل خاصه داخل السجن حيث الهدف الأساسى هو خلق أرقى علاقات انسانيه بين الجميع ، كضرورة للمقاومه الجماعيه لكل الظروف الصعبه التى يواجهونها فى السجن .

لقد حسبنا عندما حضر الينا الزملاء من سجن القناطر الخيرية فى أوائل عام ١٩٥٧ أننا سنسمع الكثير عن تجربه تعاونهم مع الحكومه الوطنيه ، وسنسمع أكثر عن دورهم فى **المقاومه الشعبيه** فى بورسعيد ، وأحيرا ، وليس آخره ، عن سبب تفاؤلهم الشديد فى **قضية الافراج** عنا بعد تأميم قناة السويس ، ثم بعد العدوان الثلاثى ، ولكن بدلا من كل هذا وجدناهم يستهلكون وقتنا فى قضية تتعلق بذواتهم فى **المقام الأول** !

ذات مساء من ربيع عام ١٩٥٧ ، وكنت مسجلة على سريرى الحسى في الخيمة ، وجدت نفسى أمام شريط طويل من ذكريات الماضى البعيد .
الأربعينات ، وثمانية عشر شهرا وسبعة عشر يوما من الخمسينيات ، ما عى حصيلنها اليوم ؟ فحاة طفرب الدموع من عنى عربره . حرح من لخمه مسرعا الى مكان بعيد وسط الصحراء ، ممر ١٤ نرسلا بوره عى المكان وبكاد يحيل طلام ليله الى نهار لكن عنائ لا سراه ، ولا نحى الا بظلام مسنمبل حالك السواد . هواء ربيع الصحراء نفسى ومعنى ، لكنى اكساد أختدق ! وآلام حادة فى كل جسمى ، نعد انى عطامى وبكاد نحطمها ، دوار يلفنى وصداع يكاد يحطم رأسى . وأروح فى أعماه .
 أصحو منها على صوت ودود ، وأرى **الدكتور رؤوف نظمى** وعنى وجهه 'بسامته الانسانية :

- نومة لذيذة فى الهواء المنعش ده .
- نومة واغماءة ؟
- واذت برصه من الصنف الذى يغمى عليه ؟
- أبه بقى ؟ انسان ميكانيكى ؟
- قدرتك على التحكم فى انفعالاتك كبيرة .
- وكل قدرة لها حدود ..
- أنق فى انها لن تصل الى تلك الحدود .
- أرجو ..
- يقول وابتسامته لا تفارقه :
- تسمع حقة الزجل دى ؟
- أنت عارف يا رؤوف .. أنا أحب اسمك وأنفعل بكلماتك .. لكن .
- حالتى لا تسمح .
- طيب ما نيخى نروح عند الملك ؟
- لا ، أفضل أن أجلس هنا قليلا ..
- لوحدهك .. لا ..
- أرجوك ..
- لا تنس أننى مشروع طبيب .
- وينزىسى دنائى . ويذهب دعنى عيدا الى أواخر الأربعينات .
- كان رؤوف نظمى واحدا من المنضلمين الفادى على كسب نقلة الجماهير ، بين طابة كلية الطب حيث كان طالبا ، وبين عمال وأهالى حى بولاق حيث ولد هناك . احترق العمل الثورى وعومى السنة النهائية . ثم قبض عليه وقام خلال محاكمته بعمل دفاع سياسى يعترف فيه بعضوية التنظيم الذى فصله ويدافع عن سياسته على الرغم من بعض تحفظاته عليها .

هل كان من باب الصدفة أن يدان رؤوف نظمي وعدد آخر من
الزملاء وكلهم من المعروفين بشعبيتهم كأحمد الزقم وعبد الخالق الشهاوى .
وغيرهم من الذين أدوا دورا هاما في الحركة الثورية مثل داود عزيز ووليم
طانيوس ؟ . وأن تصدر هذه الادانات والمعركة الوطنية في عنفوانها ؟
ما أخطر الذاتية حين تتمكن في نفوس الذين يملكون اتخاذ القرار !
وأرى رؤوف نظمي نادما نحوى ومعه مجدى فهمى ، وملك الصحراء ،
ودور حوار انساني أحكيه لك في رسالتى المقبلة يا حبيبتي .

٢٨ يوليو ١٩٧٧

القاهرة

الرسالة (٣٨)

حبيبتي

لماذا خرجت في تلك الليلة التي حدثتك عنها في رسالتى السابقة من خيمتى الى وسط الصحراء ؟ هل كانت الرغبة فى وقفة مع النفس ؟ كلا . فالتقييم الذاتى هو جوهر الوقفة مع النفس . هل كانت محاولة لتقييم موضوعى للمسيرة منذ انتزعونى من موكبها ؟ كلا . لست أدري على وجه الدقة ما الذى كان يسيطر على كيانى ويكاد يهدده هكذا . ربما كان بينا أقرب الى احساس أم ذبحوا ولييدها أمام عنبيها . لقد سُدنى هذا الاحساس المؤلم والبالغ القسوة وأنا أرى طريق المستقبل المتطور **حالك الظلام** ، بعد أن كان فى بداية الخمسينات يبشر بمستقبل مشرق . ولكن لماذا تملكنى هذا الاحساس بعد مجئ زملائنا من سجن القناطر الخيرية منذ سهور وفى تلك الليلة على وجه التحديد ؟ حقا كان لهذا الاحساس ارمصاصات ، لكنها لم تجعلنى يوما قبل ذلك اليوم المسهود أتساعم فى المستقبل المتطور وبمثل هذه النظرة شبه النائسه . منذ القى القبض على كانت لنا ملاحظات سياسية وفكرية وتنظيمية على عمل زملائنا فى الخارج ، بعثنا بها اليهم ، ولم نلق منهم يوما اذى اهتمام . كانوا من عليائهم يرسلون الينا بكم هائل من التقديرات والنجبات ، لمواقفنا البطولية فى السجن ! ولصمودنا فى وجه الارهاب ونجاحنا فى المحافظة على وحدة الزملاء داخل السجن ! لكن درن اشارة واحدة الى ما نرسله لهم من نقد حول مواقفهم السياسية والفكرية والتنظيمية . وكنا نقابل كل هذا الكم من التقديرات والتحيات بفتور بلخ حد السخرية فى بعض الأحيان ثم وصل ائى حد الاستنكار حين وصلنى قرارهم الذى ينص على التقدير الخاص بسىء ضمن قائمة قرارات الادانة لعدد من أخلص الزملاء ، وسجلنا استنكارنا هذا فى شكل رفض لهذا « التقدير » وادانة الهدف منه ، فى ذات الوقت اتخذنا قرارا كنا نملك حق اصداره برفع الاتهام عن الزملاء المدانين . ومع ذلك فقد ظلوا فى « عليائهم » ولم تصل الينا كلمة واحدة منهم . حتى حين أوقفنا قرارا منهم « بالتحقيق » مع زملائنا « القدامى » والمسجونين منذ أكثر من خمس سنوات سكتوا ولم ينطقوا بحرف واحد . وكانت

النفسه انى مضى طهر انيعير هو موقفهم من نظام الحياة العامة .
لقد صاغ كل سىء ولم تبس سوى قيمة الروح الجماعية النسي
بجفت في ساكندها عدد زملائنا القدامى ، مهل يربدون تدميرها
بعد ان دهموا كل شىء فى الخارج ؟ .

ويسدى عن ساملاى صوت « ملك الصحراء » .

- ولا يملك ما درس .

- ولا يصى من انه نا ملك ؟

وبعنى رؤوف نظمى :

- طول ما غينا نفس منى راح نسكت ابدا .

- وانه الى تعدر نعمله أنفاسنا الباقية . . فى السجن ؟

ويسود الصمت لحظة . . يقطعه قول مجدى فهمى :

- وقف التدمور على الأقل .

- أرحو أن لا نكون مد وصلنا الى نقطة اللا عودة !

ويبسم مجدى فهمى ويمول :

- لا دى الحكاية عاوزة منجان فهو من بن « قشطة اليمن » . . آيه

رأيك يا ملك ؟

ويصيح الملك .

- أجرى يا رؤوف جهز لنا عدة الشغل . .

وبلتفت الى رؤوف نظمى . .

- عاور قهوة « منفقبن » ولا قهوة « فلاحين » با درس ،

- ما كفايانا متفقين يا رؤوف . .

وفى خبمة الملك أجد عددا من الزملاء الذين تربطنى بهم علاقة أبوية ،
مجموعة من السباب لا يزيد عمر أكبرهم عن ٢٣ عاما . نبيل حلمى
الطالب بالسنة النهائية بكلية الآداب . جسمه النحيل يحمل امراض
الكبد ، والكلى والاستباه فى الصفراء . مجدى نجيب ابتسامته الانسانية
وتلقائيته النسي تبتر بمولد فنان كبير على يد الملك . ماجد حافظ
الطالب بالثقافة العامة « العمدة » الذى يسهر على راحتنا . مصطفى
حامد عامل الخراطة الذى تعلم القراءة واكتابة فى أقبل من ثلاثة
أسهر . وكتب بتشجيع منى تحليلا سياسيا نشرناه فى النشرة الداخلية
ومحمد خليفه طالب الثانوية العامة الذى حكم عليه بالانغال التساقطة
عشر سنوات معى . وفايز مراد طالب الثانوية العامة بتكوينه الانسانى
السوى المعطاء ، وابنسامنه الذكية أحيانا ، والخبيثة أحيانا أخرى ، وسعيد
عبد الوهاب الفنان الموهوب .

ما ان دخلت خيمة « الملك » حتى احتوت كيانى المهدود كلمات
الزملاء ، أبنائى .

ماجد حافظ « عمدة خيمتنا » يقول :

- انمىد نفسك با زميل .
- ليه با عمدہ ؟
- جرادل الميه فاضيه . .
- معاك حق . . نسبت .
- يعنى آيه نسيت . . اقترح عقوبه على نفسك .
- امنرح أنت با عمدہ .
- المعمده لا يفترح . . وانما يقرر .
- فرر وسأنفذ فوراً .
- خذ ٣ سجاير هوليوود « لارج » . .
- وأضحك قائلاً . .
- على كده راح أنسى كل مرة . .
- ويقول متوعداً :
- لا . . المرة الجايه بقى . . حاتسوف .
- ويقول مجدى نجيب . .
- انى اتهم . .
- آيه يا مشروع فنان .
- تعطيل المشروع .
- ازاي ؟
- انت نسيت يا استاذ ان موعدا اليوم لرسم « بورتريه » لك . .
- معاك حق يا مجدى . . متأسف . .
- اقترح عقوبه لنفسك . .
- ترسمنى مرتين . .
- ويضحك الجميع من قلوبهم . .
- ويقول مصطفى حامد :
- كله كوم . . وحسابى معاك كوم لوحده .
- كان موعدى معك . . لمراحه مقالى للنشره .
- وده معناه آيه عند الثوربين . .
- تخريب الثورة طبعاً . .
- اقترح عقوبه لنفسك . .
- والتفت الى الملك ضاحكاً . .
- اقترح انت با ولم . .
- ويقول ولیم ضاحكاً :
- الشفق طبعاً . .
- ويضحك الزملاء بالضحك . . والتفت الى رؤوف نظمی قائلاً :
- أحدث طريقه للعلاج يا رؤوف .

وبقول بـود وحب :

– أولادك وأحبابك • • عاوزينك !

وأحس بكيانى المهدود وفد تبددت كل آلامه ، وصوت من داخلي
بصرخ بأعلى صوت الحقيقة مؤلمة ، نعم ، لكن مسئوليتك تضاعفت
عشرات المرات !

وبناولنى الملك فنجان القهوة • •

– فنجان مهوه « فسطة اليمن » بعدل المخ • •

وأقول ضاحكا •

– ما دام قهوة « فلاحين » يبقى راح يعدل المخ • •

– همه دول يا درس ممبش غيرهم •

ويحتج مصطفى حامد :

– والعمال راحوا فين ؟

– يا سدى العمال • • قيادة •

– للسلطة والا من خارجها ؟

– ما خلاص اتعدلت • •

يضج الجميع بالضحك وهم يتناولون قهوة « قشطة اليمن »
التي تبرع بها الملك على سرف « درس » وبهمس مجدى فهمى فى أذنى :

– أول مرة تخرق اتفاقنا • •

– كنت فى حالة سنئة جدا •

– هذا أدعى • •

– معك حق • •

– اذن لنا قعدة •

الهدوء يعود الى نفسى المضطربة وأنام الساعات الباقية من ليلة
ذلك اليوم • وفى مساء اليوم التالى التقى مع مجدى فهمى فى احدى
« قعداتنا » النارية :

أسأله :

– هل كان موقفنا بائسا • •

– بل كان خطوة نحوه •

– ولكنى انسان •

– حقيقة وموقفك دليل جديد يؤكدهما •

– وأن تكرر ؟

– تصبح مهزلة •

– وتكتمل المأساة •

– لا يزال فى نفسك ما يسمح بتكرار الموقف •

– وكيف يزول نهائيا ؟

– أن تكون أنت •

- كان في الخارج يري من أمل .
- ليكن الأمل هنا .
- فبدأ من 'أصفر مره أخرى .
- وهل نمك، غير ذلك ؟
- كنا ننحدث ونحن نسبر في الصحراء ، وعيون 'نزلنا من بعد ترفيت ،
- ما كانت نراها متعاقبين ، بعكس نور القمر ظلنا ، حسما واحدا ،
- يخرج علينا سعيد عبد الوهاب ، لا ندري من أين وعو يصيح . .
- اثبتوا . . خليكوزي ما انتو . .
- آيه يا فنان الجيل الصاعد ؟
- حنة دين منظر . . مدهش .
- راح ترسمه يا سعيد ؟
- أتأمله ! الفن تأمل يا أستاذ .
- دا الحب يا سعيد .
- وهوو الحب مش من يا أستاذ ؟
- الحب بجميع أنواعه هو علاقة انسانية جوهرها 'الصديق .
- الصديق مع الذات ، والصديق مع من نحب ، حبيبا كان ، أم زملا . أو
- واحدا من ذوى القربى .
- وهذا الحب « الانساني » ليس غاية في ذاته . أنه غاية ومي نفس
- الوقت وسيلة الى غاية اسمي : هي حب الوطن بكل ما نرصه هذا
- الحب من التزام ومسئولية ، واستعداد لبذل الحياة داتها من أجله .
- والتفت الى مجدى فهمى قائلا :
- مجدى . . انت دائما تصيب كبد الحقيقة . .
- ليس دائما والا أصابني الغرور !
- ويستطرد ضاحكا :
- ما هي آخر حقيقة أصبت كبدها ؟
- فو لك ان الأمل من هنا .
- فعلا لم يعد الا من هنا .
- ومنذ ذلك التاريخ نقضنا كل الأوهام عن كاملنا . لنبدأ من جديد .
- من السجن ، وبالزلاء الذين اتبعوا خلال نضالهم خارج السجن ودخله ،
- انهم قادرون على مواصلة المسيرة .
- كيف بدانا ؟ وما الذي أنجزناه منذ منتصف عام ١٩٥٧ حتى انتقلنا
- من سجن « جناح » بالواحات الخارجة الى سجن « المحاريق » بنفس الواحات
- في أغسطس عام ١٩٥٨ ؟
- هذا ما سوف أحدثك عنه في الرسالة المقبلة يا حبيبتي .
- ٣٠ يوليو ١٩٧٧
- القاهرة

الرسالة (٣٩)

حبيبتي

كان عذبنا بعد منتصف عام ١٩٥٧ بعد اهتزاز الثقة بزملائنا في الخارج ، ان نسنمد أملنا في مواصلة المسيرة من زملائنا في السجن بعد خروجنا . كان عرارنا : من السجن نبداً من جديد . هذا على الرغم من الاخبار التي وصلتنا عن مباحثات الوحدة بين التنظيمات الثلاثة وفرب وصولها الى تطلم واحد « تماخ » ! ولقد كان شعار الوحدة جذابا للغالبية العظمى من قواعد وفادات التنظيمات الشيوعية في مصر . وكان موقف المسجونين من الوحدة بنجسد في وحدتهم الطبيعية في مواجهه ظروف السحر وانعكاس هذه الظروف على أفكارهم السياسية والابويولوجية والمنظمية . لذلك رحبنا بأخبار مفاوضات الوحدة . وان كان هناك سؤال بجول في أعماقنا : لماذا ادفعت القبادات التي عاشت سنوات طويلة ممسمة على بعضها ، وحكم كل منها على الآخر بالانحراف ، والانتهازية ، بل والخيانة ، الى الوحدة ، وبهذه السرعة الجنونية ؟ وهل ينبع هذه الوحدة من ايمان حقيقي بضرورة انها الانقسام الطويل ، أم أنها محاولة بائسة لقيادات تسعر باهتزاز ثقة فواعدها بها ، وتحاول استرداد هذه الثقة ؟

وكان علينا أن نجيب على السؤال الكبير .

كيف نعد انفسنا ، ونعد الزملاء لمواصلة المسيرة بعد خروجنا من السجن على أسس نظرية وسياسية أكثر وضوحا ؟ وكانت الاجابة هي : دعوه كل الزملاء الى تفهيم كل المواقف الفكرية والسياسية لزملائنا في الخارج منذ ٢٣ يوليو ١٩٥٢ بهدف الخروج بدروس مستخلصة . وفي وجه معارضة سرية واتهامات عديده لنا من بعض الذين حضروا البناء في عام ١٩٥٧ ، قررنا تخصيص النشرة الداخلية لمناقشة موضوعات أذكر منها : الموقف من ثورة ٢٣ يوليو عند قيامها . الموقف من أزمة مارس ١٩٥٤ . الموقف حلال العدوان الثلاثي . مفهوم الوحدة الوطنية وعلاقته بمفصلة الديمومراطية والحريات السياسية ، كذلك مناقشة أهم الموضوعات النظرية التي نضمنها بعض التقديرات الأساسية التي كتبها زملاؤنا في الخارج وأهمها . « حزب السلطة » . و « الوحدة مع الانتهازية تغليب لها » و « قرارات ديسمبر ١٩٥٦ » .

وخلال أشهر قليلة صدر من النشرة الداخلية « الوعي » عشرون عدداً احتوت على الرأي الرسمي وكان الذين يدافعون عنه يدامون على الواقع عن قواهم ، وعلى الرأي المعارض ، ومد جاء بآراء جنيده . وأخرى كانت مرفوضة رسمياً في وقتها على الرغم من صحتها . وفضلاً عن أن هذه الأعداد من النشرة ، كان لها قيمتها السياسية والفكرية ، فإنها قد أكدت حقيقة أن إطلاق حرية كل الزملاء في المسألة ترفع من وعيهم ، وتؤكد ذاتهم ، وتزيدهم ثقة بأنفسهم . ولقد كانت هذه التجربة التي لم تحدث في تاريخ التنظيمات النورية في مصر أو خارج مصر مؤشراً لمفهوم جديد بدأت صياغته الأولى منذ ذلك الحين عن الديمقراطية داخل التنظيم ، ربما نستطيع أن اكتسب عنه في وقت آخر فليس موضعه هنا .

لكن ما أود قوله هنا ، هو أن هذه التجربة الفريدة رغم أنها كانت منافية للتقاليد التنظيمية المعروفة ، فإنها قد أجابت على العديد من الأسئلة المطروحة وقتئذ . كيف يتق الزملاء بنفرتهم على مواصلة المسيرة بعد خروجهم من السجن بعد أن نصصوا عن كائنهم التعلق بأوهام نساط زملائهم في الخارج ؟

كيف يحفظون بطهارتهم النورية ونقايتهم الفكرية بعد انصاف الوحدة بين التنظيمات الثلاث وما سوف يواجهونه من أرماب فكرى تحت ستار « المحافظة على الوحدة » ؟

كيف يمكن أن يفهموا عدداً من الحقائق وبسحابوا منها تجربة جديدة لمواصلة نساطهم بعد الخروج من السجن ، حفيضة سكنية الوحدة ، وحقيقة سقوط القيادات التمليدية ، وحقيقة أنه لا أمل الا في الجديد الذى يقوم على أكتافهم ، وحقيقة أن قضية الانسراج عنا قد تراجعت الى الخلف ، وأصبح الأمل هو فى الخروج من السجن بعد انتهاء مدة العقوبة ؟

كيف يمكن أن يصمد الزملاء فى وجه « ظروف السجن الصعبة » محافظين على شرف التزامهم بالفكرة رغم هذا الواقع المؤلم ، داخل السجن وخارجه ؟ لقد خلقت تلك التجربة الفريدة نواة صلبة . نمك وضوحاً سياسياً وفكرياً ، كان سلاحها فى القتال ضد اليأس ومعد انيسار داخل تنظيم الوحدة الجديد ، وكان سلاحها الذى قاتلت به دفاعاً عن سرتها والتزامها .

وتشهدت الشهور السابقة على نقلنا الى سجن « الحاريق » بأثوابات الخارجة فى أغسطس عام ١٩٥٨ أحداثاً عامة وإخباراً مثيرة . من بين هذه الأحداث « الهامة » شهدت تعثر مفاوضات الوحدة بين التنظيمات الثلاث وأعلانها بين تنظيمين ، فأمننا احتفالات « بهيجة » مناسبة

هذا الحدث « السعيد » . ثم شهدت اعلان الوحدة بين التنظيم الواحد الجديد وبين **التنظيم الثالث** - وأقمنا احتفالات « **مهيبه** » مناسبة هذا الحدث « **التاريخي** » . ثم شهدت انقساماً - بعد أقل من أربعة أشهر من « **التنظيم الكبير** » ! وكان المقسمون هم الذين اتحدوا معهم منذ أشهر عبر أن الانقسام والوحدة ، ثم الانقسام مرة أخرى لم يؤثر على علامة **المسجونين القدامى** التي دعمتها الخبرة المشتركة خلال سنوات السجن . ولقد ساعدت هذه العلاقة القوية على تنظيم مقاومتنا لما ينتظرنا في سجن « **الحاريق** » **الجديد** . فبعد اعلان « **الوحدة الثلاثية** » حمل الينا زملاء القى القبض عليهم في أوائل عام ١٩٥٨ حوكموا ونقلوا الينا في « **جناح** » أخبار بناء **سجن جديد** « **مخصوص** » لنا في **الحاريق بالواحات الخارجة** . ما الذى ينتظرنا في السجن الجديد ؟

ويضحك **حليم طوسون** قائلاً :

- اللى أكلناه وز . وز . راح يطلع علينا بط . بط .
كان نقلنا من ليمان طره - بعد **الاضراب العام** الذى دخله كل **المسجونين فى الليهان** - الى سجن هو أقرب الى معسكر ، اجراء سريعاً لعزلنا عن المسجونين هناك ، وحتى يتم بناء **سجن « الحاريق »** فى **قلب الصحراء** .

هل يطبق علينا نظام السجون التقليدى ، فى سجن مثل هذا فى قلب الصحراء ؟

ويهمس البنا أحد الضباط الأصقاء . .

- سينتقمون للسنوات التى أخذتم فيها **حرييتكم** هنا فى « **جناح** » . .
- وهل يملكون أكثر من النظم التقليدية للسجون العادية ؟ .
- لقد أعدوا لكم **نظاماً خاصاً** .

ونبدأ فى اعداد أنفسنا للحياه فى سجن « **مغلق** » فى **قلب الصحراء** . لم يعد بخلدنا يوماً أننا سننقل الى سجن نه « **زنزانات** » مرة أخرى فى **قلب الصحراء** . حسبنا أنهم قد القوا بنا الى ما لا نهاية . لكنهم كانوا يتلمظون غظاً ، فكيف نكون **مسجونين ونعيش كالبشر** ؟ كانوا يريدون « **بسجننا** » أن نمتنع عن تعاطى « **الدمامة والفكر** » فإذا بنا ننهل منهما لنغذى عقولنا وأرواحنا ؟ كيف يفض لهم جفن ، أو بهذا لهم بال ، ونحن هنا ، فى **الصحراء** التى أرادوها قبراً لنا نغنى ونرقص ، ونمىم الاحفالات ، ونعرض المسرحيات ؟

كم بقى أماننا من وقت كى نعد أنفسنا للظروف الجديدة فى **السجن الجديد** ؟ ويأتى الينا الخبر « من منبعه الأصلى » من مكتب

قائد السجن الحربى • ! ويحمله الينا الزميل محمد مختار جمعه الذى وصل الينا حديثا ، فى أبريل ١٩٥٨ ، بعد اعلان الوحدة « الشامخة » ! بما لا يزيد عن ثلاثة شهور • كان مختار جمعه مجندا فى الجيش حين القوا القبض عليه • عذبتة المخابرات العامة ، « نفختة » و « جلدتة » وحرقت ظهره بالحديد الحمى « وخلعت أظفاره » ، ووضعوه عاريا فى الماء المغلى ، كى يعترف على واحد من زملائه ولكن دون جدوى • كان بطلا ، فاقط بطولته الأسطورة • وحين ضاقوا ذرعا ببطولته وهم الجبناء رغم كل ما يملكون من حديد ونار قرروا إرساله الى سجن « جناح » بالوحدات الخارجة • وفى مكتب قائد السجن الحربى قبل ترحيله بساعات سمع محمد مختار نقاشا بين قائد السجن وبين أحد ضباط المخابرات :

- مش كان أحسن نرميته هنا ؟
- مفيش فايدته • • لن يتكلم •
- راح يا خذ حريته فى « جناح » • •
- كلها كام شهر ويروحوا كلهم « المحارق » •

وتأتى الينا أخبار أخرى تؤكد ان سجن « المحارق » على « التشطيب » وأن بعنة من ضباط المباحث العامة ، والسجون والمخابرات ، قامت بزيارته للإشراف على التشطيبات النهائية ، ووضع نظام لحياتنا هناك • وقررنا أن ندخل فى سباق مع الزمن حتى لا نفاجأ بنقلنا الى الجهول الذى لم نستعد له •

المعرفة هى زادنا الذى لا يمكن أن نعيش لحظة بدونيه وتحت أى ظرف من الظروف مهما بلغت قسوته • هذه الكتب والتقارير والبحوث والجلات سوف يلقيون بها الى أفواه النيران لتلتهمها • ولكن متى استطاع اعداء المعرفة الانسانية ، بكل ما يملكون من أدوات البطش والارهاب ، وعلى مر العصور ، أن يحجبوا المعرفة عن طلابها ! وكان أول قرار نتخذوه هو إعادة نسخ كل ما نملكه من كتب وبحوث على ورق « بفسرة » ونصصنا نسخا • اذاعة لشراء كميات منه ، بسرعة من بلدة « جناح » التى يشرب أهلها « الكلف » ، وتكليف أهالينا بشراء أكبر كمية منه من القاهرة • وخلال أقل من شهرين نم نسخ عدد كبير من الكتب الهامة ، وكل التقارير والبحوث التى نملكها على ورق « البفسرة » بخط رفيع جدا وغاية فى الوضوح ، نستطيع قرائته دون جهد كبير •

كان حماس الزملاء وهم يقومون بإعادة نسخ ما فى هذه الكتب والتقارير من معرفة على ورق « البفسرة » يفوق التصور • كانوا حريصين عليها حرصهم على حياتهم • وهل يمكن أن تكون حياتهم معنى •

بدون الثقافة والفكر ؟ **الثائر لا يموت** ، اذا قتل أو مات ، انه يموت فقط عندما يحجبون عنه المعرفة . وأبدا لن نستسلم ، لن يقتلوا ما في داخلنا من حب وصدق وشرف وإنسانية نعرفها من معين المعرفة الإنسانية الذي لا ينضب أبدا .

كانت عملية النسخ تجرى بسرعة لتسبق الزمن . مجموعات الزملاء تعمل ٢٤ ساعة في اليوم ، هذا يقرأ وآخر يكتب ونالت يراجع . مسئول « الحياة العامة » يدور على المجموعات المختلفة ، يوزع عليهم السجائر ، يرفضون حيناً ويطلبون بدلاً منها ورق « بفرة » وحيناً آخر يقبلون حتى تعينهم على السهر طول الليل . لم تكن في حاجة الى جلسات توعية كتلك التي عقدناها قبل نقلنا من **ليمان طره الى « جناح »** . ان حماس الزملاء وأقبالهم على إعادة « نسخ » ما لدينا من فكر وثقافة تحسد لما بدور في نفوسهم ، أنه أقوى من أى كلام يمكن أن يقال في مثل هذه الظروف ، ما الذي يمكن أن يقال لزملاء أعدوا أنفسهم لمواصلة المسيرة بعد خروجهم من السجن وهم لا يملكون شيئاً سوى ارادتهم ، وتحديهم لواقع مؤلم وصعب داخل السجن وخارجه ؟ كان دأبهم على هذا العمل المضنى ، كما كانت تعليقاتهم المزوجة بالسخرية ، تجسيدا لاصرارهم على **رفض الهزيمة** .

وفي غمرة هذا النشاط الكبير الذي يستعد للحياة الجديدة ، المعرونة والمجهولة في سجن « **الحاريق** » تأتينا أنباء انتصار ثورة ١٤ يوليو ١٩٥٨ في العراق من راديو القاهرة . ونظل طول الليل نسمع تعليقات الاذاعات العالبة ، وعلان القاهرة بوقوفها الى جانب الثورة ضد أى تدخل اجنبى ، يبعثه **جمال عبدالناصر** من عرض البحر خلال عودته من **موسكو** . ونلمح بين بعض الزملاء تفاؤلاً بافراج قريب ، ونقرأ بياناً يصدره أقطاب « التنظيم الواحد » الثلاثة ووقعون عليه بأسمائهم !

ونتساءل بسخرية :

- ليه كده ؟
- وأيه المناسبة ؟
- ليجدوا مكانا تحت الشمس .
- ولان يجدوه كما بتوقعون .
- ربما كان وراء الشمس .
- لم يتعلموا بعد . .
- سildغون مرة أخرى .
- آه لو كانوا مؤمنين .
- ومن أين يأتينهم الايمان ؟
- ذواتهم فوق كل اعتبار . .

- اليوم يمين . .
- وغدا يسار .
- كله ماشى .
- وحسب الطلب .

ومرة أخرى يأتينا من زملائنا فى الخارج ما يهدد معنويات زملائنا فى السجن . **الافراج** أقرب مما تتصورون . اتحدوا غائمة بأسماء عدد كبير من **الاخوان المؤيدين** .

ونرى تكاسلا فى عملية نسخ الكتب والتقارير . وتتضاعف مسئوليتنا . ولا نجد سوى الحوار معهم حيناً ، والسخرية بما يقوله الزملاء فى الخارج عن الافراج القريب حيناً آخر . وتجرى الاحداث بسرعة مذهلة نداء شهر « **العسل** » الذى حسب زملائنا أنه آت لا ريب فيه يرفضه الطرف الآخر ، وتلوح بوادر شهر « **البصل** » . ونتوالى التعليقات الساخرة :

- همه كانوا عاوزين غسل أبيض ولا أسود ؟

- مش مهم . .

- مش مهم ازاي . . الأبيض غير الأسود .

- ليه بقى ؟ الأبيض حلو . . والأسود حلو .

- برضه الطعم مختلف . .

- المهم ما يكونش مر .

- وهل يميزون ؟

- انهم لا يبصرون .

- ربما يحسون ؟

- ذواتهم قتلت مصادر أحاسيسهم .

ويعود الزملاء الى حياتهم السابقة فبواصلون عملية نسخ الكتب

التي سناخذها معنا الى سجن « **الحاريق** » وينجزون كل ما كلفوا به

ويجرى عمل مخابىء لها حتى لا تقع عند وصولنا الى سجن « **الحاريق** » .

وفى المساء نلمح سيارة المأمور تقف على باب السجن الخارجى فى وقت

لم نعتده من قبل . ينزل من سيارته ونراه متجها الى حيث يسكن

الاخوان المؤيدين . بعد مرور بعض الوقت يزف البنا اليكباشى **فؤاد جاسر**

خبر الافراج الصحى عن ١٠٠ من الاخوان المؤيدين . جاءنا الرجل سعيدا

ليس لأنه سيخرج من السجن فقط ، وانما لأنه يرى . .

- ده مقدمة الافراج عنكم . .

- مش بالضرورة .

- ويقول بدمشقة .

- ازاي بقى . . وانتو اللي خلليتننا نؤيد الحكومة ؟

- ولسو . .

كل المعانسي التي دارت في حوارى معه • وفى اليوم التالى يشهد سجن
« جناح » **بالواحات الخارجة** مساعد انسانية ، قل أن بحث مثلها •
أحكى لك عنها فى الرسالة المقبلة يا حبيبنى •

أول أغسطس ١٩٧٧
القاهرة

الرسالة (٤٠)

حبیبتی

وشهد يوم الامراج عن المسجونين من **الاخوان المسلمين المؤيدين للحكومة الوطنية** موافق اسائيه عمبة آكدت الجوهر الطيب للانسار . كانت قائمة أسماء المفرج عنهم في مساء اليوم السابق نسمل كل ضبط الجيتس وعددا من المدنيين ، ولم نتضمن أسماء آخرين من **الاخوان المؤيدين** . وظلت هذه المسألة محل تساؤل من **الاخوان المؤيدين** الذين سملتهم الفائمة والذين لم ترد اسمائهم فيها . مخاوف كبيرة كانت تفتاب الباقيين من **المؤيدين** ، ليس فقط لعدم الافراج عنهم ، ولكن بسبب ما سوف يلاقونه في السجن بعد خروج فباداتهم . فلقد كان الوضع بين **الاخوان المؤيدين** و**الاخوان المعارضين** قد بلغ درجة كبيرة من السوء . ولقد بلغت هذه المخاوف حدا جعلت **الاخوان المفرج عنهم** يفكرون في البقاء الى جوار زملائهم حتى يفرج عنهم هم الآخرين .
وأشهد حوارا بين بعض **الاخوان المسلمين المؤيدين** و**المفرج عنهم** وبين مأمور السجن :

- هل تقبل استضافتنا عندك كام يوم ؟
- وتجود علامات الدهشة على وجه المأمور .
- استضافتكم ! أين ؟
- هنا في **السجن** .
- وتزداد دهشة المأمور .
- هل أكذب أذننى ؟
- لا تكذبها . .
- تربدون البقاء في السجن !
- أيوه .
- وليه ؟ مش راح تلاقوا تاكلوا بيره ؟
- مش دى المشكلة .
- وهل توجد مشكلة ؟
- أيوه . . اخواننا الذين لم يفرج عنهم بعد .
- ستحل قريبا جدا .
- ننتظر في السجن حتى تحل .

- وبصيح المأمور :
- جد والا هزار ؟
 - منتهى الجسد .
 - دى بنفى مسئوليه على .
 - ليه بعى . . نحن نريد أن نسين بارادتنا .
 - لا تملكون ذلك .
 - لا نملك أن نسين أنفسنا ؟
 - ولا تملكون الخروج من السجن بارادتكم .
 - اذن سننسى هنا على أبواب السجن .
 - ولا تملكون هذا أيضا .
 - لماذا ؟ ألم يفرج عنا ؟
 - بعد أن اسلمكم فى القاهرة . . افعلوا ما سننتم .
 - نحن عهدة ؟
 - تمام .
 - اذن لن نخرج من باب السجن .
 - ساكون مضطرا لاستخدام القوة .
 - ويتوتر الموقف لحظة . . ويقول المأمور مبتسما . .
 - **السجن بالقوة . . والافراج بالقوة . .** أيه رأيكم ؟
 - هل يمكن الاتصال بالقاهرة ؟
 - للحصول على اذن باستضافتكم ؟ أمر غريب .
 - وبضحك واحد من الأخوان :
 - وما وجه الغرابية . . ناس عاوزه تنسجن فيها أنه دى ؟
 - فيها كسر . . **قرار جمهورى** .
 - وهل الحصول عليه صعب ؟
 - جدا . .
 - كان سهلا قبل ذلك !
 - أنا لا أفهم فى السياسة .
 - ويضح الجميع بالضحك ، بينما يدو جرس التليفون . يضح ،
 - المأمور السماعه ويقول مبتسما .
 - وصل القرار الجمهورى .
 - باعادة سجننا ؟
 - **بالافراج عنكم جميعا** .
 - يتعانقون ويتبادلون التهانى ويعودون الى خيامهم يعلنون الخبر
 - ويستعدون للعودة الى الحرية .
 - يهمس **فؤاد جاسر** فى أذنى :

- ربيع ساعة وأكون عندك .
- ويهمس جمال ربيع :
- فبين ملك الصحراء . . أنا عاوزه .
- أظن في خيمته .
- ينادى على فؤاد جاسر ، وأخرج له من الخيمة ونجلس تحت ظل
- شجر المزروع الذى زرعه حول كل الخيام . تخرج منه كلمات
- خجولة :
- الحاجات دى بفسى مش لازمانى . حاجة بسيطة كده .
- شكرا يا أستاذ مؤاد . .
- والكلام مرسى دول . . بعنى برضه .
- ستحتاج الى بشى ؟
- لا . . عندى فى البنك .
- فصدى . . ربما تحتاج ركوب ناكسى مثلا .
- عامل حسابى - معايا ثلاثة جنيهه .
- وبينما أنا أنادى على مسئول الحياة العامة لاسلمه هذه الخيرات
- من علب الطعام المحفوظة والسكر والشاي والحلاوة الطيحية والسجابر ،
- فضلا عن عشرين جنيها ، أسمع صوت ملك الصحراء . .
- أنت فبين يا أستاذ فؤاد . . أنا دايع عليك ؟
- أنا أهو يا ملك الصحراء . . كان لازم أمر عليك .
- فافسى لمدة ساعة . .
- ثلاث ساعات يا ملك . . أنت عارف .
- طيب بينا على « الاتيلية » . . معانا يا درش .
- نقعد هنا . . فى الضلة دى .
- لا فى الاتيلية . . عاوز أرسلك . .
- حقيقى يا وليم ؟
- وينهض ليعانقه فى حب وأخوة . . وفى خيمة وليم نجد كل شىء
- معدا للرسم ، بجلس فؤاد جاسر على كرسى ويبدأ ملك الصحراء يضع
- خطوطه الأولى . يقول فؤاد ضاحكا . .
- طيب ما أنا رايع لهم بنفسى يا ملك . .
- وماله . . أصل وصورة .
- وطبعما الصورة أحسن .
- المقارنة بين صورة وأخرى . . وليس بين الأصل والصورة .
- وما هى مقابيس المقارنة ؟
- قدرة الفنان على ان يقول ما يحس به . .
- وهل تختلف بين فنان وآخر ؟

- فليبا . . ما آراه أنا قد لا يراه غيرى . .
- مثلاً . .
- فنان يغوص فى الأعماق الانسانية . . وآخر يستهوية الشكل الخارجى .
- ويضحك فؤاد ويقول :
- وطبعاً أنا شكلى الخارجى . . الحمد لله . .
- شكلك الخارجى يجسد ما فى داخلك . .
- ويضحك بالضحك . .
- يا ساتر . . حرام عليك يا ملك . أنا بأشوف نفسى فى المراية . .
- لما تشوف الصورة راح تغير رأيك .
- ويدخل الصاغ جمال ربيع تسبقه رائحة « البارفان » النفاذه ، وبرتدى البدلة « الملكى » ، آخر أناقة ، يحيينا ويقول مزجها حديثاً
- إلى فؤاد جاسر :
- مش كان احسن تلبس البدلة يا فؤاد . .
- ويرد الملك :
- ما كنتش راح أرسمه .
- يعنى مش راح ترسمنى يا ملك .
- ما أنا رسمتك ثلاث صور .
- كانت بهدوم السجن .
- ويقول وليم ضاحكاً :
- واحدة منهم بالروب .
- كانت هايلة . .
- أبدا . . كانت وحشة . . أوحش صورة رسمتها .
- ويضحك جمال . .
- كل ده بسبب الروب . .
- أنا ما أحبش الأرواب والا الجبل « الملكى » ، ا
- البس بدلة « جمهورى » ، ا
- ما أنت خلعتها خلاص . .
- ويضحك الجميع بالضحك . ويقول جمال ربيع :
- وحياتك يا ملك . . صورة كده سريعه .
- فوتوماتون ؟ . .
- حتى ولو بالقلم الرصاص . .
- بشرط . . الوجه بس .
- ونضح بالضحك مرة أخرى ، وتتوالى التعليقات .
- يا خسارة القيانة دى كلها .

- طُلبَ ياقمةُ انجاكتة وعقدته الكرافنة .
- لو بالألوان كان ممكن .
- الغل والنور يغنى عن اللون .
- المهم تبسمى الصورة مختلفة .
- وأيه وجه الاختلاف ؟
- صورة مسجون . . . وصورة مفرج عنه .
- تعبيرات الوجه .
- ويتخطى ملك الصحراء قائلًا . .
- إذا كان كده مس راح أرسـم .
- وينزعج جمال ربيع . ويقول .
- ليه يا ملك ؟
- مش سأيف أى فرق .
- ازأى بنفى ؟ دى مسألة مهمة قوى . .
- تبقى تنتظر كام يوم لغاية ما أشوف الفرق .
- يا ملك بلاش هزار . . مفيش وقت .
- استنى سنوية . . يمكن أسوف حاجة استحق أرسـمها .
- الله يسامحك . . مش لافى حاجة فيه تستحق ترسمها ؟ . .
- أنت فاهم قصدى ؟
- طبعا . . طبعا . . أماننا وقت .
- أكثر من ساعة لم يتحرك خلالها فؤاد جاسر من جلسته .
- يهمس قائلًا :
- نشرب سيجارة يا ملك .
- وفنجان قهوة « قشطة اليمن » .
- قهوة « فلاحين » ولا « متقفين » يا ملك .
- كلك نظري درس . .
- قهوة « فلاحين » طبعا .
- تبقى بتحب الاستاذ فؤاد جاسر .
- ويضحك ولبم وأضحك ويصيح فؤاد جاسر .
- آيه الحكاية . . فهمونى علشان أضحك معاكم .
- أقوم بأعداد قهوة « الفلاحين » بكل ما يلزمها من طقوس ، وأشرح لفؤاد الحكاية ، وجلس ولبم اسحق يتأمل الصورة التى أوشك على الانتهاء منها . تعبيرات وجهه تدل على رضا عنها ، وهو نادرًا ما يرضى عن صورة يرسمها . أقول لوليم :
- أسرع صورة ترسمها يا ملك .

- ويقول بأسى :
- وربما آخر صورة !
- ويقول فؤاد جاسر بصوته الودود :
- ربنا يديك طولة العمر يا ملك .
- ويرد بأسى :
- مين عارف راح ارسم فى سجن « المحاريق » والا لا . .
- وأقول منسجعا :
- لن ننوقف عن الرسم يا وليم . . شن .
- ويرد بسخرية مريرة .
- أبق فى عجله القاريخ . . مش كده ؟
- ونسود لحظة صمت تقطعها نبرات صوت ولسم يحمل الأسف
- متأسف يا درس . . انت مش نافص هموم .
- وأنت جزء هام من همومى يا ولسم .
- ما هو علشان كده . . كان لازم ألم لسانى :
- وأقول ضاحكا . .
- طب لم صورة فؤاد بفسى .
- ويعود الى فرشاته وألوانه . تعبيرات الأسف ما تزال على وجهه .
- الفرشاه تهتز فى يده قليلا . . بتركها يرتشف رشفه قهوة . وأقول ضاحكا . .
- قهوة « فلاحين » اكسير الحياه .
- يعود الى فرشاته ويمسكها بحيوبه ويمزج على « البالنسا » عددا من الألوان ، يضعها فى اللوحة ويقول :
- سوف يا درس . . عينك فيها سبه كبير من عنين فؤاد . .
- وأيه اللي ببجمع بينهم يا وليم . . .
- سحق الانسان .
- ونسلم أصوات تنادى على فؤاد جاسر . حان الوقت لسفر المفرج عنهم .
- فؤاد لا يتحرك من مكانه ويظل جالسا فى صمت ووليم يواصل الرسم بهدوء ، وحوار سريع يدور بين تعبيرات تجسدها اللحظة على وجه فؤاد ولتنقطها روح الفنان لتضعها ريتته فى الصورة .
- أحسن صورة رسمتها فى حياتى .
- وبنهض فؤاد جاسر من جلسته وبعانن وليم اسحق ، يقبله والدموع تجرى على خدوده . وأرى فؤاد ببذل جهدا خارقا للتغلب على انفعالاته ، وأقول ضاحكا :
- خد بالك يا فؤاد الألوان لسه طريقه . .
- وبصعوبة شديدة نسحب فؤاد جاسر خارج خيمة وليم اسحق كسى يذهب الى خيمته ليردى ملابسه « الملكى » وبأخذ حاجياته ، فمكب

٢٠ المخرج عنهم قد أوشك على التحرك .
وعند باب السجن يتجمع كل الزملاء ليودعوا اخواننا لهم دخلوا
السجن وهم مختلفون معهم في كل شيء ، وخرجوا منه وقد انفقوا على
شيء واحد ولكنه أساسى وجوهى ، مساندة الحكم الوطنى بقيادة
جمال عبدالناصر ، من أجل مصر أم جميع الوطنيين ، وحبية كل
الشرفاء .

وخارج أسوار السجن ، بالقرب منها ، تشهد صحراء الواحات الخارجة ،
ما لم تشهده أبدا عبر الأزمان والعصور . صورة عدد من الاخوان
المسلمين يعانقون ، ذم ، ود ومحبة من يختلفون معهم فى الفكر ، ويجمعهم
حب مصر .

منى تشهد القاهرة هذه الصورة ؟ متى ؟ . بل منى تشهد الوطن
العربى كله هذه الصورة ؟ متى ؟ .
ونتحرك العربات تحملهم الى الحرية ! وتعود الينا بعد ايام قليلة كى
تحتلنا الى سجن الحارثى ! .
اكتب اليك رسالتى المقبلة وانا فى الطريق اليه يا حبيبتي .

٢ أغسطس ١٩٧٧
القاهرة

تم الجزء الأول

الجزء الثاني « تحت الطبع »

رقم الايداع ٧٨/٤٥٩٤

الترقيم النولى ٧ - ٥٨ - ٧٢٠٠

« دار الطباعة الحديثة »

اول شارع الجيش - تليفون ٩٠٨٣١٨
القاهرة

عن الكتاب

ألقى المؤلف الذي عشر عاماً في سجون وإيمانات وممتلكات الملكية المصرية ، وجمهورية مصر ، والجمهورية العربية المتحدة ، وبعد خسروجه ظل سنوات أخرى يتأمل بعض أحداث جيله ٠٠٠ وفي لحظة صدى مع نفسه سجل هذه التجربة الفنية .

إن رحلة المؤلف في سجون مصر كما سجلها في هذا الكتاب لم تكن رحلة حقد على أحد .. ولم تكن رحلة انتقام بالكلمات من السجائين .. لأن السجائين ببساطة مذلة يموتون في اللحظة التي يتناولون فيها هذا العمل .

إن رحلة هذا الكتاب تؤكد أن سؤال الإنسان عن حقه في الحب أمر طبيعي .. وإن فهم الإنسان لظروف مجتمعه أمر هام جداً حتى وإن كان مال للذن .

والكتاب قد يبدو في ظاهره مجرد رحلة في السجون السياسية .. لكنه في أعماقه رحلة لسان يبحث عن حقه الطبيعي في الحرية والحب . إنه رحلة الإصرار على الحق التي تجعل العذاب الذي يلغسه المسجون هو طاعة جديدة يغير بها الإنسان أيام المستقبل .

حاول أن تفهم حقدك في حب الحياة والناس بأن تقرأ هذا الكتاب أكثر من مرة .

الناشر

